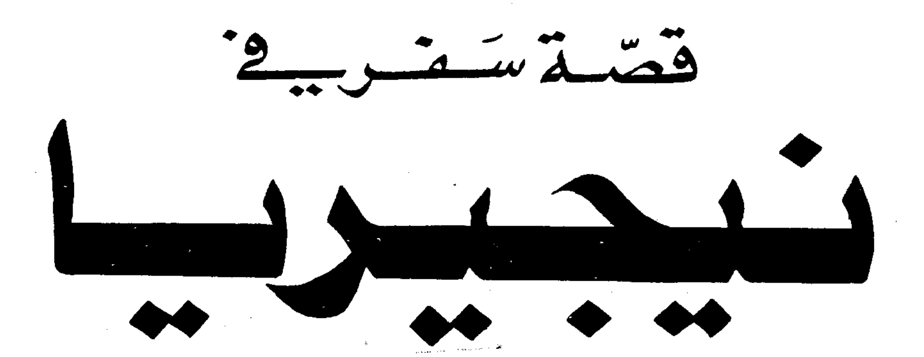


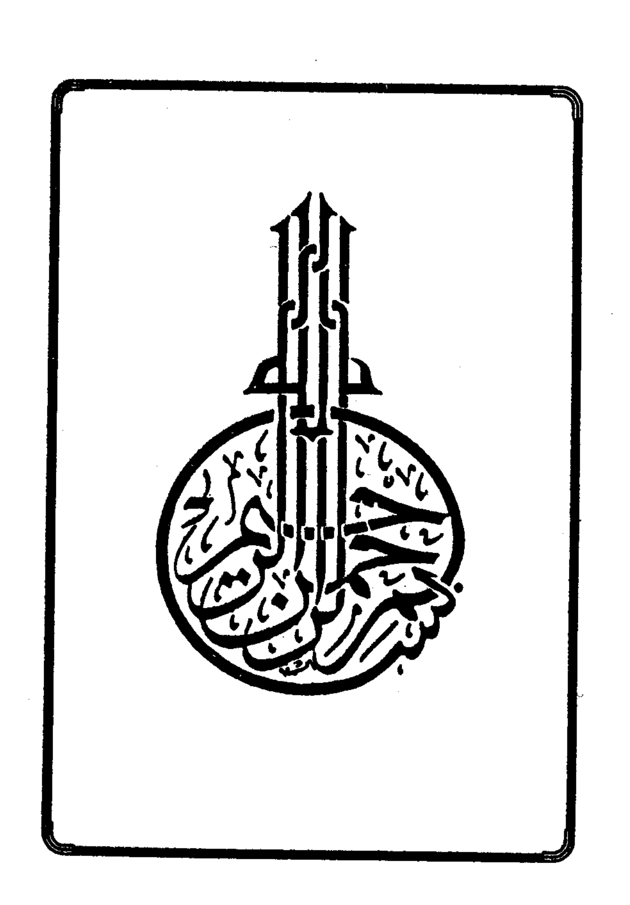
بقلم
محمد بن ناصر العبودي

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

ح محمد بن ناصر العبودي، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
العبودي، محمد بن ناصر
قصة سفر في نيجيريا.
٢٠٩ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك ٦-٢٤-٧٨٥-٩٩٦٠ (مجموعة)
٣-١٧-٧٨٥-٩٩٦٠ (مج١)
١- الرحلات ٢- نيجيريا - وصف ورحلات
أ- العنوان
ديوي ٩١٠,٤ ١٥/٠٦٣٩

رقم الإيداع: ١٥/٠٦٣٩
ردمك: ٦-٢٤-٧٨٥-٩٩٦٠ (المجموعة)
٣-١٧-٧٨٥-٩٩٦٠ (مج١)


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحمـد لله حـمدًا كـثيـرًا كمـا يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسـلام على نبـينا محـمد الذي طبـقت دعوته الأرض طولاً وعـرضـاً ، وعلى آله الطيـبين الـطاهرين وصـحـابتـه الهـادين المهـديين ومن سـار على نهجهم في الدعوة إلى الحق إلى يوم الدين.

أما بعـد: فإن نيجـيريا أكثـر الدول الإفريقيـة سكانـًا، ولذلك يعتـبرها بعـضهم أثقلهـا ميـزانـًا، وهي إلى ذلك تضم أكبـر تجمع للمـسلمين في دولة واحدة من دول إفريقية الفتية.

وقد زرتهـا ضمن جولة شملت الدول الإفـريقية الناطقـة بالانكليزية في غرب القارة الإفريقية وهي غامبيا وسيراليون وليبيريا وغانا.

وكـان القـصـد من تلك الزيارة الإطلاع على أثر المسـاعـدات الماليـة والثـقافيـة التي كـانت قد قدمـت من المملكة العربيـة السعـودية إلى تلك الأقطار من أجل النظر فـي زيادة مايحـتـاج منها إلى زيـادة وتصـحـيح ماقد ينبغي له التصحيح.

ويتـضمن ذلك الإطلاع على المشـروعـات الإسلامـية الجـديدة التي تحتـاج إلى مساعـدة في تلك المنطقة، وأن يشـمل العمل بذلك مراجـعة عامة للموضوع كله.

وقد كتبت كتابين عن تلك الزيارة لدول غرب إفريقية الخمس المشار إليها أحدهما بعنوان:

«شهر في غرب إفريقية» ... وقد طبع قبل سنوات.

الثاني هو: «قصة سفر في نيجيريا» هذا الذي تأخرت طباعته، ربما بسبب خشيتي من ألا يعجب بعض الإخوة والأصدقاء النيجيريين بما تحكيه تلك القصة عن السفر في بلادهم، مع أنني لم أذكر إلا ماحدث بالفعل، وهو ماشهد عندي كثير من الذين وفدوا إلى نيجيريا بأنه أو نظيراً له حدث لهم.

ولذلك ساد الاعتقاد بأن الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في نيجيريا تعامل الوافدين إليها على قدم المساواة، سواء أكانوا إفريقيين أو آسيويين، أو حتى أوروبيين.

وعلى أية حال فإن القصد الأهم من ذلك في كتابة الكتاب ومن ثم طباعته هو إطلاع القراء الكرام، على حالة الإسلام والمسلمين في هذه الدولة الإفريقية الكبيرة: «نيجيريا» كما رآها أخ لهم مسلم ذهب إلى نيجيريا لهذا الغرض، إلى جانب الحالة التي عليها الإدارة كما رواها لهم طبقاً لما وقعت له.

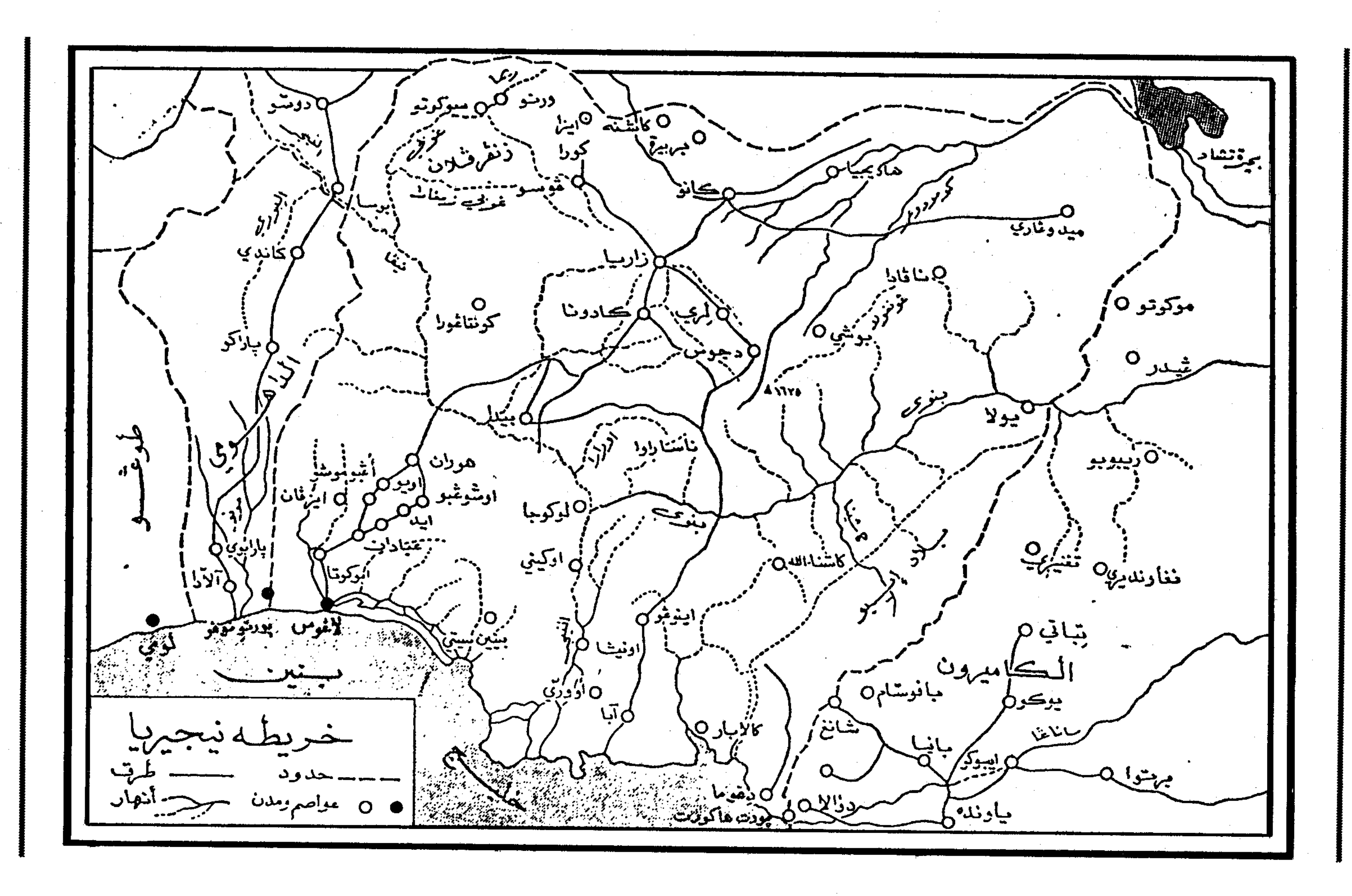
وذلك جرياً على عادة له قديمة نشر بسببها كتباً في الرحلات وبيان أحوال المسلمين عديدة.

والله من وراء القصد.

مكة المكرمة

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



خريطه نيجيريا
حدود
طرق
عواصم ومدن
أنهار
بحيرة تشاد
كانو
زاريا
كادونا
دجوس
بيدا
هوران
لاغوس
بورتونوفو
لومي
بنين
الكاميرون
يولا
بنوي
ميد وغاري
موكوتو
غيدر
كاتسنه
كورا
ميوكوتو
ورنو
دوستو
كاندي
باراكو
كونتاغورا
ابوكوتا
اينوغو
اونيشا
آبا
كالابار
بورت هاركورت
ياونده
بانيا
ايبوكو
مرحتوا
بوشي
لوكوجا
اوكيني
هاكيجيا
بوسا

نيجيريا

تقع نيجيريا في غرب القارة الإفريقية بين خطي عرض ٤ –١٤ شمال خط الاستواء، ويحدها من الشرق دولة الكاميرون ومن الغرب دولة بنين الشعبية، ومن الشمال النيجر وتشاد، ومن الجنوب المحيط الأطلسي (خليج غينيا).

وتبلغ مساحة نيجيريا ٩٢٣٧٦٨ كم٢، ويقدر تعداد سكانها بـ ٣٩٩. ١٢٤١٧ نسمة حسب تقديرات ١٩٨٨م ونسبة ٧٥٪ من السكان مسلمون والباقي مابين مسيحي ووثني.

وتعتبر نيجيريا أكبر دولة في إفريقيا عموماً من حيث عدد السكان وكانت مستعمرة انجليزية منذ سنة ١٨٦٢م واستقلت سنة ١٩٦٠م.

وعاصمة البلاد هي لاجوس الواقعة على جزيرة في المحيط الأطلسي، والعاصمة الجديدة الفيدرالية التي تقرر نقل إدارة البلاد إليها هي ابوجا، وتوجد في وسط البلاد وكانت جزءاً من ولاية النيجر، وقد بدأت بعض الوزارات تنتقل إليها كالداخلية وغيرها من الوزارات والإدارات المهمة.

وتتكون نيجيريا بالإضافة إلى العاصمة الجديدة من إحدى وعشرين ولاية هي:

مسلسل	الولايـــة	العاصمـــة	عـــدد السكـان	المساحـــة
١	صوكتـــو	صوكتو	٩٩٤,٤١٠٠, نسمة	١٠٢٥٣٥كم^{٢}
٢	كانـــو	كانـــو	١٢,٣٥١,١٠٠ «	٤٣٢٨٥ «
٣	كاتسينـــا	كاتسينـــا	٥,٣٨٩,٩٥٠ «	٢٤١٩٢ «
٤	بـــوش	بـــوش	٥,٣٢٦,٨٠٠ «	٦٤٦٠٥ «
٥	بـورنـــو	مايدوكري	٦,٥٦٧,٢٠٠ «	١١٦٤٠٠ «
٦	غـونغولا	يـــولا	٥,٧٠٨,٢٠٠ «	٩١٣٩٠ «
٧	بـــلاتو	جـــوس	٤,٣٨٥,١٠٠ «	٨٥٠٣٠ «
٨	كـــادونا	كـــادونا	٣,٦٨٩,٨٥٠ «	٤٦٠٥٣ «
٩	النيجـــر	المينـــا	٢,٢١٤,٧٠٠ «	٦٥٠٣٧ «
١٠	بنـــوي	ماكودي	٥,٣١٧,٥٠٠ «	٤٥١٧٤ «
١١	أنمبـــرا	انقـــو	٧,٨٧٩,٩٠٠ «	١٧٦٧٥ «
١٢	إيمـــو	اويـــري	٨,٠٤٦,٥٠٠ «	١١٨٥٠ «
١٣	كروس ريفـاس	كلبـــار	٢,٥٠٥,٧٦٦ «	٢٠١٥٦٠ «
١٤	إكـــواء ايبو	اويـــو	٥,٠٧٧,٥٤٠ «	٧٠٨١ «
١٥	ريفـــاس	بوتاكـوت	٣,٧٦٨,١٠٠ «	٢١٨٥٠ «
١٦	بنـــدل	بنيـــن	٥,٣٩١,٧٠٠ «	٣٥٥٠٠ «
١٧	أونـــدو	اكـــوري	٥,٩٨٠,٧٠٠ «	٢٠٩٥٩ «
١٨	كوارا	الورى	٣,٦٨٥,١٠٠ «	٦٦٨٦٩ «
١٩	أويـــو	أبادن	١١,٤١٢,٣٠٠ «	٣٧٧٠٥ «
٢٠	أوقـــون	ابكـــوتا	٣,٣٩٧,٩٠٠ «	١٦٧٦٢ «
٢١	لاكـــوس	اكيجـــا	٤,٥٦٩,٤٠٠ «	٣٣٤٥ «
٢٢	أبـــوجا	أبـــوجا	٥٢٣,٩٠٠ «	٧٣١٥ «
المجمـــوع			١٢٤,١٧٠,٣٩٩ نسمـــة	٩٢٣٧٦٨ كم^{٢}

تسميتها

اسمها مأخوذ من اسم النيجر الذي سمي به ذلك النهر العظيم الذي كان يسمى عند أسلافنا العرب بالنيل، وبعضهم كان يسميه (نيل السودان) ويعتقد أنه متصل بنهر نيل مصر بالفعل، وقد استمر هذا الاعتقاد إلى زمن ابن بطوطة إذْ قرره في رحلته حينما ذكر أنه يمتد من مالي إلى دنقلة ثم صعيد مصر، وإن كان يظهر من تسميته عند بعضهم أن المراد بكلمة (النيل) النهر الكبير تشبيهاً له بنيل مصر ولذلك سمى ابن سعيد المغربي نهر السنغال (نيل غانه) وقال: إنه شقيق نيل السودان يريد بذلك هذا النهر الذي أصبح يسمى الآن (نهر النيجر).

أما اسم هذا النهر العظيم الذي هو ثاني أربعة أنهار إفريقية كبيرة وهي النيل والكنغو ونهر النيجر هذا ونهر السنغال. (بالنيجر) فهي تسمية أوروبية قديمة مأخوذة أيضاً من اسم (نيجرو) الذى معناه زنجي، أو الرجل الأسود القصير.

وهي تسمية كما نرى تتضمن تعبيراً بالسواد، وقد أصبحت بعد ذلك مصطلحاً على كل أسود البشرة. عند أهل البلدان الغربية أيّاً كان موطنه.

وقد تابع الكُتّاب المحدثون من العرب كُتّاب البلدان الغربية على هذا المصطلح فأصبحوا يسمون أسود البشرة بالزنجي.

على حين أن كلمة زنجي في الاصطلاح العربي القديم ليست كذلك وإنما تدل على الواحد من الزنوج أوالزنج، وهم أمة أو جيل من ذوي البشرة السوداء يسكنون في شرق إفريقية والجزر التي في البحر

الواقع إلى الشرق منها ولذلك سموا تلك السواحل (بر الزنج)، وهي تسمية شائعة في كتب الثقافة العربية القديمة لاتحتاج إلى شواهد.

وقد بقي منها اسم يدل عليها في تلك الجزيرة الواقعة تجاه الساحل الشرقي لإفريقية أو بر الزنج القديم، وهي جزيرة (زنجبار) التي أصلها (بر الزنج) فحرفت في اللغة السواحلية إلى هذا اللفظ.

ولم يكن العرب الأقدمون يسمون ذوي البشرة السوداء من غير أولئك الأقوام بالزنوج، بل كانوا يسمونهم أسماء مختلفة تتفق مع كونهم أمماً مختلفة مثل الحبشة والنوبة والسودان والتكرور والكانم.

وفيما يختص بهذه البلاد نيجيريا كان العرب يسمون أهلها من سكان أقاليمها الشمالية الذين كانت لهم صلات كثيرة معهم في الأغلب الأعم بالسودان. ثم أخذ الناس في العصور القديمة يسمونهم التكرور والتكارنة.

وهذا يصدق على أهالي شمالي نيجيريا من الحوس (الهوساويين) والفلانيين والبرنو وما كان غرباً من ذلك وجنوباً غربياً منه.

ولكن بعض الكُتَّاب المحدثين من العرب المقلدين سموهم الزنوج كما صنع أحدهم حينما عنون كتابه (في بلاد الزنوج) وهو يتكلم في كتابه على أهل نيجيريا.

وقد أصبحت هذه التسمية (نيجيريا) مستعملة بل معترفاً بها من أهل البلاد، فأصبح اسم النهر النيجر ليس له اسم مستعمل غيره وأصبح اسم هذه الجمهورية نيجيريا، ومعناها الأمة التي تعيش على ضفاف النيجر أو حول النيجر.

ولم يشأ أهلها أن يغيّروا هذه التسمية الإستعمارية لا لأنهم راضون عن معناها، وإنما لأن بلادهم تضم أممًا عدة. أو باللفظ الحديث قوميات عديدة لها لغات مختلفة، ولم تكن متحدة في الماضي مثل هذا الاتحاد والبحث في تغيير التسمية قد يفتح عليهم باب تنافس القوميات على التسمية، ومن الصعب عليهم أن يجدوا للبلاد اسمًا يتفق الجميع عليه، لذلك تركوا البحث في التسمية كما تركها إخوان لهم في التسمية، وهم أهل جمهورية النيجر، إذْ بحث هؤلاء فعلياً عن اسم مناسب لبلادهم غير النيجر الذي هو كما قلت مأخوذ من اسم النهر الذي أطلقه عليه الغربيون النيجر ثم هو مشتبه، أو قد يشتبه باسم نيجيريا هذه الكبيرة.

وقد أخبرني صديقنا الشيخ عمر جالو مستشار رئيس جمهورية النيجر، وسفيرها السابق في المملكة العربية السعودية، وهو عضو في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي. أن أهل النيجر أرادوا تغيير اسم البلاد، وكان هو من المعنيين باختيار الاسم المناسب فاستعرضوا أسماء عديدة وصل عددها العشرات، ولكنها كلها كانت تلقى المعارضات من بعض الفئات. لذلك فضلوا أن يتركوها على اسمها هذا حذرًا من الدخول في متاهات المشكلات.

إن تسمية (نهر النيجر) بما معناه نهر الزنج هي قديمة عند الأوروبيين وردت فيما نقل إلينا عن تاريخ (هيروديت) المكنى بأبي التاريخ، وأما تسمية هذه البلاد التي حوله نيجيريا فإنها محدثة بالنسبة إلى قدم تسمية النهر، يقال: إن أول من سماهم بذلك هم الأسبان وتبعهم البرتغاليون، فسائر الإفرنج.

وأما عند أسلافنا من العرب فإنها غير موجودة، وإنما كانوا يسمون النهر (نيل السودان)، وأغلبهم أسموه بذلك على اعتبار أنه نهر عظيم كنيل مصر وليس لكونه هو نيل مصر.

ولذلك يذكرون (نيلا) آخر في المنطقة يسمونه (نيل غانة)، وهو الذي يسمى الآن بنهر السنغال كما قال ابن سعيد المغربي: نيل غانة شقيق (نيل السودان) ويصب في البحر المحيط الأعظم.

وهذه صفة (نهر السنغال) لأن غانة كانت مقامة على ضفتيه. هكذا ذكرها عدد من المؤرخين العرب.

ومراده هنا بنيل السودان (نهر النيجر) فهو شقيق نهر السنغال من كونهما كليهما ينبعان من هضبة غينيا المسلمة، ولايبعد مجرى أحدهما عن الآخر كثيراً في الأعلى.

ويقول ابن خلدون في مقدمة تاريخه:

أما الجزء الأول من هذا الإقليم ففيه مصب النيل الآتي من مبدئه عند جبل القمر، ويسمى (نيل السودان) ويذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه، عند جزيرة أولئك، وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور و(غانة) وكلها لهذا العهد تابعة لملكة مالي من أمم السودان، وإلى بلادهم يسافر تجار المغرب الأقصى.

فهذا يدل على ماقلناه من أن موقع عاصمة (غانه) القديمة إنما هو على نهر السنغال الذي كان يسمى (نيل غانه) عند أسلافنا العرب، وإنما اختلط الاسم على ابن خلدون أو من نقل تاريخه. فظن أن (نيل غانه) هو نيل السودان، بجامع التسمية والقرب في الموقع بين

النهرين، وإنما يدل قوله: إنه يذهب إلى البحر المحيط فيصب فيه، على أنه يقصد (نيل غانة) الذي هو (نهر السنغال) في الوقت الحاضر.

سكان نيجيريا

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري من علماء نيجيريا ومؤلفيها:

تتعدد قبائل نيجيريا إلى نحو مائتي قبيلة يتكلمون بمختلف اللغات واللهجات ويختلفون فيما بينهم في الهيئات والعادات.

ولم تتحد هذه القبائل تحت حكومة واحدة قبل الاحتلال الأوروبي ولم تنصهر هذه البلاد في بوتقة هذا الاسم المعروف به اليوم قبل سنة ١٩١٤م، وإنما كان العرب يطلقون على هذه النواحي كلها اسم السودان الغربي أو بلاد التكرور.

أصل السكان

حاول المؤرخون عبثًا أن يعرفوا السكان الأولين لهذه البلادقبل الزنوج. الذين اختلف المؤرخون في موطنهم الأصلي وفي تاريخ هجرتهم إلى هذه البلاد، ولكن الذي عرف هو هجرات الساميين والحاميين التي تتابعت من آسيا إلى افريقيا، ومن شمال إفريقيا إلى غربها منذ آلاف السنين، والتي حصلت لأسباب مختلفة. منها السعي وراء العيش، ومنها الفرار من هجمات العدو إلى حيث الأمن والسلام ومنها ...... ومنها......

وكان المهاجرون الجدد يهاجمون الأولين، ويجلونهم من أماكنهم ليحتلوها بدورهم فيفر أولئك إلى الغابات والسواحل حيث يجدون

التربة خصبة ويأمنون على أنفسهم من غارات المستعمرين المهاجمين.

وانحدرت قبائل نيجيريا الحاضرة من أجناس مختلفة. بعضهم من الذين استعمروا شمال إفريقيا وطرفًا من غربها كالفينيقيين والقرطاجيين والروم والعرب والبربر.

وبعضهم من المصريين والأحباش والنوبيين والبنتوس، ومن هذه الأمم نشأت قبائل نيجيريا المختلفة وتزاوجت مع بعضها واختلطت حتى صعب على المؤرخين ارجاعها إلى أصولها الأولى، إلا بشيء من آثار اللغات والعادات والتقاليد، وذلك لعدم انتشار الكتابة أو انمحاء مخلفاتهم من توالي الحروب ومن كثرة التنقلات ومرور الأجيال المتعاقبة.

وقد ترك بعض العلماء المسلمين نتفًا من الكتب العربية التي أصبحت مرجعًا للتاريخ القديم للإقليم الشمالي، ولكنها غير عميقة البحث ولابعيدة المدى.

وليس للإقليم الغربي تاريخ مدون إلا ما جاء عرضًا في أثناء تاريخ الشمال ولانصيب لكل ذلك من التمحيص والغربلة الفلسفية.

أما الإقليم الشرقي فكل ماصار له من التاريخ فمن بعد الاحتلال البريطاني. حيث كتب عنه الإفرنج ضمن تاريخ هذه البلاد، وأخبار ملوكها ورجالها الحديثة، فصارت كتبهم مرجعًا لتاريخ البلاد العام اهـ.

والبرنو وهم اليوم في شرقي شمال نيجيريا مجاورين للهوسا، ولهم ولاية باسمهم (برنو) عاصمتهم مدينة (مدنغري).

وكـانت لهم دولة مـعـروفـة عند المؤرخـين العـرب. بل قـيل أنهم في وقت من الأوقـات شــمل سلطانهـم جـزءاً كـبـيـراً من بلاد الحــوس (الهوسا).

وقد توسعت شرقـاً إلى أماكن واسعة في تشاد.

وحتى عندمـا زالت دولتهم وذهب عـزها لم يسقط اسمـهم فكان لهم رواق باسمـهم في الأزهر اسـمه الرواق البرنـوي وكانوا معـروفين في مكة المكرمة والمدينة باسم البرنو ولايزالون كذلك.

الإيبــو:

لم يكن لهـم تاريخ مـذكـور ولا مـاضٍ مــعـروف في كـتب الثـقـافـة العربيـة، وإنما كانوا بمثـابة القبائل البـدائية، مثلهم فـي ذلك مثل أهالي جنوب السودان الذين وجدهـم الإنكليز بدون ثقافة، ولا دين فصـبغوهم بأفكارهم وشجعوهم على الانعزال الفكري عن جيرانهم المسلمين، وقد أقبلوا على الـثقافـة الغربية، وتعلمـوا في مدارس المبشرين المسيـحيين فقـربهم هؤلاء حتى كـانت نسبـة المتعلمين منهم تعـليمـاً عصـريـاً عند الاستقلال أعلى منها في أية قبيلة أخرى في نيجيريا.

فـتسـلموا لهـذا السـبب نسـبة أكـبـر من المناصب العليـا في الجـيش والادارة، وظنوا أنهم قادرون بذلك على السيطرة على نيـجيريا كلها أو على الأقل الانفصال عنها والاستقلال ببلادهم.

وكـانت قـبـائل إيبـو جـمـاعـات فطرية إلى عـهـد غـيـر بعـيـد وإنما استيقظت منذ قرن تقريباً.

ومن طباعها سرعة الغضب والاستبسال والتمرد وحب الاستقلال وكانت قبائل متفرقة. لاتجمعها أية رابطة، ولاتتكون القرية إلا من عائلة واحدة لاتخضع لرئيس ولا لأمير ولا لسلطان.

لهذا لم يكونوا يجيدون شؤون الحكم كالهوسا واليوربا قبل الانجليز وقد انتظموا الآن في عداد الأمم المتمدنة بفضل نبوغ بعض الأفراد منهم في الثقافة والسياسة كالدكتور «أنمدي أزيكوي» الذي لعب دوراً هاماً في ميدان السياسة حتى وصل إلى منصب الحاكم العام.

اللغة

في نيجيريا عدة لغات أكثرها شيوعاً أو على وجه أدق أكثر اللغات أصالة بالنسبة إلى عدد المتكلمين هي لغة الحوس (الهوسا) وهي كثيرة الأخذ من العربية فهي في غرب إفريقية تشبه من بعض الوجوه اللغة السواحلية في شرقي القارة وإن كان كثير من كلماتها قد أصابها التحريف. حتى بَعُدَ شكلها عن النطق العربي الفصيح، فأصبح لايستطيع رده إلى ذلك إلا عالم متمعن باللغتين العربية والهوساوية.

وهناك اللغة الفلانية وكانت لغة الحكم والحكام في شمال نيجيريا ابان حكم الشيخ عثمان دان فودي غير أنها الآن أخذ يقل استعمالها في المدن والحواضر بسبب قوة اللغة الهوساوية وكثرة المتكلمين بها، حتى أصبح بعض الفلانيين أنفسهم من سكان المدن يهجرونها ويستعملون الهوساوية، وأصبح أبناؤهم لايفهمونها.

ولكن اللغة الفلانية لاتزال حية مستعملة في البوادي والقرى في نيجيريا الشمالية.

وهناك لغة اليوربا وهي منتشرة في غرب نيجيريا لأنها لغة قبيلة (يوربا) التي تسكن هناك.

إلى جانب لغات أخرى معروفة أيضاً: كلغة الكانوري، ولغة نوفي.

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري:

في نيجيريا عدة لغات تتكلم بها كل قبيلة، وأهمها لغة (هوسا) التي امتازت على سائر اللغات بغرب إفريقيا لخفتها وسهولة التعبير بها وانضباطها بقواعد ثابتة كالعربية.

ويبلغ عدد من يتكلم بها كاللغة الأصلية عشرة ملايين عدا من يتكلم بها كلغة ثانوية من سكان الإقليم الشمالي كالفلانيين والبرناويين والنوفاويين وغيرهم.

وانتشرت لغة هوسا في غرب إفريقيا بسبب انتشار قبائلها للتجارة والسياحة، وتكوينهم جاليات كبرى في كل قطر، وفي كل مدينة هامة. ويقول شيخنا المرحوم آدم الكنوى أن أول من تكلم بها رجل عربي اسمه هوذه ونسبت إليه وقد هاجر إلى هذه البلاد واختلط بأهلها وتولدت من لسانه هذه اللغة المنسوبة إليه التي صارت لغة رسمية في الإقليم الشمالي بعدة قرون قبل الاستعمار.

والظاهر أن لكل قبيلة لغتها الخاصة قبل استيلاء لغة هوسا على جميعها، ولقد أخذت الهوسوية من قواعد النحو العربي الضمائر المؤنثة والمذكرة وجموع التكسير وضمائر المتكلم والغائب والمخاطب كما أخذت التعداد من العشرين إلى التسعين.

وفي الهوسوية كمية كبيرة من لغات الأجناس المتهوسة من الزنج والبربر والنوبة كما أنها اقتبست من اللغة الانجليزية أسماء المخترعات الحديثة والمصطلحات السياسية.

ثم لغة ايبو التي يتكلم بها من يبلغون ثمانية ملايين، وإن كان يوجد في قبائلها من يختلف لهجاتهم فشأنها في ذلك شأن غيرها من اللغات.

أما لغة يوربا فهي التي تحتل الدرجة الثالثة بين لغات نيجيريا كثرة وانتشاراً. إذ يبلغ المتكلمون بها في الإقليم الغربي نحو خمسة ملايين سوى المتوزعين منهم في الإقليم الشمالي وبلاد الداهومي وتوغو وغانه وساحل العاج، وهم لايقلون عن ثلاثة ملايين في جميع تلك الأقطار.

وقد تفرعت اليوربوية من العربية كما تحمل كمية كبيرة من اللغة المصرية القديمة، وقد قرر ذلك الدكتور لوكاس في أديان يوربا، ويعسر استقصاء الكلمات العربية التي تنازلت إلى اليوربوية إذ منها ما اتحدت لفظاً ومعنى، ولم يسقط منها إلا حرف أو حرفان، ومنها ماتحرف يسيراً ومنها ماتبدل بحرف آخر.

ولقد راعينا أن أكثر كلماتها ثلاثية كما راعينا في التحريف والتبديل تقارب الحرفين كإبدال الجيم ياء وبالعكس في نحو كلمة «اوجَو» بمعنى اليوم وفي كلمة «إيجَو» بمعنى الحية وفي كلمة جِنَاً بمعنى ينع.

ومن التحريف أيضاً ابدال لام التعريف واواً في نحو اوجَو من اليوم وفي اومي من الماء وفي اودن من العيد أو ابدالها ياء في ايشو من الشيطان وايْسَو من الثمر.

وقد أخذت اليوربوية قليلاً من الهوسوية بسبب احتكاك بعضهم ببعض عن طريق التجارة وغيرها. كما أخذت من الانجليزية قسطاً للحاجات العصرية.

ومما حذف في وسط الكلمة حرف ومما سقطت منه حروف:

العربية	اليوربوية
الدنيا	أيى
الكرى	أورن
الامر	أورو
الخزي	أيسن
أوجد	أودا
لزم	لوما
العلم	عِما
التاريخ	إيتن
الترتيب	أيتو

ونذكر هنا على سبيل المثال ما اشتقت من العربية منها وهي كالآتي:

العربيـــة	الهوسوية	العربيـــة	الهوسوية	العربيـــة	الهوسوية
اليـوم	يـور	المشاورة	شـاورة	العـافيـة	لافيـا
الأب	أويـا	الابـرة	الـوره	الصحبـة	سـابـا
الله	اللا	الوقــت	لـوقتي	العـدد	عـددي
النبـي	النبـي	القبـر	كبـرى	النقـل	نقـلي
الصدقة	صـدقا	المقـص	المغاجـي	البيـان	بيانـي
الصلاة	صـلاً	الكحـل	كـولـي	المهـاجـر	الماجري
الصوم	أزمـى	مقـالة	مغنـا	المـوت	موُتوا
القراءة	قـراتـو	الـدابة	دبـه		
الامـر	الامـري	العـذر	حنـذري		
الذنـب	ذنـوبي	الليمـون	لليمـو		
العيـب	لايـفي	الصابون	صابلـو		
الاخبـار	لابـاري	القـدر	القـدري		
الحسـاب	لفسافـي	الطاقية	تـاغيا		
التدبيـر	دبـاره	الدنيـا	دونيـا		
الريـح	ريبـا	الآخـرة	لاخـره		
الحـق	الاكـي	كـرامة	غِـرَمـا		
اللحـم	نـامـا	العـقل	هنكلـي		
البصـل	البصـا	اللسـان	هَـلثن		
المرأة	مـاتا	البندقية	بنـدغـا		
خسـارة	أسارا	الاعـارة	أرَوْ		
أيـن	إنـا	الفضـاء	فيلـي		
بـل	بـرى	بعـد	بـايـا		

أمثلة ما اتحدت كلماته ومعنياته إلا بتحريف يسير:

العربية	اليوربوية	العربية	اليوربوية	العربية	اليوربوية
يعرب	يوريا	الهبوب	هيفوف	الخيبة	أوفو
الله	الوهن	الصبر	صورو	العورة	أره
الوجه	ايوَجو	البعل	بابي	العيب	أيبو
الأصيل	أسالي	السر	أيسري	العيب	أيبي
السهل	إسَلَى	الحي	آلايىْ	القلة	كيري
العيد	اودن	الحنان	ألانو	الخط	هنطو
القرن	أوغورن	العافية	الافيا	اعني	أني
التالي	إيتَلَىَ	عيال	عيالي	يرى	يورى
العز	إيي	حكاية	أكوشي	عسر	ايسورو
العقل	لعكي	العير	إيرو	الأخرى	أورن
الحد	أودي	اللص	اولوشا	الربيع	أيري
القوة	أوغو	الحية	ايجو	الغول	أيغن
الدعاء	أدوا	الحجرة	ايارة	الريح الكريه	أورن
الاجير	ألارو	علاوة	ايلى	لدى	لودو
الهراء	إروَ	اللتي	ايبتي	الضرة	إنيره
الوالي	اوْلوا	آلة	أيلو	أي شيء	أيشي
الدجاج	إديَيْ	الحر	اور	البتة	بتابتا
الابرة	أبيري	الهيجا	اجا	حصل	أوشيلى
		القمقم	إكوكو	جرى	سرى
الأحمق	أومغو	الجائي	أليجو	فتيلة	فتيلا
الكره	ايكو	الخير	أورى	صفر	سوفي

وفيما حذف منها الحرف الأخير ومما حذف منها الحرفان الأخيران والمعنى واحد:

العربية	اليوربوية	العربية	اليوربوية	العربية	اليوربوية
الثوب	اشو	اللغز	اللو	الرحلة	ايرن
الأوثان	أوشا	الجبن	أوجو	الثمر	أيسو
الاحلام	آلا	الأودية	أودو	الدبر	إيدي
الليل	أللى	الذباب	أيشن	القمة	اوكي
الرعد	الرع	الديدان	إيدن	الشمال	اوسي
الأعرج	أرو	الودع	أووو	الشيطان	أيشو
النار	إلنا	البحر	ايبو	الشكس	الشا
الماء	أومى	القلب	أوكن	التاريخ	ايتن
السعي	ايشى	الاطراس	ترا	الرقبة	اورن
الأواني	آوو	الظهر	اوسن	الرقبة	ايروكن
الفروج	فرو	الغزو	اوغن	السحب	أيسو
الرأس	أورى	الذوابة	آسو	الدليل	ايدي
التاج	أدي	الشهر	أوشو	الزخرف	اوشو
الذروة	سورو	هلال شهر	أليشو	الصقر	الشا
البغل	إباكا	الغدير	إكودو		
الحصان	ايشن				
الخاصة	إيشا				
الحلة	ألو				
لعك	لع				
العقم	آغن				

تواريخ هامة متعلقة بنيجيريا:

فيما يلي بعض التواريخ المتعلقة بنيجيريا لعناوين وقائع وأحداث تستحق التسجيل:

١٠٠٠م قامت ببلاد برنو مملكة إسلامية زاهية من أسرة سيف.

١٠٦٧م كتب البكر الاسباني عن أمم ودول إفريقيا الغربية ومن بينها الدولة الكانمية.

١٤٠٠م زار ابن بطوطة إفريقيا الغربية ودخل مدينة اكدز ومالى.

١٤٠٠م هاجمت قبائل نوفي العاصمة اليوربوية في مدينة اويولي.

١٤٧٣م زار الإمام السيوطي مدينتي كنو وكشنه وأكدز.

١٤٧٦م تولى الإمام المغيلي القضاء بمدينة كنو في عهد السلطان محمد رنفا.

١٤٨٥م زار البرتغاليون مدينة بنى وعقدوا مع ملوكها معاهدة ودية.

١٥١٣م استولى محمد اسكيا على بلاد هوسا.

١٥٥٢م رست أول باخرة انجليزية في بني بقيادة كابتن ويندهام ريشارد.

١٧٩٦م كان اكتشاف مانغو بارك البحار البريطاني لنهر النيجر.

١٨٠٢م بدأ جهاد بن فودى مع ملوك هوسا المستبدين وبداية الامبراطورية الفلانية.

١٨٠٥م موت مانغو بارك في مدينة بوسا قبل انجاز اكتشافه.

١٨١٦م موت الشيخ عثمان بن فودي في صوكوتو بعد توطيد دولته.

١٨٤٩م تعيين أول قنصل بريطاني في نيجيريا وهو المستر بيقروفت.

١٨٥١م القاء القنابل على لاغوس بناء على رفض سلطان كوسوكو المعاهدة البريطانية ثم فراره إلى بداغري ورجوع أكنتويي إلى العرش.

١٨٦١م وقعت لاغوس تحت النفوذ البريطاني بموجب معاهدة دو سومو ملك لاغوس.

١٨٦٩م ابتدأت أعمال التجارة لشركة إفريقية المتحدة.

١٨٩١م تأسس البنك الإفريقي البريطاني في لاغوس.

١٨٩٦م تأسست المواصلات الحديدية بين لاغوس وأبيكوتا.

١٨٩٧م ثارت جيوش الورن على الجيش البريطاني أيام الأمير سليمان.

١٩٠٠م ابتدأت حماية نيجيريا الشمالية وفتحت الخط الحديدي بين لاغوس وإبادن.

١٩٠٦م أصبح الإقليم الجنوبي والشمالي لبريطانية وصارت لاغوس مستعمرة.

١٩١٣م قضى الجيش البريطاني على حكومة ابيكوتا الأهلية التي ثارت لمنع جباية الضرائب.

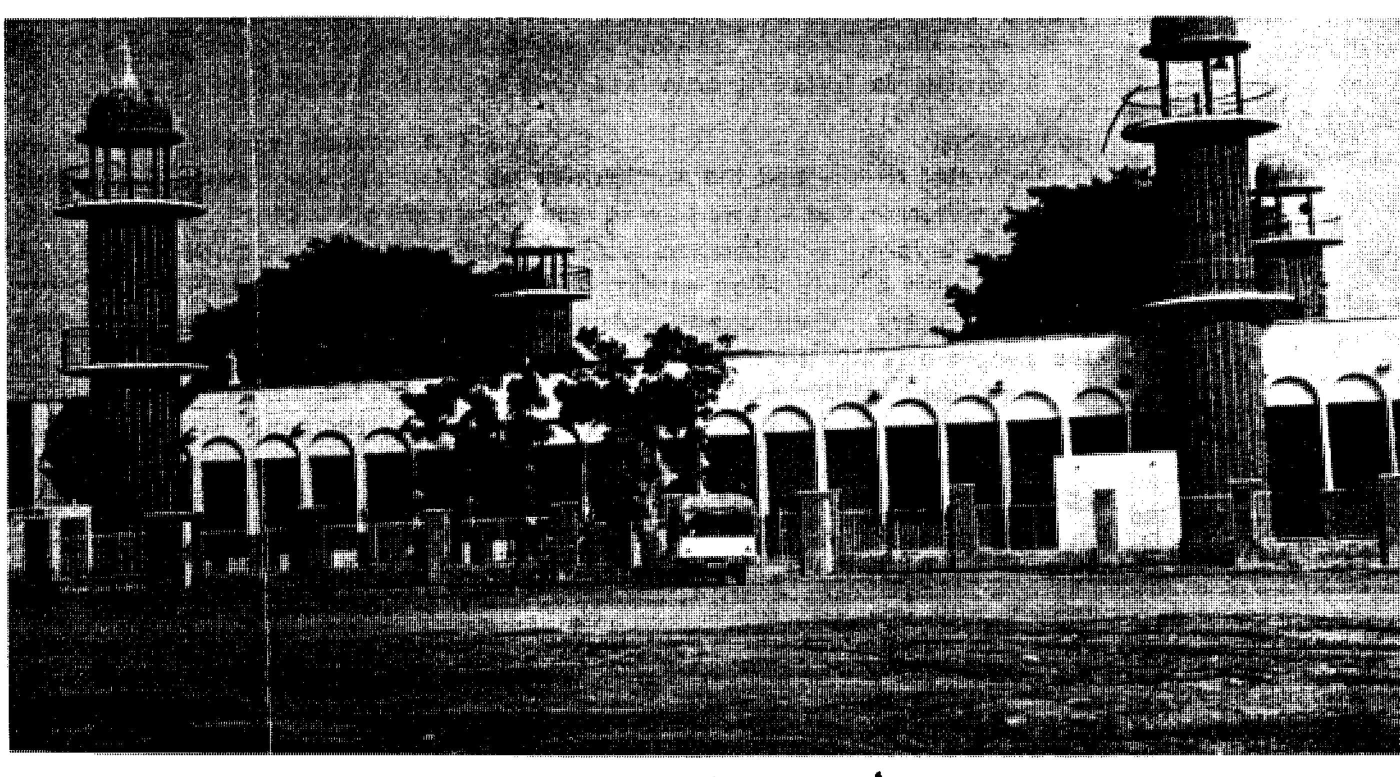
١٩١٤م استكملت القوة البريطانية استيلاءها على نيجيريا بأسرها.

١٩٢٠م تأسيس مجلس الشورى الحكومي.

١٩٤٩م وضع دستور نيجيريا السياسي.

١٩٥٦م حصول الإقليم الشمالي على الحكم الذاتي.

١٩٦٠م أعلن الاستقلال التام لنيجيريا الفيدرالية.



أحد المساجد في نيجيريا

الإسلام في نيجيريا:

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري:

لقد انبثق فجر الإسلام على سماء نيجيريا في أواخر القرن الأول الهجري. الذي فتح فيه المسلمون العرب شمال إفريقيا وجزءاً من غربها.

وقد اندفع تيار الإسلام إلى نيجيريا من منبعين. أولهما من مصر عبر السودان العربي، وبلاد فور وباغرمي وبرنو، وثانيهما من شمال إفريقيا إلى جنوب الصحراء حتى وصل إلى المناطق الغابية والساحلية.

لم يكتسح الإسلام القبائل والشعوب اكتساحاً، ولا أدرجها ادراجاً في أول دخوله، ولكنه تسلل فيها تسللاً. قد يتسرب إلى ناحية دون الأخرى، وتكون بجوار قبيلة مسلمة قبيلة أخرى كافرة، أو تكون في قبيلة واحدة مدينة مسلمة وبجانبها مدينة وثنية.

وقد ترى من بعض أفراد اسرة واحدة من هو مسلم، وإلى جانبه من أعضاء الأسرة نفسها من لايزال يرزح تحت أغلال الكفر والوثنية. كما ترى الملوك والسلاطين الكفار يشهدون الأعياد الإسلامية. إلى جانب المسلمين ويتقدمون بالهبات والصدقات إلى الأئمة والعلماء في هذه المناسبات اشتراكاً مع المسلمين في اعيادهم، وهم لايزالون في جهالة الكفر والوثنية، وقد فتح هذا التسامح وعدم الإكراه قلوب كثير من الوثنيين، وشرح صدورهم حتى اعتنقوا الإسلام عن طواعية واختيار.

وهذا التسامح أيضـًا هو الذي جعل المسلمين يعيشون مع غيرهم في أمن وسلام، ويقسطون إلى الذين لم يقـاتلوهم في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم. إنما يقاتلـون الذين قاتلوهم لعقـيدتهم ويعتـدون عليهم بمثل ماعتدوا عليهم.

ولقد كان الإسـلام ينتشر في ربوع إفريقـيا الغربية بقـوته الروحية لا بالقـوة المادية، وكـانت النفوس تنجـذب إلـيـه بمغناطيسـه الطبيـعي لابدعاية الأموال والأسلحة، ولكل ذلك شـواهد ناطقة تحت سماء هذه البلاد إلى يومنا هذا.

وللتجار المسلمين والعلماء الروحـانيين فضل لاينكر في نشر الدعوة الإسلامية. هذا وقد ساعد على ذيوع الإسلام وانتشاره بسرعة عجيبة موافقته لطبيعة أهل البلاد في كثير من تعاليمه وتقاليده.

ويوجـد في بـعض الجـهـات آحـاد من الغـزاة المرابطـين والملوك المجاهدين الذين سجل التاريخ لهم مواقف محمودة، وآثارًا ملموسة في هذه البلاد، ولكنهم لـم يقوموا بالجهـاد الاستعـماري، وإنما جمـعوا بين الجهاد والدعوة لتأمين حياتهم والدفاع عنها وكسر شوكة الوثنيين.

وكل من درس تاريخ الإسـلام علم أصول الجـهاد وشـروطه، وعلم أن المسلمين الغـالبين يعيـشون مع المغلوبين كـتفًا إلى كـتف. سواسـية كأسنان المـشط لافرق بينهم في اللون والدم والجنس، ولاتفـاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ولقد سجل التاريخ لقبائل ونفاره وفلانه ومالي وسنغي وبرنو. أدوارًا والأوربيـون الذين ضـاقت عليـهم سبل الـعيش فـي بلادهم، وبدأوا ينشدونها في السياحات والمغامرات التي قام بها إلى افريقيا أفراد قلائل

باسم التجارة أحياناً وباسم الارساليات المسيحية أحياناً أخرى، ثم انتهى بهم الأمر إلى أن يصبحوا حكام البلاد على الرغم من أهلها.

والبرتغاليون هم أول من وصلت سفنهم إلى خليج الغنية سنة ١٤٨٥م ودخلوا مدينة بنين واتصلوا بمليكها وعقدوا معه المعاهدة الودية.

وفي سنة ١٥٥٣م وصلت أول حملة انجليزية إلى هذه الشواطئ بقصد التجارة، ولكنها لم تنجح في هذه المرة بل مات كثير منها.

غير أن الانجليز استمروا في اعادة الكرة في إرسال حملة أخرى.

وهكذا دواليك إلى أن كتب لهم النجاح سنة ١٥٨٨م، وأنشأوا فيها اسواقاً إلى جانب البرتغاليين والهولنديين الذين سبقوهم إليها، وكانت تجارتهم في بادئ الأمر مقتصرة على العاج والفلفل وزيت النخيل وبذوره والنخاسة التي ظلت زمناً أكبر مورد للثراء الإنجليزي حتى سنة ١٨٠٧م التي ألغوا فيها النخاسة.

ولما كانت لاغوس أكبر مرافئ غرب إفريقيا للنخاسة ومعرضاً للسلع الأوروبية كان من الطبيعي أن يتخذها الانجليز مركزاً لهم في الحل والعقد وباباً ينفذون منه إلى داخل البلاد وسائر النواحي المنطوية اليوم تحت عنوان نيجيريا.

ومن لاغوس ابتدأ الاستعمار الإنجليزي في نيجيريا بصورة ضئيلة ثم لم يزل يزداد ويتسع حتى تفاقم أمره وبلغ سيله الزبى، وقد ابتدأ ذلك بتدخل الانجليز في شؤون لاغوس بسبب تنازع الأخوين على عرش لاغوس أولهما أكِنتُويِي وثانيهما كوسَوكَو. وكان الأول عميلاً لهم فانتصروا له على الثاني الذي لم يخضع لهم ولم يرض بالاستعمار

فخلعوه ونصبوا الأول ملكًا على لاغوس. بعد أن عقدوا معه معاهدة تتضمن توسيع أعمال المبشرين واطلاق حريتهم في طول البلاد وعرضها، وفتح أبواب البلاد على شركاتهم التجارية و ...

فبذلك سقطت لاغوس تحت أقدام الانجليز سنة ١٨٦٢م، ثم بدأوا يتغلغلون في الجهات المجاورة، وفعلوا فيها نفس الشيء، ووضعوا عليها أيديهم بعد عقد اتفاقيات عديدة مع ملوكها وأمرائها، ثم قسموها قسمين سموا الأول «محمية المنطقة الجنوبية» والثاني «محمية المنطقة الشمالية».

وقد ثارت ثائرة الملوك والأمراء. بعد أن ذاقوا مرارة الاستعمار فقامت بينهم وبين الانجليز مناوشات برمي الأسلحة واطلاق النيران وانتهى الأمر بتغلب القوي على الضعيف، فرفع الانجليز عليها راية الفتح والاستعمار.

ولكن الزعماء الأحرار لم يألوا جهدهم في الكفاح والنضال. حتى اضطر الانجليز إلى عقد عدة مؤتمرات في لاغوس، وفي لندن نالت بموجبها البلاد استقلالها التام ابتداءً من أول أكتوبر سنة ١٩٦٠م.

الديانات الأخرى في نيجيريا:

في نيجيريا من الديانات الوثنية كالفتشية والطوتمية، ثم الإسلام فالنصرانية، ويعتمد تدين النيجيريين على الرغبة فيما عند المعبود من الخير العاجل، أو الرهبة مما ينزل منه من الشر العاجل. على أنهم ينسبون كل خير وكل شر إلى قوة هذا المعبود وسلطانه لهذا يخضعون له وينقادون لمشيئته ويستعينون به على شؤون حياتهم.

ونراهم يعتقدون أن المتدين يجب أن يكون سعيداً في حياته قبل مماته، ومن لم يكن في الدنيا سعيداً فلا يكون في الآخرة سعيداً.

لهذا يطمئنون إلى دينهم إذا سعدوا بسعة العيش والرزق، وشفاء العلل والأمراض، وتعتورهم الريبة والشكوك. كلما تكلح الدنيا على وجوههم أو تصيبهم جائحة في أموالهم وأنفسهم، لأن ذلك في نظرهم مناف لحكمة التدين. هكذا كانت احوالهم قبل الإسلام، وقد هذب الإسلام هذه النظرية في عقليتهم، فتهذبت نفوس المسلمين الشماليين أما نفوس الجنوبيين فلا يزال أكثرها فيمن يعبدون الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

فالفتشية: عبادة الأنصاب أو التماثيل المنحوتة من الحجارة والخشب والطين أو الشجر أو نحوها. يعظمها أهلها ويقدمون لها الذبائح والقرابين، وكان لهم من ذلك عبادة الرعد والبرق والنار وبعض الأنهار والجبال والأشجار.

والطوتمية عبادة حيوان أو نبات يعتقد أهلها أن أجدادهم الأولين منحدرون منها أقسامها طوتم الجنس وطوتم القبيلة وطوتم الشخص.

وكان بعض النيجيريين يقدسون التماسيح والثعابين والأفيال، ومن قبيل الطوتمية عبادتهم لأرواح الأسلاف، وكانوا يقيمون في ذلك عيداً كبيراً يدعونه «عيد الغول» يتنكرون فيه بالملابس المبرقشة أو جلود السباع يحيون به ذكرى أسلافهم وعظمائهم.

ويتنكرون في هذا العيد خصوصاً للولدان والنسوان، كما أن لهم طقوساً كثيرة لاتشهدها النساء العاديات، ومنها مايقومون به في جنح الظلام أو الغابات.

ومن النيجيريين قوم كانوا يعبدون النار، ويطوفون حولها ويرقصون عليها فلا تضرهم، وهم من الفلانيين، ومنهم أيضاً من يعبدون الأنهار ويفعلون لها كما يفعل الأقباط للنيل وهم من اليرباويين.

وللنيجيريين إيمان جازم بالحياة بعد الموت، ونشأ لهم من ذلك اعتقادهم بتناسخ الأرواح. من أب إلى حفيده ومن أم إلى حفيدتها.

فإذا مات الوالد أوالوالدة ثم ولد من عقبهما ولد أو بنت. زعموا أن روح الراحل عاد في شبح المولود الجديد وسموه باسمه.

والزار من آثار الوثنية الباقيةفي بعض القرى الشمالية، وقد استفاض من بلاد فزان وتمبكتو إلى نيجيريا منذ أقدم العصور.

وهو غيبوبة تحدث لبعض العرافين الذين يعزفون الموسيقى المطربة حتى يصابوا بالغيبوبة، ويزعمون أنهم اجتمعوا في أثنائها بأرواح الأموات، ويتلقون منهم الأوامر من نوع الحيوان الذي ينبغي تضحيته وتفريق لحومه على الأصدقاء ليشفي العليل من علته[1].

وفي بلاد هوسا كفّار يسمون ماغجاوي، وأصلهم كما ذكر الشيخ الكنوي آدم نمعجي أنهم كفار وموطنهم الأصلي في مقاطعات كنو أسلموا عند ذيوع الإسلام فيها بعهد الأسرة الرنفاوية في عهد الكنوية الثانية فسموا «توباوى» ومن أعيانهم رجل اسمه «ماغجا» ثم

(١) ولاتزال هذه العادة بين مسلمي نيجيريا إذا مرض أحدهم يجتمع الناس حوله ويقرأون بعض آيات ثم يضحون ضحية يفرقون لحمها ويسمونها «زاره» في بلاد يوريا.

استصعبوا شرائط الإسلام وشريعته فارتدوا عن الإسلام إلى كفرهم فأصبح كل مرتد يدعى بماغجاوي.

فالوثنية بسائر أنواعها هي الديانة الأولى المعروفة بهذه البلاد ورؤساء الوثنية هم الكهنة الذين يخطون خطوطاً في الرمل أو يرمون الخرز ويستنطقونه عن الأخبار بالمستقبل.

وهؤلاء الكهنة لهم أخلاق سامية ومعاملات خالية من الغش والكذب والنفاق والخداع.

أما الإسلام فقد أختلف المؤرخون في زمن دخوله إلى هذه البلاد، وعند الإفرنج أنه دخل في القرن الثالث عشر الميلادي، والواقع أن الدولة الكانمية التي ظهرت في بلاد برنو في القرن العاشر الميلادي تثبت قدم الإسلام في هذه البلاد، ومن طبيعة الإسلام أن يتسلل وينتشر ويتغلغل في الأوساط الإفريقية بلا اعتراض.

أما الدخول الحقيقي للنصرانية في هذه البلاد. فكان على يد البرتغاليين في القرن السادس عشر. حيث فتحوا المدارس وبنوا الكنائس في مدينة بنين ولم يستقر بهم قرار.

ثم أعاد المبشرون كرتهم من جديد سنة ١٨٤١م فاستقروا فيها على كره من أهلها وعدم استساغة النيجيريين للمسيحية التي تحرم عليهم تعدد الزوجات وطبيعتهم لا تلائم التوحد.

المسيحية التي تقلد زعامتها البيضان المترفعين المتنطعين المتنكرين للسودان اهـ

التنصير في نيجيريا

دخل المنصرون نيجيريا منذ القرن الخامس عشر الميلادي. مع البرتغاليين كما سبق، ولكن المسيحية لم تنتشر في البلاد إلا في القرن الثامن عشر الميلادي. عندما بدأت وفود الارساليات التبشيرية تصل البلاد من انجلترا وغيرها من البلدان الأوروبية.

وبعد عودة النيجيريين الذين تحرروا من رقبة العبودية التي أوقعهم فيها تجار النخاسة في سوق النخاسة للأوروبيين كانوا يحملون معهم العقيدة المسيحية وانتشروا في المدن والقرى. ينشرون المسيحية والدولة البريطانية تدعمهم ويقومون بدور الترجمة لكبار المبشرين الاوروبيين فأقاموا لهم بعض الكنائس في وقت مبكر، ويرجع أقدم كنيسة في بلاد يوربا إلى عام ١٨٤٥م وهي كنيسة سانت توماس.

وقد دخلت الارساليات التبشرية مع الاستعمار. الذي رسخ المسيحية واستقدم المبشرين الخبراء في مختلف المجالات، وكوّنوا مبشرين قساوسة محليين. فأقاموا لهم الكنائس وخصصوا لهم مصالح مادية ارتبطوا بها. فانتشروا في البلاد يبشرون بالمسيحية. ويستغلون سلطة الدولة الاستعمارية لحمل المتعلمين على التنصر.

وقد ركز التنصير جهوده أول الأمر على المناطق الوثنية في الجنوب والغرب، وحاولوا التوغل نحو الشمال، ولكن المنصرين ارتطموا بصخرة الإسلام الصلبة فلم يستطيعوا التأثير إلا على بعض الوثنيين في الأماكن النائية من الشمال، وبخاصة في جهة الجنوب الشرقي.

وبعد الاستقلال سمحت الحكومه النيجيرية للمنصرين أن يعملوا في نيجيريا متسترين وراء شعارات الهيئات الخيريه، كالأطباء والصيادلة و (فيالق السلام) والإخوة والصداقة، فانتشرت في البلاد مدارسهم ومستشفياتهم ومراكزهم المهنية وكنائسهم.

الوجود المسيحي في المناطق:

يختلف وجود المسيحيين في الكثافة من منطقة إلى أخرى كما يلي:

(أ) ولايات تكاد تكون خالصة لهم بحيث لايمثل المسلمون فيها ١٠٪ وذلك في المناطق الشرقية وهي: انمبرا - ايمو - ريفاس - كروس ريفاس- اكوا ابو.

(ب) الولايات التي يشكلون فيها أغلبية بنسبة ٧٥٪ وهي: ولاية بنوي - بندل - اوندو.

(جـ) ولايات يشكلون فيها أقلية تتراوح نسبتهم مابين ٥ - ٢٠٪ وهي الولايات الشمالية: صوكوتو - كانو - بوشي - كاتسينا - برنو - غنفولا - نيجر.

(د) ولايات يشكلون أقلية حوالي ٣٥٪ وهي: اويو - اوقون - كوارا - بلاتو.

وهذه النسب تقريبية، وليست مأخوذة من مصادر إسلامية موثوقة.

استراتيجيتهم الحالية:

ويركز المنصرون جل جهودهم على المناطق الشمالية والغربية وذلك لعدة أسباب منها:

١- أن المناطق الشرقية يتمتعون فيها بالأغلبية، وولاء الناس هناك لهم بلا منازع ولايوجد هناك نشاط إسلامي يذكر لمنافستهم.

٢- يريدون أن يكسبوا مواقع في الشمال ليشوشوا على المسلمين أو يشغلوهم بأنفسهم على الأقل. حتى لايتوجهوا بالدعوة إلى المناطق المسيحية ولذلك قاموا بما يلي:

اختاروا منطقتين حساستين في الوسط، واعتبروهما مركزين رئيسيين لعملهم التنصيري إحداهما في نقطة التقاء الشمال بالغرب والثانية شمالية في نقطة تلاقي الشمال بالشرق. وهما:

أولاً: مدينة جوس وهي عاصمة ولاية بلاتو، وهي ولاية شمالية اتخذوها مركزاً لمراميهم التنصيرية في المنطقة، ونشاطهم فيها غاية في التطور، وذو أبعاد سياسية واجتماعية دينية واضحة، فلديهم عدد من المدارس ابتدائية - ثانوية في القرى، والمدن مجهزة أحسن تجهيز ومعهد أكاديمي عالي المستوى أرادوه جامعة ولكن الحكومة لم تقبل لهم ذلك لأن الحكومة تريد أن تحتكر المستوى الجامعي، كما أقاموا كنائس في كل أحياء المدينة وفي القرى المختلفة، ويوجد لهم كذلك محطتان اذاعيتان لبث النصرانية باللغة الهوساوية والفلانية كما لهم كذلك:

- مطار يستقبل طائراتهم الصغيرة التي تأتي من أمريكا وأوروبا لايعرف أحد ماذا تحمل.
- مركز إعلامي لتسجيل الأفلام السينمائية والتلفيزنونية.
- مركز اتصال لاسلكي متطور.

ثانياً: مدينة اباجا: وهي في ولاية كوارا، وهـي من المنطقة الغربية تصل الشمال بالغرب، وبالرغم من أن هذه المدينة ٩٥٪ منها مسلمون إلا إنك عندما تدخـلها تحس كأنك في مـدينة مسيـحية. لكـثرة الكنائس التي تقابلك في كل اتجاه ومستشفيات ومدارس من الدرجة الأولى.

وفي اباجـا توجد لهم مـحطة اذاعـية راقـية جـداً تسـمع حتى خـارج نيجيريا.

إن تركـيـزهـم على هاتين المنطقـتين الإسـتـراتيـجـيـتين يدل دلالة واضـحة على وجود خطة مرسومة للتأثير على البلاد، وقد نجحوا على الأقل في صـرف اهتـمام المسلمين عن مناطق المسيـحيين والوثنيين في المناطق الشرقـية، فجمـيع الجمعـيات الإسلاميـة ومدارسها تتـركز في الشـمال والغـرب ولا تجـد مدارس ولاجـمـعيـات إسـلاميـة تعـمل في المناطق الشـرقيـة. مع شـدة حاجـة الأقليـات المسلمـة هناك إلى جهـود الدعوة والتعليم، إلا على نطاق ضيق.

ويتـخـذ المنصـرون وسـائل مـخـتلفـة تتنـاسب مع كل ظرف وبيئـة وشخص، ويمكن تلخصيها في الآتي:

١- يبنون الكـنائس في القـرى والمدن، وسـيـاسـتـهم فـي ذلك هي أنهم يبدأون ببناء كنيسة في قرية ما، ولو لم يوجـد بها مسيـحي واحد، ويبـدأون في تعـميرها بالحـضور الدائم، وتـنظيم أنشطة ترفيـهيـة ثقافية فيبدأ الارتباط بهم شيئـاً فشيئـاً

٢- توزيع نسخ الإنجيل بكل لغات نيجيريا الرئيسية، واللغة الإنجليزية، وهي مطبوعة بشكل أنيق.

٣- وفي التعليم يضعون ضعف الرسوم على الطفل المسلم. بحجة أن الكنيسة تتولى بعض التكاليف للتخفيف على أبناء المسيحيين.

٤- يختارون أبناء المسلمين النجباء في الدراسة فيمنحونهم فرصة للدراسة في الخارج ليعودوا مسيحيين أو على الأقل أشخاصاً لاعلاقة لهم بالإسلام.

٥- وفي المستشفيات: يبنون كنيسة أو كنائس في بعض الأحيان داخل المستشفى، أو بالقرب منه، ويقوم المنصرون بزيارات دورية للمرضى لتوزيع الأدوية، ثم يدعون المريض الذي يتماثل للشفاء لزيارة الكنيسة. ليؤدي شكر المسيح الذي شفاه! كما يخصون حصصاً توجيهية في الصباح قبل حضور الأطباء، ويستمع إليها المرضى عفوياً من خلال الأبواق المركبة في الغرف وقاعات الانتظار، وأحياناً يقدمون دروساً تبشيرية للمرضى مباشرة على شكل محاضرة قصيرة.

٦- يفتحون مراكزنسوية مهنية لاستيعاب الحركة النسوية. بالإضافة إلى المراكز التي يوفرونها للفتيات في الفنادق والشواطئ لتكون فرصة لتصيد الشباب وتنصيرهم.

٧- يستقدمون مبشرين من الأوروبيين. فيعاشرون الوثنيين في أمكنتهم فيتحملون المشاق ليقدموا قدوة للمسيحيين الأفارقة وهم يجيدون اللغات المحلية.

المشـاهـدات

يوم السبت ١٤٠١/٥/١٥هـ - ١٩٨١/٣/٢١م:

من اكرا إلى لاجوس:

ودعنا مدينة (اكرا) الودود، وهـي عاصمة الجمـهورية الغانيّة، ولم أكن أعرف أننـي بتوديعهـا قد ودعت إفـريقيـة الغربية الـودود كلها. إذْ جميع البلاد التي مـررنا بها قبل ذلك. وهي غامبيا وسيرالـيون وليبيريا وغانا أهلهـا ذوو طبيـعة سمـحة، وعـدم تشدد في المعاملـة مع الغريب الذي لاتخفى غربتـه على أحد. بسبب لونه الذي لايمكن إخفاؤه فـيها، على تفـاوت بينهـم في ذلك، وكنا من حـيث لم أكن أعـرف نودع هذه البلاد السمحـة، إلى البلاد الفظة الغليظة (لاجوس) عاصمـة نيجيريا. التى ربما كـان سـبب فظاظتـهـا وغلظهـا مع الأجـانب هو غناها وقـوة دولتها ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ صدق الله العظيم. [الآيات ٦ ، ٧ من سورة العلق].

وعندما نهضت الطائرة من مطار (اكرا) قـاصدة (لاجوس) صارت تطيـر فـوق أحيـاء واسـعة من أكـرا. ثم اسـتـوت في الجو، وأصـبـحنا لانرى شيئـاً بسبب قرب غروب الشمس، وكون هذه الأرض الإفريقية تسبح في بحـر من أبخرة الماء التي تكاد تتكاثف إذْ تمازجـها أدخنة من دخان الوقود، لأن وقود هذه البلاد الرئيسي هو الحطب والأخشاب.

وبدأ مضـيفو الطائرة - التي ركـبنا فيهـا - النيجـيرية. التي هي من طراز بوينغ ٧٣٧ بتقديم الضيافة، وهي علبـة صغيرة من الصفيح من شراب محفوظ، ولكنه فاسد، لايطاق ذوقه فضلاً عن شربه، وقد كتب عليـه أنه من انتـاج الهند، وربما كـان إلى هنديتـه قديمـاً قد فـات وقت صلاحـه ومعـه قطعة مما يشـبه (الكعـك) في حجم البـيضة، ولـو كان

الأمر يتعلق بمقداره فقط لما كان يستحق الذكر، بل لو لم يقدموا شيئاً أصلاً لكانوا معذورين لأن الطيران قد استغرق (٤٣) دقيقة فقط، ولكن الأمر كان يتعلق بالتقديم فالمضيفات يقدمنه، وكأنهن يتصدقن به عليك، وقد نسين مرة أو مرتين بعض الركاب. فأخذوا يمدون أيديهم إليهن يطلبون هذه الضيافة، وهن ينظرن غير مباليات لمدة طويلة، ولما ذاق أحد زميليَّ هذا الشراب الفاسد وأنه من الهند قال ممازحاً: ألا يدل فساد طعمه على أن الهنود قد خلطوه بشيء من بول البقر المقدس عندهم؟

في مطار لاجوس :

بدت لاجوس في الظلام مدينة كبيرة مضاءة. فيها شوارع قليلة ذات أضواء صفراء مما يدل على أنها من الشوارع الرئيسية، أو من (الهاي وي) كما يقول بعضهم.

وشوارعها وبيوتها مضاءة بأضواء جيدة، ولكن من غير إسراف، رغم أنها من البلاد المصدرة للوقود.

وقد لاحظت أن بعض الناس فيها مغرمون باللون الأخضر. ففي عدد من بيوتها أو متاجرها - لا أدري ماهي من الطائرة - عدد كبير من المصابيح ذات النور الأخضر.

وبدا لنا المطار عندما نزلنا فيه قليل الأنوار في مدارجه ضعيفها، ولكن أبنيته ومكاتبه ذات أضواء جيدة.

وقفت الطائرة وهي من طراز بوينج (٧٣٧) عند دهليز متحرك. كما يكون في المطارات الكبيرة، وهو أمر لم نشاهده في هذه السفرة بعد أن فارقنا مطار شارل ديغول في باريس، ومررنا بعدة مطارات

إفريقيـة. فدخلنا منها إلى دهليز حديث من دهـاليز المطار. حتى وصلنا إلى مكتب الصحـة، فنظر الموظف إلى البطاقة الصـحية. التي أحـملها وختـم على الأوراق. مع أنه ليس فيـها تطعـيم ضد الحـمى الصـفراء، وكنت قد أشفقت من ذلك ثم إلى موظف الجوازات.

ومن هنـاك نزلنا مع درج كـهـربائي مـتـحـرك. إلـى حـيث تـسلم الحـقـائب، وقـد أريتـهم جواز سـفـري، ولكن الموظف كـلمنا من طرف لسانه، وبعنجـهية وتكبر كـما فعل من قبل ضابـط الجوازات الذي كان يعامـلني مع أنه يرى جواز سـفري بغلظة واحـتقـار، وكأنني قـد أسأت إليه، وكان موظف الجوازات هذا لم يختم على الجواز إلا بعد أن اطلع على التذكرة، واطمـأن على أنها تحتوي على تذكرة مغـادرة لنيجيريا، وكأنه ظن لذكائـه المفرط أن سعوديـاً يحمل جـواز سفر دبلوماسـيـاً فيه تأشيرة (دبلوماسية) من سفارة نيـجيريا في جدة. سوف يفضل الإقامة والعمل في نيـجيريا بصـفة دائمة، أو بصـفة غيـر مشروعـة. حتى إذا أجـبره النيـجيـريون على مـغادرة بلادهم وجـدوا أن مـعه تذكـرة سفـر تسهل له تلك المغادرة فلا تتكلف خزينة الدولة النيجيرية تذكرة إبعاده.

ولاشك في أن لديـه أوامـر تقـضـي بأن يطلع عـلى تذكـرة المـغـادرة لبعض الأشخاص. قبل أن يسمح لهم بالدخول إلى نيجيريا. إلا أن من المشكوك فيه أن السعوديين (الدبلوماسيين) منهم.

وأيـّا كـان الأمـر فـإن المهم ليس هذا، وإنمـا المهم أن هذه العنجـهـيـة والغلظ في المعاملة مع قوم هم مثـله في الغنى والاستغناء عن الآخرين أمر مخالف للذوق السليم فيما أعتقدته.

وفي هذه المناسبة يذكر المرء الذي سبقت له زيارة البلاد الأوروبية أو الولايات المتحدة أو اليابان، أو غيرها من البلدان الغنية، أنه لم يعامله أهلها إلا معاملة كريمة على غناهم وقوة دولهم.

وظني أنهم – أيضاً – يعاملون النيجيريين مثل مايعاملوننا. لامثل مايعاملنا به هؤلاء.

والإنطباع الذي يخرج به السائح، أو الغريب الذي يأتي إلى هذه البلاد مثلي لأول مرة، ويسجل ذهنه بعض أنواع المعاملة فيستقبح مايراه قبيحاً ، ويستحسن مايراه حسناً دون أن يتعمق في الأمر أقول: إن الانطباع عن موظفي هذه الدولة الإفريقية الغنية الكبيرة يعطي مثلاً سيئاً عن الإفريقيين في أذهان الآخرين القادمين من خارج البلاد.

خرجنا من نطاق (الجمرك) إلى القاعة الداخلية للمطار. فإذا بها واسعة مستطيلة تشبه مثيلاتها في أكثر البلدان الأوروبية. نظيفة مرتبة تدل على مبلغ العناية المبذولة في هذا المطار وفي صيانة مرافقه.

وكان يرافقنا ثلاثة من المتطفلين كانوا معنا حتى داخل المنطقة الجمركية. أي أنهم من موظفي المطار، أو من المخولين دخوله، والخروج منه، أحدهم أبى إلا أن يدفع بيده العربة التي تحمل حقائبنا، والآخر أعان أحد الأخوين على كتابة اسمه بالانكليزية على الورقة الخاصة بالإقرار الجمركي، والثالث ما أدري ما صنعته إلا أنني رأيته إذا كان الطريق سينحرف ذات اليمين أشار بيده إلى جهة اليمين وقال: هنا وكذلك ذات اليسار.

وقابلنا عندما خرجنا جيش من المتطفلين. عدد منهم يعرضون (تاكسي)، وآخر يتطفل بأنه سيخدم، ولا ندري ماذا يريد أن يفعله وأفهمناهم بأننا لن نريد (تاكسياً) لأن لنا صديقاً سيأتي ويأخذنا بسيارته، ولكنهم لم ينصرفوا.

وذلك لأن السفارة السعودية في أكرا كانت قد أبرقت للسفارة السعودية في لاجوس أن تخبر الملحق الديني في لاجوس أن يستقبلنا في المطار. فظن زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق أنه ربما كان قد خرج إلى المطار، وإذا كان لم يعلم بذلك فإن بإمكانه أن يكلمه بالهاتف ليأتي.

ولم يذهب أولئك المتطفلون حتى أعطيناهم نيرة أو نيرتين للواحد والنيرة تساوي أقل من دولارين قليلاً بالصرف الرسمي.

وذلك لأنني ذهبت إلى بنك بالمطار، فصرف لي مائة دولار بسبع وخمسين نيرة وعشرة كومات، والكومو للنيرة بمثابة السنتي للدولار، ولكنه لم يعطني إلا ستاً وخمسين ونصفا، واحتفظ بالباقي لنفسه، ولم أعلم بذلك إلا عندما ذهبت عنه، لأنني لم أكن أتصور حدوث مثل هذا الأمر.

البحث عن فندق :

خرجنا بأمتعتنا للبحث عن سيارة أجرة. فتجمهر علينا بعضهم، وهم يقولون: عشرون نيرة، وأخيراً جاء واحداً من البلد ورضي بعشر نيرات إلا أنهم اختصموا معه، وقالوا ليس عضواً في (تاكسيات) المطار وحملنا أحدهم بما رضى به من العشر نيرات، وتساوي حوالي تسعة عشر دولاراً أو ستة وستين ريالاً سعودياً.

وكان السائق بل كل واحد منهم يتكلم مع قومه ومعنا بشدة وعنف وكأنه قد فقد أعصابه أو كأنه قد انتهى لتوه من خصومة عنيفة. حتى السائقون فيما بينهم كان بعضهم يلح على الآخر بنفير سيارته لأدنى سبب، ولايصبر عليه، وسائقنا كان إذا رأى شخصاً يريد أن يعبر الطريق من بعيد. أخذ يواصل اطلاق مزمار السيارة، ويسرع في السير حتى لايمكنه من قطع الطريق قبل أن يمر بسيارته.

واجتزنا جسوراً قوية على الطريق مليئة بالسيارات. ثم أخذ السائق ذات اليمين تاركاً الشارع الرئيسي لأمر لاندري ماهو، وإذا بجنود ثلاثة يوقفونه، ويسألون ماذا في هذه الحقائب التي في السيارة؟

وأردت أن أغضب فهذه حقائبنا. التي لم يجرؤ الموظف في المطار على السؤال عما تحتويه بسبب الجواز السياسي. يأتي جندي في الشارع فيسأل عما فيها.

ولذلك قلت له بقوة: إنها حقائبنا. وكأنما أثرت فيه هذه القوة. فسمح لسيارتنا بالتحرك، وأما السائق فقد قال: إنها الحكومة، إنها الحكومة، يريد أنها يحق لها أن تسأل عما تحتويه الحقائب، ولك أن تتصور غرابة أن تكون قادماً من المطار بعيداً عنه. فيوقفك شرطي ويسألك عما تحتويه حقائبك.

وسار مع طريق جيد ذي ثلاث مسارات أحياناً، ومسارين اثنين في بعض الأحيان، وعليه جسور قويه متقنة، ومع ذلك هي كلها ممتلئة بالسيارات، والسائق يكرر قوله: (هولدي إن) بعيد، والزحام شديد، ولذلك طلبت نقوداً كثيرة.

لأننا كنا قد طلبنا منه أن يذهب بنا إلى فندق (هولدي إن) ولكن الفندق عندما وصلناه قال: إنه لايوجد عندهم غرف خالية، وجربنا

غيره ثانياً وثالثاً وأما الرابع فإن سائق الأجرة قال: إنه لن يذهب إليه إلا إذا عرف كم الزيادة التي سنعطيه إياها فأخبرناه أنها خمس عشرة نيرة.

ووصلنا إلى فندق اسمه (فيدرال بالاس هوتيل) أو فندق قصر الإتحاد. فكان مدخله جيداً على البعد. فسألت الموظف فيه عما إذا كانت عنده ثلاث غرف منفردة؟ فأجاب: إنه ليس عنده إلا غرفتان مزدوجتان أي : في كل غرفة سريران، فسألته عن سعر الغرفة الواحدة؟ فأجاب: إنه اثنتان وأربعون نيرة.

فقلت: أريدهما، فلما ملأت البيان المطلوب في العادة. أعطاني ورقة وقال: احضر لي من الصندوق مايثبت أنك قد دفعت الأجرة. فقلت له: أهي ضرورية الآن؟ قال : نعم قلت له : وهذا الجواز الدبلوماسي؟ قال: لابد من الدفع مقدماً.

قلت له: إذا اعطيك شيكات سياحية غير موقعة أكثر من هذا المبلغ بمثابة تأمين. حتى أعطيك في الصباح فقال: لاأقبل إلا الدفع الآن، وإلا لن أسكنك.

وكنت لاأحب الدفع الآن لأن صرف الدولار في غير الفندق هو أربع وثمانون نيرة في مائة دولار، وفي المطار صرفوا الـ ٥٧ نيرة بمائة دولار. وعندما أصر اضطررت للدفع فأخذ مني مائتي دولار، وكتب أن المطلوب مائة نيرة. مع العلم بأن الأجرة هي (٨٤) للغرفتين، وأنني أفهمته أننا لن نقيم عنده إلا ليلة واحدة، وزاد على ذلك بأن نقص صرف الدولار فأخذ عن كل نيرة دولارين، ولكننا عندما أردنا الخروج في الصباح أعطاني ست نيرات ونصفا فهو أخذ

زيادة عما في الإيصال الذي كتبه بنفسه تسع نيرات ونصفا. إلى جانب ما أخذه من نقصه في الدولارات عن الصرف في بنك المطار. الذي يكون في العادة غالياً مبلغ خمسة عشرة نيرة، إلا إذا كان قد احتسب طعام الإفطار بالنيرات التسع التي اقتطعها فهو لم يقل ذلك، ونحن لم نوقع على شيء في المطعم. هذا بالإضافة إلى معاملته التي ليس فيها من المجاملة شيء، ومن الإنصاف له أن أقول إنه لم يكن يخصنا بهذه المعاملة وحدنا، بل هذا فعله مع سائر الذين رأيتهم حوله.

نزل زميلاي الشيخ عبدالعزيز الربيعان والشيخ إسماعيل بن عتيق في إحدى الغرفتين ونزلت في الأخرى، وكلتاهما من ذوات السريرين، ولكنني وجدت المكيف في غرفتي لايعمل، فظننت أن ذلك لانفصاله عن التيار الكهربائي، وأسرعت ألتمس أحداً من العاملين في الفندق ليوصله به، فلم أجد أحداً.

وأخيراً . . وجدت باب إحدى الغرف مفتوحاً، فناديت من فيها، وسألتهم عمن يصلح هذا المكيف؟ فقالوا: إن المكيف في غرفتنا متعطل منذ مدة ولذلك فتحنا النوافذ والأبواب كما ترى، وكل المكيفات في هذا الصف متعطلة ، ولكن الصف الذي فيه غرفتك فيه غرف صالحة، وبالفعل كان المكيف في غرفة زميليّ صالحاً.

فاتصلت بالهاتف بموظف الاستقبال، وطلبت منه أن يرسل إليّ من ينظر في المكيف، والمهم أن يأتي من يعرف الأمر ويقول إنه يمكن إصلاحه أو لايمكن . فقال: سوف أبعث إليك شخصاً يصلحه وانتظرت في الحر الشديد، والرطوبة المرهقة للأعصاب، فلما أيست

اتصلت به ثانيـة، فقـال إنه قـادم إليك، وانتظرت أكثـر من المرة الأولى على مـضض، ولم يأت أحـد، فنزلت إليـه بنفسي وحـدثتـه عن المكيف المعطل فـأجـاب: إن هـذه مـشكلة عـامـة أو (جنرال بروبـلم) على حـد لفظه. فقلت له: كـان أولى بك أن تقول لي هذا من قبل. لا أن تحـبسني في الغرفة وأنا انتظر من يأتي واترك الجلوس في غـرفة زميلي الباردة لهذا السبب.

واحـتجت أن أشـرب مـاء باردًا. وكانوا قـد وضـعوا (زمـزميـة) أي وعـاء حفظ الماء باردًا في الغرفـة ليس فـيـها مـاء، فـذهبت أبحث عن غرفة لخـدمة هذا الطابق فوجدتها قـد كتب عليها (خـدمة) وبابها الذي فوقه هذه الكتابة زجاجه محطم، وفـيها باب آخر يفتح على جهة أخرى ليس فـيه زجـاج، وقد أسود مـاحول مـقبض البـاب من الاتساخ حـتى صـار حـالك السـواد، وكـرهت الماء من هذه الغـرفـة، ولكـنني وطنت نفسي إذْ رأيت برادة كهـربائيـة، وهي التي تبـرد الماء وحده فـوجدتهـا لاتعمل ويبين عليها أن ذلك كان منذ مدة.

ولما عدت أريد غـرفتي رأيت بنية صـغيرة، فسألتهـا عن الماء البارد فـأسـرعت تريـنـي هذه الغـرفــة القـذرة. التي هي خــاليـة من الخــدم وتجاوزت الآلة لأنهـا تعرف أنها خـربة ثم مدت جسـمها ترفـعه لتنظر في سطل أي: إناء فـوق مـائدة خـشـبيـة عـاليـة، وهي تقـول: هنا الماء البارد، إلا أنها التفتت إليّ وهي تقولُ بأسف: لقد نفد.

ولما رأيت هذا السطل وجـدت أنه لم يبق فـيـه إلا مالا يـغرفـه الإناء وهو متسخ، وإذا بهم يعطون الناس الماء الذي يشربونه منه.

ودخلت حمـام غرفتي فإذا بالحـمام أكثره يحتـاج إلى إصلاح، والماء في حـوض الاستـحـمام يصب من (الدش) ومـن أسفله في آن واحـد ، وهو يتسرب من حنفيته باستمرار، ومع ذلك رأيتهم كتبوا فوق الحمام: (من فـضلـك؛ اغلق الحنفيــة). وتحت هذه الجـملة؛ عـبـارة (النزلاء مسئولون عن أي تلف أو ضرر يلحق بالسجاد أو غيره مما في الغرف ماداموا سـاكنين فيها) وهي عبـارة عجيبة لم أرها فـي غير هذا الفندق العجيب.

وأما الوضع في الغرفة فإنه لايبـعد عن ذلك. فأبواب خزانة الملابس لايسـتطيع أن يفـتـحـهـا أو يغلقـهـا إلا رجل ذو قـوة شـديدة، لأنـهـا من السحّاب التي لاتنزلق، ولذلك لم استعملها والمكتب في الغرفة موضوع في أكـثر المواضع فـيـها بعـدًا عن النور، وليس فـيه أي ورقـة تدل على استعمال الهاتف أو غيره.

أزمـة عشـاء :

وأزمة العشاء فـيها شبه من أزمة الفندق نفسه، فـقد نزلنا إلى القاعة نبحث عن المطعم، وكانت القاعة حارة رطبة لأنها ليس فيها شـيء من التكييف، ووجـدنا مطعمـاً صينيـاً فـدخلناه، ولكن أحد العمال فـيه ردنا بجـفاء قـائلاً: إن آخر طلب في المطعـم هو الساعـة العاشـرة والنصف ونحن الآن في الحادية عشـرة، ولم ننتبه إلى أن توقيت لاجوس مـتقدم على توقيت غـانا بساعة واحدة، فـسألنا عن مطعم آخر فـقالوا: إنه في طرف القاعة فوجدناه معلقًا عليـه كلمة (مغلق)، وجلسنا في القاعة في الحر على مقاعد معظم مافيها من الطلبات هي المشروبات. فجاء خادم لطيف الطبع. فـسـألناه عن العـشـاء فـقال: إنـه لايوجد عـشـاء، وإنما

يستطيع أن يأتي لنا بدجاج مع البطاطس من البار، وزجاجات من الميرندا ففرحنا لذلك.

وجاء بالدجاج ثلاثة أطباق في أحدها معه بعض البطاطس المقلي، وليس في الطبقين الآخرين شيء فسألنا عن تفسير ذلك، فقال: إن البطاطس نفد. فسألناه خبزًا فقال: إنه لايوجد عندهم. فقلنا: كيف نتعشى دجاجاً وحده، فجاء بفطيرة صغيرة واحدة، وطلب عن الجميع ١٨ نيرة ونصفا أي مايساوي بما صرفناه من دولارات (٣٥) دولاراً أو أكثر من مائة ريال.

وعند النوم فتحت النوافذ كلها، ودخل معها البعوض يلسع ويلسع، واخترت لسعه على الحر الخانق في غرفة ثمنها مائة دولار إلا ثلاثة دولارات. أي : مايعادل ثلثمائه وعشرين ريالاً سعودياً في الليلة الواحدة.

وعندما ذكرت ذلك لبعض موظفي السفارة وأنني اخترت لسع البعوض على الحر. أجابوا بأنهم يؤثرون الحر على لسع البعوض، لأن البعوض خطر، وهو ينقل حمى الملاريا الموجودة في هذه المنطقة من إفريقية الغربية.

يوم الأحد ١٤٠١/٥/١٦هـ الموافق ١٩٨١/٣/٢٢م

كان الإفطار في مطعم للفندق في موقع جميل إذ هو مكان مرتفع يطل على حديقة واسعة. بعدها مباشرة تأتي مياه ميناء لاجوس، ويرى المرء منه البواخر الكبيرة في الميناء، ويعجب من استطاعة مياهه أن تتحملها، ولاشك في أنهم كانوا قد عمقوه لهذا السبب.

وكان الإفطار جيداً. لولا أنهم لم يقدموا المربى، وقالوا: إنه لايوجد لديهم كما أنهم قدموا عصير أناناس متغير، وكنت طلبت منهم عصير برتقال، فقالوا: إنه لايوجد عندهم، وكان الذباب كثيراً فيه لأن المطعم هذا مفتوح على الهواء الطلق وليس فيه تكييف وهذا الذباب الذي رأيته هنا لم أره في أي فندق دخلته في إفريقية الغربية قبل هذا الفندق الكبير الذي أصابه الغلاء، وسوء الاستقبال وترحمت على فندق (تيرانقا) في السنغال بل على السنغال كلها التي يأخذون منك نقوداً كثيرة. لكنهم يقدمون لك خدمات جيدة نظيفة، بأنفس سمحة رضية.

ومن هذا المطعم في الصباح يلاحظ المرء منا في حديقة الفندق الواسعة ما لاحظه في حديقة فندق (رنقوي) في (أكرا) من كثرة السحالي، أو الحرباءات الكبيرة التي تكون في بعض الأحيان ملونة، ويعجب من نموها بهذا القدر، ويعتقد أنه لو كانت توجد عندهم كلاب، أو قطط كثيرة أو طيور جارحة لما نمت هذه الحرباءات بهذا الشكل الملفت للنظر.

وقبل الساعة الثانية عشرة انتقلنا من هذا الفندق الذي لايطاق الجلوس فيه إلى مكتب الملحق الديني في نيجيريا، وكان الملحق نفسه الأستاذ عبدالعزيز الملحم غائباً عن لاجوس في مدينة كانوّ.فاستعنا بالأخوين الكريمين عمر الخزيم وإسماعيل صفطه من موظفي السفارة السعودية في البحث عن غرف مريحة في أحد الفنادق، فكانا معينى خير، إذْ تعاونا مع موظف مغربي في الحصول على ذلك من فندق (هولدي إن) وسكنا فيه بأجرة للغرفة ذات السرير الواحد (٤٥) نيرة أي (٩٠) دولاراً بصرف الفندق.

وعندما كنا في مكتب الاستقبال في هذا الفندق، وكان أخوانا الكريمان و(الدبلوماسي) المغربي واسمه عمر ... يحاولون أن يملأوا البيانات اللازمة للنزول. لاحظت من طبيعة معاملة القوم لهم ما ازعجني إذ عرفت أن النيجيريين كانوا يجاملونني في المعاملة، وأنهم كانوا يعاملون الآخرين من هؤلاء العرب العاملين في السلك السياسي في بلادهم معاملة جفاء وغلظة، وعدم مبالاة حتى لقد استغرق إجراء دخولنا إلى الغرف ساعة إلا ربعاً، وهو كان يتم في فندق (هولدي إن) في البلدان المتقدمة إدارياً في خمس دقائق أو ثلاث.

وعندما دخلت غرفتي ورأيت صغرها قلت للأخ إسماعيل صفطه أكل هذا العمل من أجل هذه الغرفة الصغيرة؟

فقال: ولولا الوساطة والشفاعة ماحصلت.

ومن نافذة هذه الغرفة يطل المرء على منظر بديع، إذْ يرى تحته مياهاً نهرية. يأتي بعدها شريط من اليابسة ضيق. عليه منازل مزدحمة بعده مياه المحيط. بحيث يبدو ذلك الشريط كأنه البرزخ الذي يفصل بين هذين المائين فلايبغيان.

وتقع الغرفة في أعلا أدوار الفندق وهو الحادي عشر، ومع ذلك لم تخل من المنغصات، فقد كانت أرضها تنضح بالماء. بحيث لاتستطيع أن تسير عليها بالجوارب، لأنها تبتل وعندما خلعتها خيل إليّ أن الماء ينبع من بين أصابع رجلي إذا مشيت فيها. فخشيت أن يكون هذا الماء قذراً، ولم أجد من أسأله إلا بعد حين. إذ جاء خادم للغرف فسألته عنه فقال: إننا كنا قد غسلنا سجاد الغرفة هذا الصباح. لأنه كان قذراً،

ولذلك تراه رطبـاً، وقـد غسلوا السـجاد دون أن يحـركوه من مـوضعـه لأنه كـان من الموحد المـسمى بالموكـيت، ولم يجـففـوه أو يجـففـوا أرض الغـرفة بعد الـغسل، وفي الليل انقطع الماء عن الغـرفة كلـية لفتـرة من الوقت، ولم يكن فـيهـا وعاء مـعد للإحـتـياط لذلك كـما كـان في الفندق الذي تركناه.

وفي أول الليل كان هناك حفلة عشاء بجـانب بركة السباحة، وكانت الموسيـقى تواصل إزعاج النزلاء الذين يريدون الهـدوء أو النوم، ثم في الليل كله كـانت هنـاك أصوات تـشبـه أصـوات المحـركـات الثـقـيلة أو القطارات لاأدري مبعثها.

لاجوس:

اسم اطلقه البـرتغاليـون على المدينة المعروفة عند أهـلها بمدينة ايْكُوْ وقـد سـمـيت بلاجـوس نظـراً لكونـهـا تقع على جـزيرة من بحـيـرة مفرطحة.

والمدينة أسسها جماعة نزح بعضهم من قرية إشَيْرِى، وبعضهم من مدينة أوْتا وآخرون منهم من مدينة بنين.

وقـد رست في لاجـوس أول بـاخـرة برتغـاليـة سنة ١٤٨٢م، ولم يعـرفـها الانكليز إلا في سنـة ١٥٥٣م، فصـاروا يقـصـدونها لتـجـارة الرقيق وحاصلات إفريقيا. حتى صار لاجوس سوقـاً كبيرة للاوروبيين جميعـاً.

وفي سنة ١٨٤١م بعثت الحكومة البريطانية ١٤٥ رجلاً بحريـاً إلى «لو كـوجا»، حـيث يلتقي نهـر بَينُوي بنهـر النيجـر، واتخذها الانكليـز

قاعدة للتفاهم مع الملوك والأمراء في ايقاف النخاسة. فأصيب عدد كبير من الوفد بالحمى فماتوا. ثم لم يزل الانكليز يرسلون البعثات الواحدة تلو الأخرى. حتى سنة ١٨٤٩م. حيث عينوا جون بيقروفت حاكماً رسمياً، وسفيراً لإصلاح ذات بين التجار والملوك المتنازعين فيما بينهم، ولمحاولة ايقاف النخاسة. فامتنع الملوك والرؤساء من قبول هذا الشرط فوقع الخلاف بينهم وبين بيقروفت.

يوم الاثنين: ١٤٠١/٥/١٧هـ - ١٩٨١/٣/٢٣م

جولة في لاجوس :

كان رفيقا الجولة الشيخين مصطفى زغلول سنوسي من أخواننا النيجيرين الذين يجيدون التحدث باللغة العربية بطلاقة والشيخ عبدالعزيز الربيعان، ولما أراد الشيخ مصطفى أن يذهب بنا بسيارته تذكر شيئاً وقال: طيب. فقلت: ماذا؟ فقال: اليوم من الأيام التي يجوز فيها لسيارتي أن تسير داخل مدينة لاجوس، وذلك بأن الحكومة قد خصصت أياماً يسمح فيها بالسير للسيارات التي تبدأ بأرقام معينة وأياماً أخرى للسيارات التي تبدأ لوحاتها بأرقام أخرى، وذلك من أجل التخفيف من زحام السيارات في مدينة لاجوس.

قال: أما سيارات الأجرة والسيارات (الدبلوماسية) فإنها لاتخضع لهذه القيود، ولاتسري هذه القيود إلا مابين السادسة صباحاً إلى السادسة مساءً.

خرجنا من فندقنا (هولدي إن)، ولكنهم يسمونه (إيكو هولدي إن) ويقع في أرقى حي من أحياء لاجوس يسمى (فيكتوريا آيلاند) أي:

جـزيرة فيكتـوريا، وفـيه بعض الدوائر الحكومـيـة الهامـة، والسفـارات الأجنبية، ومنها السفارة السعودية، وهو ذو شوارع واسعة، وعمارات عاليـة ولكنها ليست متـراصة، بل هي متفـرقة إلا أن أرصفتـه ترابية، ونظافـته ليـست على مقـدار فخـامتـه ووجاهتـه، بل هي أقل من ذلك. ويليه في الأهمية في داخل العاصمة حي يسمى (ايكوي).

ومن الغـريب أنه يوجـد هنا في لاجـوس - وفي هذا الحي بالذات - من بين الأشـجار الضـخـمة أشـجار (الجـزورينا) أو الأثل الامـريكي، وهي قليلة في البلاد الاستوائية الإفريقية.

وفي أطراف هذا الحي توجد الجسـور الاسمنتية التي هي كـثيرة في هذه العاصمة الإفـريقية الكبيرة، وعامل كبيـر في تخفيف الازدحام في سير السيارات، وكنا نسير فوق أحدها مدة على أيسارنا ميناء لاجوس المزدحم بالبـواخر، وكنا نـشاهد بناء عـاليـاً. على هيـئة برج في أعـلاه جـزء قائـم، والبناء مـؤلف من ٢٥ طبقـة. قـالوا: إنه برج الاتصـالات اللاسلكية.

أما السيارات هنا فليست بالـقدر الذي سمعت به من قبل، ولا بالذي يستوجـب اجراء شديداً مثل منع بعض السـيارات، ولكنـي لاحظت أن الناس يقودون سياراتهم، وكأنهم بأعصاب مشدودة. فلاينتظر بعضهم بعضاً قبل أن يزعجـه بنفير سيارته. وتجاوزنا جسـراً كبيراً على خليج من البحر. هو أحد الخلجان التي تحيط بجزيرة (لاجوس).

وانتقلنا بسـرعة إلى حي آخر كـان في القديم منفصـلاً عن لاجوس، فـرأينا فيـه على أيماننا ملعبـاً رياضياً قـديمـاً غـير بهـيج المنظر، وذلك

بلاشك منسجم مع مايحيط به من هذا الحي الذي يبدو قديماً، وإن كان في الحقيقة أقل من ذلك في القدم، وأرصفته كأكثر الأرصفة في مدينة (لاجوس) ترابية.

سوليري أو من صبر ظفر :

وصلنا إلى حي آخر اسمه (سوليري) قال لنا الشيخ مصطفى زغول: أن معنى ذلك (من صبر ظفر). منازله جيدة أغلبها من ثلاث طبقات. كلها مبينة من الإسمنت، والنظافة فيها ليست على مايرام، ولكنك تشعر وأنت تسير فيها كأنك تسير في مدينة هندية، أو في حي عربي قديم. لولا أنه أقل من الاثنين نظافة، والشعب الذي فيها يخيل إليك إذا لم تنظر إلى لونه أنه شعب هندي أو عربي. لكن إذا نظرت إلى بعض عاداته التي لم تطمسها المدنية الحديثة وجدتها ظاهرة. مثل أن تمر بعض النساء، وطفلها خلف ظهرها مربوط إليها بحزام، وأن تجد امرأة في حانوت صغير، ومثل هذين الأمرين قليلا الوجود في الحي الراقي الذي فيه فندقنا (فيكتوريا ايلند).

موشن المدينة التي أصبحت حياً :

كما يكون في المدن التي تنمو بسرعة، فتبتلع مايحيط بها من مدن أو قرى صغيرة. فإن (موشن) كانت مدينة منفصلة، ولكن لحق بها عمران لاجوس واحتواها.

والقصد من الذهاب إليها ليس هو السياحة مع أن السياحة إليها سبب معقول، وإنما سبب ذلك هو زيارة مدرسة الدعوة والإرشاد التي أنشأها صاحبنا الشيخ مصطفى زغلول سنوسي هنا.

وقد وجدنا سوقها مزدحماً بالمارة، وأكثرهم من الإفريقيين الأصلاء الذين قد ارتدوا لباساً أوروبياً شفافاً. لايخفي أصالتهم الإفريقية. مثل ارتداء اللباس الإفرنجي المخفف الذي لايحتمل الجسم منه غير القميص الذي ليس تحته شيء مع السروال، وبعضهم يختصر ذلك فيلبس السروال قصيراً، ولكن هؤلاء ليسوا بالأغلبية.

وأما النساء فقد لبس أكثرهن القمص الإفرنجية (الفساتين) وبعضهن باللباس الوطني الفضفاض.

ووقفت السيارة عند بيت قديم مبني من الإسمنت المسلح، فصعدنا إلى الدور الثالث، ونحن لم ندر ما هذا البيت. إذْ لم يخبرنا مرافقنا به فدخلنا غرفة استقبال فيه.

الطبل والتلفاز :

وتعظيماً للطبل الافريقي العريق، أو لسبب لاأعرفه. وضعوا فيها الطبل فوق التلفاز (التلفزيون) الأبيض، وكان هذا فيما يظهر من بقايا تقليد قديم.

واستقبلنا في هذه الغرفة الواسعة رجل كان يجلس في صدر الغرفة التي علقوا في واجهتها صورة أحد الوجهاء بالحجم الطبيعي، وأكبر من ذلك قليلاً وكتبوا تحتها إنها صورة (الحاجي ... بوصيري أو لومسوقو)، وقبل ذلك عدة ألقاب منها هذا اللفظ بحروف انكليزية، وهو رجل يستحق أن ينوه به. من كبار أغنياء المسلمين الذين يقدمون المال لخدمة الدعوة الإسلامية.

ومن مظاهر أهمية مركزه أن هذا الجزء من (موشن) الذي نحن فيه الآن سمي (اولومسوقو) على اسمه. و لكونه أول من نزل فيه وعمره.

وله حسنات منها أنه أعطى المدرسة التي سنزور مقرها التي هي فيه بصفة مؤقتة، وهو مقر مبني، بدون أجرة. حتى تجد المدرسة مكاناً لها آخر، وتستغني عن هذا المكان.

وغاب الشيخ مصطفى هو والشخص الذي كان في المجلس، وهو ابن الحاج بوصيري رحمه الله فترة ثم رجعا، وقال الشيخ مصطفى: هيا بنا، فتبعناه، وقلنا له: ماهذا المكان الذي كنا فيه؟ فقال: هذا مكان يستريح فيه ضيوفنا وزوارنا، ولكن الذي فهمته أنه أجلسنا فيه، وذهب إلى مدرسته القريبة منا. ليجعل المدرسين والطلبة فيها يتهيئون لزيارة ضيوفه.

صجة الطلعة :

كان من علامات اجتهاد (المطوع). أي مدرس الأولاد في مدارسنا القديمة أن يكون لتلاميذه صوت عالٍ بالقراءة، لأن ذلك كان يدل في أذهان الناس على أنه لم يفرط في وقت طلابه، وإنما جعلهم طول الوقت ينشغلون بالقراءة وأذكر أن المدرسة أو الكتّاب الذي تعلمت فيه كان (المطوع) وهو المعلم. يأمرنا بأن نرفع أصواتنا بالقراءة، وكل تلميذ له شئ يقرأه غير ما للآخرين، حتى إذا أحس أننا قد فترنا قال: (صجوا صجة الطلعة) أي: صجوا بالقراءة لأنكم ستخرجون من المدرسة هذا اليوم قريباً.

ذلك ماتبادر إلى ذهني عندما وصلت إلى مدرسة الدعوة والإرشاد فقد كان لطلابها أصوات مرتفعة مختلطة بالقراءة، وذلك لأنها في مكان ضيق جداً. مؤلف في الأصل من قاعة واحدة. ففصل مديرها بين الفصول بألواح من خشب كبيرة. مرفوعة عن الأرض كالسبورات، وظلت أصوات الطلاب ومدرسيهم في كل فصل تشوش على الآخرين.

وقال الشيخ مصطفى: إن مدرستنا هذه كما ترون صغيرة جداً ومزدحمة ولذلك جعلنا ثلاثة فصول منها خارج هذا المكان، ولكننا الآن لدينا مشروع بناء مدرسة كبيرة حديثة سأوريكم إياها بعد ذلك.

وقد لاحظت أن أغلب طلابها. هم من كبار السن بالنسبة إلى مرحلة الدراسة فيها، وهي المرحلة الابتدائية، وجميع الطلاب فيها على رؤسهم (الطواقي) البيض، وقال الشيخ مصطفى: إننا نلزمهم بذلك لأنه ليس من الوقار أن يكون العالم أو الإمام مكشوف الرأس، وأذكر أن هذه النظرة موجودة أيضاً في شرق إفريقية، فقد رأى الشيخ أحمد مشهور الحداد أحدنا عندما كنا في أوغندا عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م يمشي حاسرا. فنصحه بلطف ونهاه عن ذلك، وقال: لايجوز للعالم أن يكون حاسر الرأس كما يفعل العوام، وقال: إن الطالب يدفع للمدرسة عشرين نيرة سنوياً.

والكتب الموجودة بأيدي الطلبة عندما دخلناها كلها عربية.

وغادرنا المدرسة قاصدين ناحية أخرى من المدينة، ومررنا بمحطة لبيع المحروقات. فسألنا بهذه المناسبة عن قيمة (البنزين) فأجابوا بأن (الجالون) يباع بسبعين قرشاً.

مع أن نيجيريا من البلاد المصدرة للنفط.

وقابلتنا بعض النسوة يحملن على رؤسهن أوعية مليئة بالماء، وهن يمشين رويداً في شارع مزدحم بالسيارات، وقال الشيخ مصطفى: إنهن ممن لم يدخل الماء في بيوتهن، أو ممن انقطع عنهن الماء لأنه ينقطع في بعض الأحيان.

ورأيت أتربة جافة في الشوارع. حتى إن بعض السيارات إذا مرت عليها بسرعة أثارتها عجلاتها، وهي بهذا المظهر الجاف تشبه بعض البلاد العربية، غير المطيرة، فسألت عن موسم الأمطار فقالوا: إنه يحل في آخر هذا الشهر الحالي شهر مارس أو أول الشهر القادم شهر ابريل، وقال الشيخ مصطفى إن فصل الجفاف الذي نحن في آخره قد استمر حوالي ثلاثة شهور.

وسفلتة الشوارع التي مررنا بها رديئة، والأرصفة فيها معدومة، ومجاري المياه على جانبي الشارع ظاهرة القذارة.

أما البيوت فإنها إسمنتية ذات سقوف أوساطها مرتفعة لينزلق عنها المطر. دون أن تصل إلى حد التسنيم، ورأينا حماراً غير جيد النوع، وهو أول حمار نراه في افريقية التي مررنا بها كلها حتى إنني سألت الشيخ سليمان منصري في ليبيريا، وهو من أهل سيراليون: عما إذا كان الحمار يوجد عندهم، لأنني لم أشاهده في القرى والأرياف رغم كثرة الأعلاف، فأجاب: أنه لم يشاهد الحمار إلا عندما وصل المملكة، وأنهم في بلادهم لايعرفونه، وربما كان السبب في عدم وجوده في المناطق الاستوائية. هو وجود حشرات أو أمراض لايستطيع مقاومتها.

وعلق الشيخ مصطفى على استغرابنا لمنظر هذا الحمار الوحيد بأن قال: إنه لابد أن بعضهم أحضره من شمال نيجيريا. أما في المناطق الجنوبية فإنه غير موجود.

وإذا تركنا الحمار وشأنه، ونحن سنفعل ذلك. فإن الجمل هو وسيلة قوية للحمل، وهو مصدر ضخم للحم. الذي لايكاد يصل إلى أكله إلا القلة القادرة من أهل هذه البلاد الإفريقية الغربية الخضراء المطيرة. وذكره هنا قد يتبادر للذهن، وقد يتبادر للذهن أيضاً أن الجمل خلق للصحراء، وأن أنسب الجواء إليه هو الجو البعيد عن خطوط الاستواء، فإننا لابد من أن نتسأل عن السبب في ذلك، وعما إذا كان ذلك لشيء في الطقس لاحيلة فيه، أم لشيء في حشرات هذه البلاد أو حشائشها، فذلك قد تكون له حيلة تمكن أهل هذه المناطق من اقتناء هذا المصنع الضخم. الذي يحول الحشائش التي تضايقهم في بعض الأحيان حتى يضطروا إلى حرقها إلي لحم وشحم فضلاً عن الجلد والعظم.

ووصلنا إلى حي يدعى (اسولوا) فيه المقر الجديد لمدرسة الدعوة والإرشاد، وما هو تابع لها من إنشاءات أخرى، ومن ذلك أرض مخصصة لبناء المسجد داخل السور الخارجي لها، ومساكن للمدرسين قد قاربت التمام، وكذلك بناء المدرسة قد قارب التمام أيضاً، وهو ذو فصول واسعة، مؤلف من طبقيتين بالإسمنت المسلح، ويتبع ذلك أرض واسعة. ولديهم أرض يقولون إنهم قد خصصوها ليبنوا عليها مهاجع للطلبة.

وقال الشيخ مصطفى إننا بنينا ما بنيناه بمساعدة من جهات مختلفة منها تاجر نيجيري، وتاجر عراقي مقيم في نيجيريا، ووزارة الأوقاف العراقية.

ورأيت في هذا المكان جماعة من حوالي ثمانية أشخاص. واضح أنهم من الغرباء ليس بسبب لونهم فهم في سواد النيجيريين أو أكثر ولكن تقاسيم وجوههم أقرب إلى التقاسيم العربية، وزاد الأمر غرابة حين سمعتهم يتحدثون بالعربية بلهجة سودانية. فسألته عما إذا كانوا من السودان فأجاب: لا، إنهم من تشاد كانوا من الذين هربوا من الحروب والاضطرابات، وأقاموا هنا في عشة حملها الاعصار بعيداً ودمرها. فجاءوا إلى هذا المكان عندما عرفوا أنه بناء مدرسة إسلامية. فسمحنا لهم بالبقاء هنا من أجل حالتهم، ولأن وجودهم يكون بمثابة الحراس.

وقد تحدثت إليهم بالعربية. فأكدوا ذلك ووجدت مع أحدهم آلة خياطة (مكينة)، وهو يخيط قميصاً نسائياً، فسألته عن أجرة خياطته؟ فأجاب إنها عشر نيرات.

ولم أكن أصدق ذلك فعشر نيرات تساوي عشرين دولاراً، وهو مبلغ كبير بالنسبة إلى أجرة خياطة مثل هذا القميص (الفستان) في بلادنا.

وتأكد في ذهني ماسبق أن انطبع فيه. من أن المشكلة في إفريقية الغربية هذه ليست في عدم وجود العمل. ولكن المشكلة في عدم محبة الناس للعمل، وإيثارهم الراحة عليه، أو جهلهم بالطرق الصحيحة فيه.

ثم عدنا إلى الفندق في الساعة الثانية عشرة والنصف ولم أر الزحام شديداً كما كنت قد سمعت عنه من قبل.

ومن الأشياء المقرفة التي رأيتها وأنا في السيارة. فتقززت نفسي. أن أحد العمال كان يريد إسمنتاً أو غيره ولكنه شيء فيه الحصباء فكان يأخذ بسطل معه ماء من ماء المجاري الموجود في الشارع، وينثره بقوة على هذه الحصباء، فتنتشر من ذلك رائحة قبيحة تؤذي المار ولو كان في سيارة مسرعة.

وكان الغداء هذا اليوم على مائدة الأستاذ الكريم عمر الخزيم القائم بالأعمال في السفارة السعودية إذ السفير ليس موجوداً الآن في نيجيريا، وكانت في شقة من عمارة في حي (ايكوي). الذي هو الحي الثاني من حيث الرقي في لاجوس بعد حي (فكتوريا ايلاند) الذي فيه السفارة.

وعلى مائدة الغداء أخذ الأستاذ عمر الخزيم يعتذر بعدم وجود أهله معه الآن، وبأنه إذا كان في صنع الطعام تقصير. فإن ذلك من الطباخ الذي لم يتمرن تمرناً كافياً على طبخ الطعام العربي، ولم يكن في الطعام قصور، وكان متعدد النوع، كثير الكم، على طريقة قومنا العرب في الاكثار من الطعام وحضر المأدبة الأستاذ إسماعيل صفطة من موظفي السفارة، وهو من أهل مكة المكرمة، ونعم الرجل هو في النخوة والشهامة، ومساعدة إخوانه السعوديين الذين يصلون إلى هذه البلاد. كما حضرها اثنان من العاملين في مكتب الملحق الديني في نيجيريا وهما الأستاذ عبدالعزيز بن قعود والأستاذ عبدالعزيز اللحم.

أما العشاء فإنه كان في مطعم الفندق، ولكنه كان غالياً، وكانت خدمة العاملين فيه سيئة وقد كتبوا سعر الوجبة بعشر نيرات ونصف أي: واحد وعشرين دولاراً بصرف الفندق، ويساوي ذلك واحداً

وسبعين ريالاً سعودياً، ومع ذلك كتبوا في الإعلان عن الطعام: إن شربة اليوم والحلوى داخلة في هذه القيمة. ووجبة الغداء المعتادة مثل ذلك، وأما الإفطار فهو بأربع نيرات ونصف أي تسعة دولارات أمريكية، وتعادل ثلاثين ريالاً سعوديًا.

ومع ذلك فالفندق لايقبل أن يسكن أحدًا إلا بعد أن يدفع قيمة الغرفة للأيام التي سيقيمها فيه مقدماً. مع مبلغ جيد بمثابة الاحتياط لما قد يتناوله من طعام في الفندق بمعدل يومي يزيد وينقص حسب الأيام التي سجلها.

فيبلغ مجموع قيمة الأكل دون الأشربة الأخرى الضرورية. مثل الشاي والقهوة مائة وسبعين ريالاً في اليوم.

يوم الثلاثاء : ١٨/٥/١٤٠١هـ - ٢٤/٣/١٩٨١م.

إلى الجامع المركزي :

يقع هذا الجامع في وسط مدينة لاجوس القديمة. لذلك تكون زيارته هي في الوقت نفسه زيارة لجزء من هذه المدينة القديمة، وبعدها السفر أو على الأدق الخروج من لاجوس إلى مدينة (اجيجي) لزيارة مركز التعليم العربي الإسلامي في تلك المدينة.

كان الرفقاء في هذه السفرة، وهذه الرحلة الأخوين الزميلين في الوفد الشيخ إسماعيل بن عتيق والشيخ عبدالعزيز الربيعان، ومعهما الشيخ مصطفى زغلول سنوسي.

وكانت وسيلة الانتقال هنا هي سيارة المكتب الديني السعودي في لاجوس.

كان أول ما لفت نظري عندما خرجنا من حي (فيكتوريا ايلاند) الذي يقع فيه فندقنا هو عدم الزحام الشديد الذي قرأت أخباره عن ضيق مدينة لاجوس، وكثرة ازدحام السيارات في شوارعها فصحيح أنها ليست بذلك متفوقة على غيرها من المدن الشهيرة بالازدحام، وهي أقل بكثير من الازدحام بالسيارات الموجودة في مدينة الرياض بالنسبة إلى المساحة التي تشغلها مدينة الرياض، وبالنسبة إلى عدد سكان الرياض.

ولكن الناس هنا لايتعاونون كثيرًا في تسهيل المرور، ولذلك تسمع أبواق السيارات كثيرًا عند التجاوز. أو تغيير الاتجاه ذات اليمين والشمال. إضافة إلى الحر والرطوبة التي ترهق الأعصاب، وإلى غلاء الوقود رغم كون البلاد تصدر النفط.

ومن الأشياء اللطيفة هنا أنني رأيت قومًا قد انتظموا في طابور كالصف واحدًا بعد الآخر عند ركوب الحافلة العامة.

المتحجبة الوحيدة:

من لطائف المصادفات أيضًا أننا كنا نتحدث مع أخينا النيجيري الذي معنا، وهو الشيخ مصطفى زغلول. عن كتاب له كان قد طبعه منذ سنوات عن الحجاب بعنوان (المرأة بين الحجاب والسفور)، وإذا بنا نرى امرأة إفريقية متحجبة بحجاب كامل ساتر وجهها ورأسها، وهي المتحجبة الوحيدة. التي رأيناها في كل غرب إفريقية الذي زرناه.

والمراد بالحجاب هنا تغطية الرأس والوجه.

ومررنا ببناء عال جديد قال لنا الشيخ مصطفى: إنه لطائفة من طوائف النصارى الكاثوليكيين، وإنه كان منزلاً صغيراً فهدموه وبنوا مكانه هذا البناء الشامخ الذي يدر عليهم دخلاً شهرياً ثابتاً.

ومن المفارقات أن هذا البناء الذي يقع في منطقة مليئة بالعمارات العالية أمامه مستنقع أخضر من مياه المجاري طفح من أحد مجاري المياه الجانبية، ولم يجد من يعمل على إزالته.

كان خروجنا مبكراً إذ كان بعد الثامنة بقليل، وهو وقت ذهاب الناس إلى أعمالهم. فترى بعضهم راجلاً، وبعضهم يحاول أن يصعد إلى الحافلة، وكلهم إلا قليلاً عليهم اللباس العالمي المخفف المسمى بالإفرنجي وهو القميص والسروال السميك، وعلى النساء أيضاً لباس مخفف مثله. أما النساء الأخريات الموجودات في الشوارع فإن بعضهن يرتدين الملابس الإفريقية المكومة.

ومررنا والسيارة تسرع في السير ببناء في باحته نافورة، وهو في وسط سكني راقٍ. فقالوا: إن هذا هدية من الجالية اللبنانية إلى حكومة نيجيريا قدمته بمناسبة استقلال البلاد.

اللبنانيون في نيجيريا:

بهذه المناسبة نقول كما قال لنا العارفون بالأمور في هذه البلاد: إن اللبنانيين يعتبرون الجالية الاجتماعية الأولى. التي تملك من أسباب التجارة في البلاد. أكثر مما يملك غيرها، ولهم معامل ومصانع ومتاجر كبيرة وشركات.

وكـانوا قـبل ذلك أوسع تجـارة. إلا أن الحكومة النـيجـيـرية حظرت عليـهم مـزاولة بعض الأعـمـال التجـارية التي يسـتطيع الـنيجـيـريون مزاولتها.

ويقولون: إن النيـجيري الثـري أو الموسر إذا استطاع أن يجـعل أحد التـجار اللبنـانيين يشاركـه في مـشروع تجـاري، يتـولى اللبناني إدارته فإنه يعتبر نفسه ناجحًا، ويعتبره النيجيريون (شاطرًا).

وكان في لاجوس شارع يسمى بشـارع لبنان. لكثرة المتاجر اللبنانية فيه.

وهذه المكانة للبنانيين ليست مـقتصرة على نيجيـريا وحدها. بل إنها في جميع أنحاء إفريقية الغربية التي زرناها، ورغم أنها الآن ليست في توسع لأن الحكومات الإفريقـية لاتسمح بمجئ مهاجـرين أو تجار جدد إلى بلادها. فإن الذين كانوا مـوجودين فيها قبلا لايزالـون يسهمون في التجارة بشكل نشط مؤثر.

ومما سـاعـد على ذلك أن كـثـيـرًا من الأجـانب - وبخـاصـة من الأوروبيين - لم يستطيعـوا أن يتحملوا فورة القوميـة الإفريقية في أول عهد البـلاد الإفريقية بالاستـقلال. فغادروها أو غـادرها أكثرهم، وذلك لأن لديهم في بلادهم مجال عـمل واسع. بخلاف اللبنانيين الذين كانت بلادهم تسؤ بسبب الاضطرابات الداخلية ثم الحروب الداخلية.

وحـتى الآن قـال لـي أحـد اللـبنانيين النـاجـحين فـي غـانا، ويمـتلك مصنعـًا كبيرًا: إننا نعـاني هنا من مشكلة لا يعاني منها الأوروبيون ألا وهي مـقـاومـة أي ظلـم أو ضـيم قـد يقع عـلينا لأن الأوروبيـين لهم

حكومات قوية تحميهم وتتدخل لصالحهم، وأما نحن فإن حكومتنا ضعيفة في بلادنا، ولاتفيدنا في هذه البلاد بشيء في هذا المجال، ولذلك يعتمد كل واحد في هذا الأمر على شطارته، وعلى مايكسبه من صداقات شخصية من أهل البلاد.

على أنه مما ينبغي أن يسجل لأهل هذه البلاد الافريقية. كونهم لم تحملهم العنجهية الوطنية، والحسد على إخراج هؤلاء الأجانب الذين يخالفونهم في اللون والعنصر. وطردهم من البلاد طردًا صريحًا بالجملة، كما أنه لم تصادر ثرواتهم كلها. بحجة أنهم قد اكتسبوها من هذه البلاد، ولم يأتوا إليها بشيء من المال.

السقاء :

من المناظر الطريفة في هذا الحي النيجيري التجاري الراقي. أن رأيت سقاء يحمل على كتفه صفيحتين من الماء. قد علقهما في عصا غليظة. فأصبحا ككفتي الميزان كما كان السقاؤن عندنا في مكة المكرمة يفعلون في الزمن القديم، وهو بعمله هذا يعرض الماء للبيع لمن يشتريه.

ولاينبغي أن يظن ظانّ أن هذا قاعدة عامة في لاجوس. أو حتى في مدن نيجيريا الأخرى. فالأمر خلاف ذلك، والماء قد دخل إلى أكثر البيوت والعمارات فيها، ولم أشاهد إلا هذا الشخص الواحد الذي يبيع هذا الماء في هذا السوق، ربما لمن تكون له حاجة طارئة إلى الماء.

في سوق شعبي :

ووصلنا إلى سوق شعبي راقٍ، وليس كالأسواق الشعبية التي تكون في القرى الإفريقية. أو حتى في الأحياء الشعبية في غانا مثلاً فهو هنا

غني بمعروضاته، وفيها أشياء غالية أو نادرة. مما هو من انتاج محلي، أو مستورد من الخارج، ومن مخالفاته للأسواق الشعبية الأخرى. أن معظم البائعين فيه من الرجال، وليسوا من النساء. إضافة إلى أنه ليس سوقاً لما يؤكل أو يطبخ.

فمن معروضاته مثلاً المر، وهو الدواء الذي كان يتداوى الناس بأكله في بلادنا، ولبان محلي يبيعون بعضه مع قشور لحقته من شجره ويبيعونه بالكيل وليس بالوزن، وليس هذا ببدع من الأمر إذا عرفنا أن اللحم يباع جزافاً دون وزن، ولبانهم أقل جودة من لبان الصومال. وسبح جمع سبحة، ومصاحف وطواقٍ - جمع طاقية مختلفة الأنواع والألوان - وعطور هندية، وعنبر مجلوب من الهند أو باكستان. إلى جانب الأقمشة، وبعض الآلات الكهربائية. كالمرواح الكهربائية التي لاحظت أنه معروضة في هذه البلاد بكثرة، وذلك لقدرة البلاد على الاستيراد. والحاجة إليها لتبديد الرطوبة الحارة فيها، وهذا السوق يقع حول الجامع المركزي، ولذلك وجدت فيه هذه الأشياء التي لها علاقة بالدين مثل المصاحف والسبح.

وتحت حائط الجامع المركزي من جهة الشمال. وجدنا جمعاً كبيراً من الحلاقين والحجامين. قد جلسوا على حصر فوق الرصيف تحت جدار المسجد، وبعضهم يعمل، وأكثرهم قد مدوا أرجلهم، وهم يتحدثون يبحثون عمن يحلقون أو يحجمون، ومن المؤسف أن في الزقاق الذي فيه المسجد مثلما في غيره من الأزقة والشوارع مجرى مياه من المياه المستعملة ويستعمل لتصريف مياه الأمطار أيضاً، ولكنهم غطوا مايلي الجامع بألواح من الخشب إلا أن التغطية ليست كاملة.

الجامع المركزي :

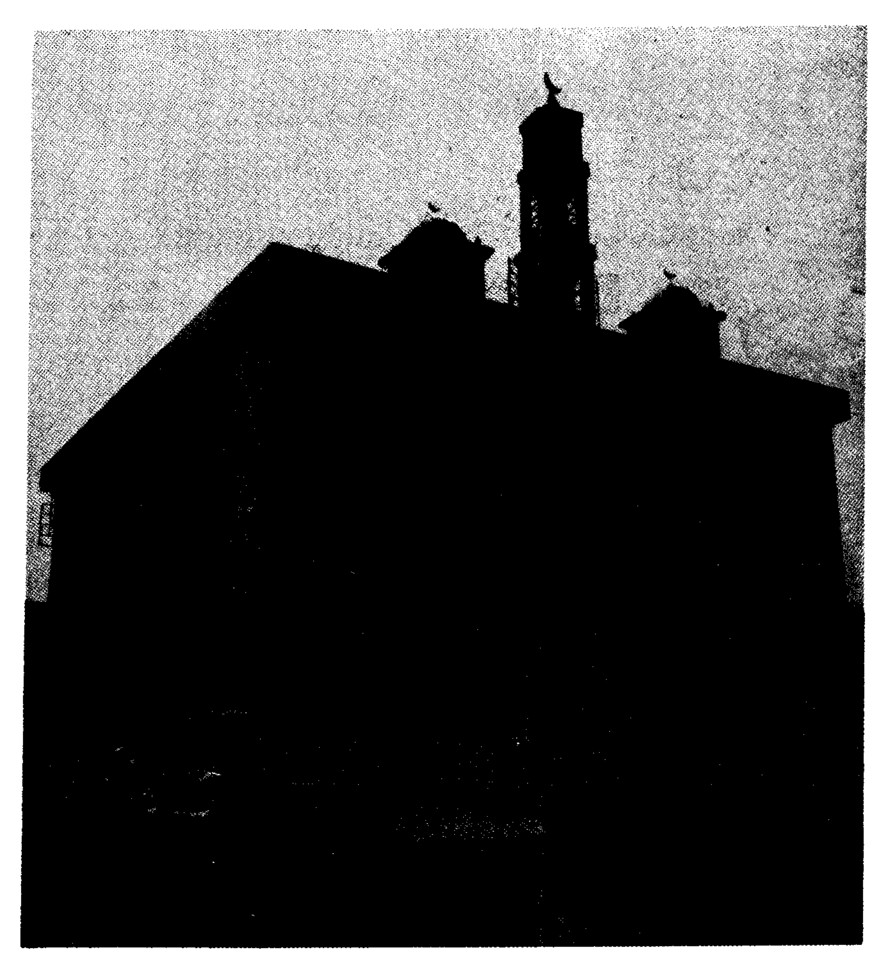
وهو غريب البناء بالنسبة إلينا في الشرق العربي. إذْ أول مايقابلك منه على البعد مناراته أو صوامعه. كما يعبر عنها أهل المغرب المربعة الشكل. التي كلما ارتفعت ضاقت. لكونهم قد بنوا القسم الأعلى كله مستقيم الحوائط مثل الذي أسفل منه إلا أنه أصغر.

وفي مقدمة المسجد قسم منه مغلق لايفتح إلا يوم الجمعة، وأما باقي المسجد فإنه مفتوح وأبوابه ونوافذه كبيرة عالية. وهي من الخشب الجيد المنقوش، وفوق النوافذ أهلة من زجاج ملون. أي: أجزاء لاتفتح وإنما يدخل منها الضوء وللزينة.

وفي المسجد عندما دخلناه أناس كثيرون. بعضهم يصلون وهم الأقل أما الأكثر فإنهم جالسون أو يقرأون أو نائمون، وقد جلسوا الجلسة المفضلة في هذه البلاد الإفريقية، وهي جلسة الرجلين الممدودتين.

وسقف المسجد عال ضخم على شكل سنام. محمول على دعائم قوية من الأخشاب، وأما عمده فإنها إسمنتية أو حجرية غليظة قوية، وفوق الأعمدة أقواس عربية الطراز. أما بلاطه فإنه مؤلف من لونين غريبين في بلادنا، وهما الأحمر مع الترابي أو السنجابي – كما يعبر عنه حديثاً.

وفي آخره قسم للنساء.



الجامع المركزي الجديد في لاجوس

والمسجد على وجه الاجمال واسع، ولكن ليس بمقدار سعة هذه العاصمة الكبيرة. التي يكاد يكون من المؤكد أن نسبة المسلمين في سكانها تفوق نسبة غيرهم من المسيحيين، والأديان الأخرى، إلا أنه في حي قديم مزدحم وربما تصعب توسعته، وتوجد مساجد أخرى كثيرة تقام فيها صلاة الجمعة.

وخرجنا من هذا المسجد عجلين، نحاول أن نجد شخصاً مسئولاً نستوضحه من أمره شيئاً. فدلنا أحدهم على مكتب قرأنا عليه أنه لخدمة الحجاج، وتبين أن الأمر كذلك عندما دخلناه.

وخرجنا لنرى الحجامين والحلاقين مرة ثانية، وجانباً من السوق، ورجلاً في هذا السوق المزدحم منهمك في أكل العصيدة.

أما النساء في هذه المنطقة فإن أكثرهن عليهن الملابس الوطنية الساترة.

وتركنا هذا الحي من مدينة (لاجوس) القديمة مع شوارع فيها عمارات إسمنتية متعددة الأدوار. كما يكون في سائر المدن خارج القارة الإفريقية، وشوارعها ليست ضيقة، ولكنها تضيق بالسيارات التي لم تكن بالغة الكثرة.

حتى وصلنا محطة للقطارات تسمى (محطة إيدو). لأنها واقعة في حي يسمى بهذا الاسم.

ومع الوصول إلى أول هذا الحي بدأ سوق طويل مشهور في كل لاجوس اسمه (سوق إيدو) فيه البائعون والبائعات، وفيه من البضائع ماهو غال نفيس كثير الكم، وماهو رخيص، وقد ظل هذا السوق يماشينا ونحن ننظر إليه من سيارتنا لمسافة تزيد على كيلين اثنين.

وقبل ذلك كنا قد اجتزنا جسراً على خليج من الماء الملح. هو أحد الخلجان المحيطة بجزيرة لاجوس، ومع المحطة عند الدخول إلى حي (إيدو) هذا كان هناك عشرات من الحافلات العامة (الأتوبيسات) ذات

اللون الأصفر التي تنقل الجمهور، وقد رأيتها كثيرة كثرة ملفتة للنظر، ليس الازدحام داخلها بالغاً كما هي في مصر مثلاً.

ومن طريف مارأيته فيها أن امرأتين كانت كل واحدة منهما تحمل على رأسها حملاً من متاعها أسرعتا وهما ترجوان السائق أو الجابي أن يوقف الحافلة. حتى تصلا لأنهما لاتستطيعان الركض، وهما كذلك ثم دخلا الحافلة، ومتاعهما على رأسيهما.

وسرنا وسار هذا السوق الشعبي يماشينا، وكان يمتد وتتنوع محتوياته. مع أننا كنا نسير بالسيارة. فكان من ذلك الخضروات بأنواعها ومن ذلك أنواع غريبة من البصل الأحمر اللون، ومطابخ الطعام، وفيها القدور تحتها الاخشاب، وهي توقد والناس يشترون ويأكلون.

أما الشارع فإن سفلتته ضعيفة، وأرصفته ترابية، والنظافة فيه ليست بذاك.

واستمر السوق يماشينا صاخباً بأصوات الناس، وباعة الأشرطة المسجلة. الذين كانوا يجربون أشرطتهم أو ماسجل عليها للناس.

وكانت بعض المتسوقات من النساء يحملن أولادهن على ظهورهن بخرق مشدودة إليهن. كما تفعل أكثر الإفريقيات، وهن يبعن أو يشترين.

وبعد أن خرجنا من هذا الحي ذي السوق الشهير (سوق ايدو) وصلنا إلى حي اسمه (أبو تميتا) فيه عمارات إسمنتية أغلبها من طابقين ألوانها غير بهيجة، والشارع العام مزدحم بالسيارات لايتسع لمرور أكثر من سيارتين في آن واحد.

وكان السير منه يفضي إلى (كورودو) ثم إبادان. ومن الغريب أنهم غرسوا طائفة من نخيل الزينة التي لاتثمر، وتركوا نخيل الزيت وأشجار النارجيل على ثمرهما وفائدتهما.

ومررنا بحي يقال له (يابا)، وقد أقاموا فيه لمرور السيارات جسراً عظيماً من الإسمنت المسلح. لاشك انهم قد خسروا عليه كثيراً حتى أصبح بهذه المثابة.

وتحت هذا الجسر العظيم. الذي لايكون عادة إلا في المدن الكبيرة. من البلدان المتقدمة في الإدارة أكوام من الأوساخ والنفايات لايكون إلا في المدن الصغيرة المهملة في البلدان المتخلفة.

ووقفنا بالقرب منه عند بائعة في (كشك) صغير. أكثر مافيه مأكولات خفيفة كالبسكويت والمكسرات. فاشترينا منها زجاجات من المشروبات الغازية. كانت منها البيبسي كولا بـ ٣٠ كوبو للزجاجة الواحدة، ويساوي ذلك اكثر من نصف دولار بالصرف الرسمي، أو ريالين سعوديين، وهو سعر غالٍ جدًا إذا قورن بسعرها في المملكة.

ثم سرنا مع شارع واسع جدًا مقسم إلى عدة مسارات للقادم والذاهب مثل مايسمى بالاوستراد. يمتد إلى مدينة إبادن. فوقه جسور للمشاة عالية، رأيت كثيراً منهم يستعملها عندما يريد قطع الشارع لأن عدد السيارات كثير، وهي تسير مسرعة بحيث يكون قطع الشارع للماشي صعبًا جدًا.

وخرجنا من مدينة لاجوس القديمة إلى حي يسمى (ميرلاند) فيه دارات (فيللات) جميلة غارقة في الأشجار. إذا كنت فيه لاتصدق أنك

في الذي قبله في محيط مدينة واحدة. لأنه أخضر خضرة منسقة، وأشجاره الكبيرة باسقة نضرة. بل فيه بعض الزهور التي لم أر الناس هنا بصفة عامة يحفلون بوجودها، أو يهتمون بغرس نباتها.

وأكثر الأشجار الكبيرة الباسقة فيه هي العمبة (المانجو) والأثل الأمريكي (الجزورينا) ونخيل الزيت.

ومن حي (ميرلاند) هذا دخلنا إلى حي فاخر أيضـًا اسمه (اكيجا) وهذه الأحياء هي بالضواحي المنفصلة أشبه منها بالأحياء المتصلة غير أنها في الحقيقة أصبحت أحياء متصلة بسبب انتشار العمارة في العاصمة لاجوس. أو تمددها إلى عدة جهات، ومنها هذه الجهة التي فيها هذان الحيان الجميلان، ولاينبغي أن يفهم من ذلك أن المنازل مرصوصة. بينها وبين المدينة فهذا غير صحيح، ولكن هناك منازل ذات حدائق واسعة، وأماكن لشركات، ودوائر حكومية، وأملاك لبعض الأثرياء ليس فيها بيوت متلاصقة.

وأهم مايسترعي انتباهك في هذا الحي المنسق الجميل (أكيجا) ملعبه الشهير (ملعب اكيجا)، وقد فرشت أرضه بالحشيش الأخضر الجميل. الذي ليس فيه من الأشجار الكبيرة غير نخيل الزيت.

وتركنا هذا الحي، وملعبه منحرفين من عنده جهة اليمين. جاعلين المطار القديم على اليسار، ثم سرنا مع شارع واسع ذي اتجاهين حتى دخلنا مشارف:

مدينة أجيجي :

وهي مدينة كانت لها شهرة سابقة، وتصور في ذهني غيرما وجدتها عليه، لقد عرفت مدينة (أجيجي) أكثر ماعرفتها من معهدها الشهير (مركز التعليم العربي الإسلامي) إذ كانت الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. عندما كنت أعمل فيها قد قبلت في وقت مبكر عدداً من المتخرجين في المعهد التابع للمركز، وقد أنهوا دراساتهم الآن وغادروا الجامعة الإسلامية، ولكن أخبار هذا المعهد. أو على الأدق هذا المركز الإسلامي العريق لاتنقطع عن اسماع مثلي من المهتمين بالشئون الإسلامية والعاملين في ميدانها.

أول شيء بل ربما تقول أول أشياء تراها من مدينة (أجيجي) تشعرك بأنك تدخل مدينة إفريقية حقيقية، ليس لغير الإفريقيين فيها نصيب، إذْ ترى سوقها أول ماتراه منها، والباعة فيه والبضائع أو بعضها تدلك على ذلك، ومنها حزم من الحطب الذي به يوقدون. إلا أن البضائع الإفريقية التقليدية فيه. قد خالطتها بضائع أخرى مستوردة لم يكن السوق الإفريقي العريق يعرفها قبل فترة من الزمن مثل المراوح الكهربائية. التي كانت معروضة بشكل ظاهر وبمقادير كبيرة، ومثل أجهزة الاستقبال الاذاعية والمسجلات.

وهذا السوق فيه حوانيت شبيهة بالمؤقتة لأنها متخذة من الخشب ومسقفة بالزنك، وأحياناً مسقفة بالخشب دون شيء آخر، وفيه إلى جانب ذلك بضائع في بسطات. أي: من البضائع التي يعرضها أصحابها على الأرض مباشرة.

وهذا الشارع الرئيسي الذي هو في الوقت نفسه السوق الرئيسي للمدينة نظافته مفقودة، فجداول المجاري موجودة على جانبيه. كما هي

الحال في أكثر المدن الإفريقية التي زرناها. بل في أكثر البلدان الاستوائية. إذ هي موجودة في مدينة بانكوك عاصمة تايلند. على سبيل المثال، ولكن المشكلة هنا أن البلاد قد بَعُدَ عهدها بالمطر، والحكومة مهملة فصارت هذه المجاري لاتجري فيها المياه كما ينبغي. بحيث تكون متحركة. بل ظلت تتحرك بصعوبة. إن كانت تتحرك بالفعل. لأن المرء يراها كأنها راكدة آسنة متغيرة اللون من المكث إلى جانب تغير لونها بطبيعة المياه المستعملة فيها، ولو كان الأمر مقتصراً على قذارة هذه المجاري على كونه مكروهاً لكان يمكن تعليله بطول عهدها بالأمطار التي كان موسمها قد توقف منذ ثلاثة أشهر، ومن المتوقع أن يبدأ في أول شهر إبريل القادم، ولكن هناك أشياء أخرى تدل على الاهمال، وعدم اعتناء المسئولين عن المدينة بالنظافة، وذلك ماثل في أكوام كثيرة من القمائم متروكة في هذا الشارع الهام، وكأنما كان عمال البلدية هنا في إضراب كما كانوا في (غانة) حسبما أخبرنا به أهل غانة.

ولذلك يتضايق السائح الذي تلتقط عينه من المناظر ماتتجاوزه عين المقيم التي تكون قد ألفت تلك المناظر كما تلتقط حواسّه الأخرى أشياء ربما لاتلتقطها حواس المقيم، ومن ذلك عدة روائح غير محببة تبادرت مجتمعة ومتفرقة إلى أنفي، بعضها من قنوات المجاري، وبعضها من أكوام القمامة التي أصابها ماء لاأدري مم هو، وبعضها من أنابيب الدخان المنبعثة من الحافلات التي يزدحم بها هذا الشارع الطويل.

ومن البضائع الإفريقية البارزة في هذا السوق الذي يحفل بمئات من البضائع الهامة. عناقيد الموز الضخمة، وكسر من الخشب. تباع للفقراء بمقادير ضئيلة للوقود، والمصابيح التي توقد بالغاز، أوما يسمى

بالكيروسين، وتستعمل في القرى، والأماكن التي لم تصلها الإضاءة الكهربائية، وأحذية متنوعة. بعضها من مصنوعات نيجيريا، ومقاعد جيدة. منها مقاعد للحدائق والجلسات المسترخية، والمراد بالمقاعد هنا الكراسي.

دكان القرآن :

من لطيف مارأيته في هذا الشارع حانوت مكتوب عليه لافتة بالعربية. بشكل بارز واضح تقول بالحرف الواحد: (دكان القرآن).

ويبيع صاحب هذا الحانوت أو الدكان كما كتب عليه مصاحف كريمة وكتبًا عربية وأجزاء قرآنية كريمة.

وليس هذا الحانوت ببدع من الأمر. ففي كثر من المدن الإفريقية توجد محلات صغيرة لبيع المصاحف الكريمة، والكتب العربية الصغيرة ومنها كتب الأدعية والأوراد.

إلى مركز التعليم العربي الاسلامي :

تركنا هذا الشارع العام الهام الطويل الملئ بالناس الذين هم من الشعب الإفريقي الأصيل، وكلهم أو جلهم من قبيلة (يوربا). أهم القبائل التي تقطن في غرب نيجيريا، بل إن بعض أفرادها يعيش أيضًا في بلاد بنين (داهومي سابقًا).

وانحرفنا إلى جهة اليد اليسرى. مع شارع فرعي فيه بعض الحوانيت، ولكنها ليست متصلة، وهو ضيق بالنسبة إلى الأول، ولكنه أكثر منه اهمالاً، وهذا طبيعي أن يكون الشارع الرئيسي أحسن حالاً من الشوارع الفرعية، وإن كان ذلك بالنسبة إلى سوء حالها لابالنسبة إلى حسن حاله.

وهذا الشارع تحف به المجاري من جانبيه. وتنبعث منها رائحتها، وتطل على غير استحياء بسحنتها، ويتظافر معها على أذى الناس أبناء عمها من القمائم والأوساخ التي تركت أو ترك بعضها دون حمل أو إبعاد، ويكثر الدجاج في هذه المدينة. فيساعد على الفساد بتحريك هذه الأشياء القذرة بأرجله. فيزيدها التحريك فساداً، ويزيد بها الناس أذى.

وبعد أن قطعنا مرحلة من الشارع. صار المجرى الذي فيه عريضاً ضخماً، ولا أدري السبب. إلا أن يكون عدم الانحدار الذي يسبب الركود، ولكن من المفزع أنه مكشوف ومعرض لأن يقع فيه الطفل والعاجز والساهي. حتى إن بعض البيوت التي يمر من أمامها. قد وضع أهلها فوقه خشبة يمرون من فوقها إلى بيوتهم.

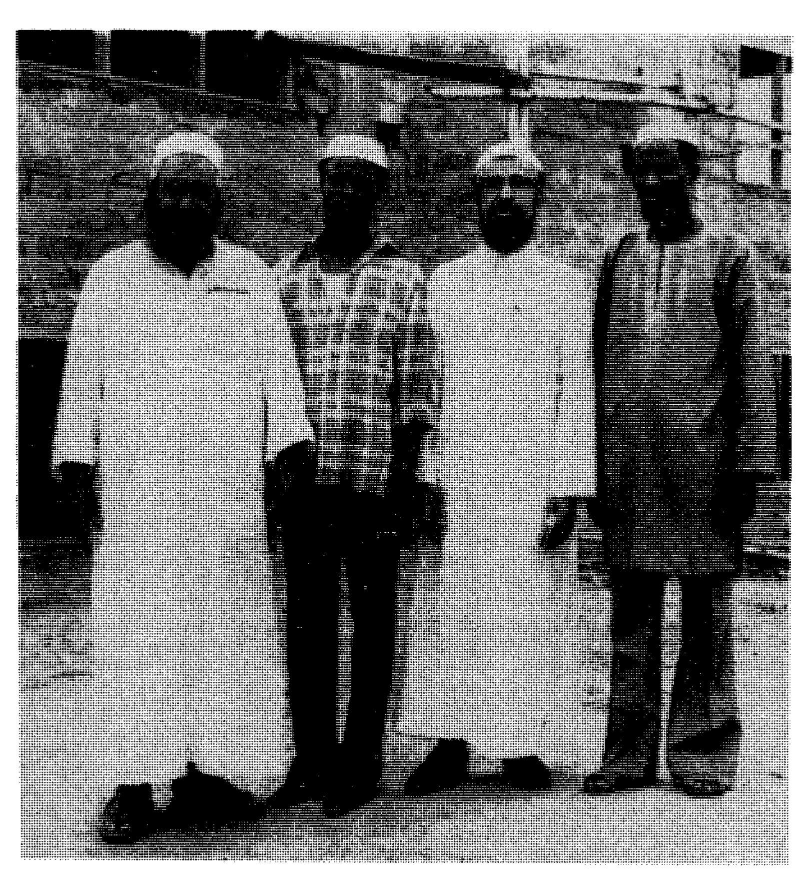
والغريب أن بيوت الأهالي هنا ذات مظهر جيد وبناء حسن، وهم انفسهم نظيفوا الثياب نظيفوا الأبدان. فكأن الحكومة أو الجهة المسئولة فيها عن نظافة المدينة وتنظيمها. قد عجزت عن أن تساير طموح الأهالي، وتقدمهم مع أن العكس هو المفروض. إذ الطبيعي أن يكون القائمون على أعمال مثل هذه هم طليعة الشعب ومفكروه وإداريوه الذين يستطيعون أن يأخذوا بأيدي عامة الناس إلى مايصبون إليه من التقدم والنظافة وإبعاد الأذى عنهم.

وتفرع من هذا الشارع الفرعي زقاق رديء الأرض مثل الشارع الفرعي الذي هو رديء السفلتة فسلكناه حتى وصلنا.

مركز التعليم العربي الاسلامي :

الذي أنشأه الحاج آدم عبدالله الألوري، وهو عالم وأديب وإداري حازم، ومؤلف لعدة كتب باللغة العربية، بأسلوب أدبي راقٍ.

كان وقوف السيارة التي جئنا بها في فناء داخلي. واقع بين فصول الدراسة، والمسجد الجامع، وقد نظفوا هذه الساحة. مما اعتبروه غير مناسب من الأعشاب والنباتات الطفيلية فغدا ليس فيه عود أخضر على حين أن ساحاته الخارجية فيها اعشاب متشابكة. قد نبتت بدون زرع أو سقي، ولذلك رأينا فيها عدة شياه وماعز ترعى، ولكن منظرها يوحي بأنها هزيلة مع وفرة الأعشاب في المنطقة، ولاأدري السبب إلا أن يكون ماذكره لنا بعضهم، وهو وجود بعض الأمراض التي تفتك بالماشية في هذه المناطق الاستوائية.



في مركز التعليم العربي الإسلامي في أوجيجي

واستقبلنا في المركز المساعد الأول للمدير الشيخ مشهود رمضان جبريل، والمساعد الثاني الشيخ عبدالباقي شعيب، وكلاهما يعرف العربية ويتكلم بها بطلاقة مع أن الأول تعلمها في نيجيريا، وأما الآخر فإنه أضاف إلى ذلك ماتعلمه منها في ليبيا.

جلسنا في غرفة واسعة فيها كتب. قالوا: إنها مكتبة وإدارة في الوقت نفسه، وكان في ركن منها بارز بعض المؤلفات التي طبعت حديثاً لمدير المركز ومؤسسه الشيخ آدم عبدالله الألوري، ومنها كتاب اسمه (تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم) وكلها كما أسلفت بلغة عربية أدبية.

وبعد ذلك جاء المدرسون فقدموهم واحداً واحداً، وكل واحد منهم عليه قميص مثل القُمُص العربية. التي علينا إلا أنها أقصر قليلاً، وفوق رؤسهم الطواقي، وأغلبها غليظة لونها أحمر أو أسود، وفي أعلاها زر واقف.

ثم ذهبنا في جولة على فصول الدراسة. فزرنا القسم الثانوي ويسمونه التوجيهي، ورأينا الطلاب كلهم في زي واحد. هو قميص أزرق غير طويل تحته سروال، وفوق الرؤس كلها دون استثناء طاقية بيضاء.

وقد رأينا في الفصول كلها نظاماً جيداً، وأدبًا جمًا من الطلبة، وفصاحة بالعربية من المدرسين مما أعجبنا، ويدل ذلك كله على الادارة الحازمة التي يتبعها الشيخ آدم عبدالله في هذا المركز.

وفي السنة الثانية الثانوية كان الدرس نحواً. فتكلمت معهم بكلمة قصيرة، وقلت في آخرها أسأل الله تعالى أن ييسر لكم أيها الطلبة أن

تنجحوا في دراستكم، ثم تكملوا دراستكم العالية في مكة المكرمة أو المدينة المنورة فنراكم هناك وهنا أرجوا أن نراكم مرة ثانية إذا قبلتمونا ضيوفا. فضحكوا كلهم لهذه الجملة ضحكًا عظيمًا، وهذا مثل آخر على لطف هؤلاء القوم من قبيلة (يوربا) وحبهم للنكتة والمرح.

وكان إخواننا المرافقون يقدموننا للطلبة من باب التعريف بالزوار فكانوا إذا سمعوا اسم الواحد منا كبروا، وإذا ذكرت المدينة المنورة أو مكة المكرمة زادوا في التكبير تكبيرًا متواصلاً.

وفي فصول السنوات التي بعدها. تكرر التعريف والتكبير، وتكرر إعجابنا بما رأيناه فيها من نظام جيد، أو إدارة حازمة.

ورأيت فيما رأيته من المقررات كتاب (رياض الصالحين) للنووي مقررًا في مادة الحديث على طلبة السنة الأولى الثانوية.

وفي السنة الثالثة الاعدادية كان مدرس الفقة (داود عبدالمجيد) يلقى على الطلاب درسه، وكان معهم مقدمة العزية في الفقة المالكي الذي يتمذهب به أهل المغرب الإسلامي.

وأما السنة التي دونها، وهي الثانية الاعدادية فإنها في المسجد: مسجد المركز، وذلك لأنها لايتسع لها أي فصل من فصول الدراسة في المركز، وقد رأينا طلابها، ١٧٠ طالبًا، ومقررهم في درس الحديث الأربعون النووية يشرحها لهم الشيخ (يونس سنوسي).

أما المسجد الجامع في هذا المركز. فإنه كبير مبني بالاسمنت المسلح القوي من طابقين، إلا أنه لم يكمل بناؤه بعد.

وقالوا: إنهم بدأوا بناءه قبل سنتين، وقال الشيخ آدم بعد ذلك: إن هذه التبرعات هي من جماعتنا، ولذلك لم نطلب مساعدات من بلاد خارجية. لأن اثرياء المسلمين من جماعتنا لايبخلون علينا رغم أن المسجد يحتاج إلى اكمال البناء.

والحقيقة أن المسجد يدل على ذلك، بل المركز كله يدل على ذلك بمساحاته الكبيرة وبفصوله المزدحمة بسبب كثرة الطلاب لابسبب ضيقها، وهي مبينة بالإسمنت أيضاً.

وفي آخر المسجد وقفنا عند السنة الأولى الاعدادية، ووجدنا عندهم أستاذ المحفوظات، ومقررهم كتاب من تأليف الشيخ آدم مدير المركز اسمه (الفواكه الساقطة)، ويريد بالساقطة الناضجة. لأن كثيراً من الفواكه في بلادهم إذا نضجت سقطت من شجرتها.

وقد حرصوا على أن يظهر المسجد بمظهر عربي. فكانت أقواسه في وسطه عربية على شكل أهلة، ومقدمة أندلسية ذات أقواس على هيئة محاريب بعضها فوق بعض.

فصاحة اليورباويين بالعربية :

لقد كنت أعجب من الطلاب اليورباويين الذين كانوا يفدون إلينا لطلب العلم في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما كنت أعمل في الجامعة حين أسمعهم يتكلمون العربية، ويلفظون بها وكأنهم العرب أو الذين مضى عليهم عهد طويل، وهم لايتكلمون إلا العربية.

وليسوا مثل بعض الأعاجم من أهل الشرق القريب كالأتراك، وأهل شمال الهند الذين لابد أن يحس المرء بشيء من اللكنة الأعجمية في

كلامهم بالعربية، ولو كانوا قد أتقنوها تعلماً وكتابة وأكثروا من الحديث بها.

واليوم زاد تعجبي من هؤلاء اليورباويين. عندما سمعت الشيخ آدم عبدالله، ومن قبله بعض مساعديه، وأساتذة هذا المعهد وهم يتكلمون كلاماً لا لكنة فيه ولا غرابة في نطق ألفاظه.

مما جعلني أتساءل كما كنت أتساءل قبل ذلك في المدينة المنورة. عما إذا كان هذا يدل على صلة نسب لهؤلاء اليورباويين بالعرب. كما تقول بعض الأساطير، فيكون نطقهم بالعربية سليمة الحروف بسبب تلك الصلة، ويكون السبب لذلك هو قرابة في تشريخ الفم واللسان بالعرب؟ ثم أقول: الله أعلم.

وبهذه المناسبة سألت بعض المدرسين عن نسبة المسلمين في مدينة أجيجي فأجاب: أنها ٧٥٪ ولم يستطيعوا أن يعرفوا مجموع السكان في المدينة.

وقد أعقبت ذلك جلسة مع الشيخ آدم عبدالله في مكتبه، وكانت جلسة مفيدة لي جداً. لأنه عارف بأمور هذه البلاد، وهو من أهلها الأصلاء، وذو روح علمية متفتحة للمعرفة، ومثله قليل في إخواننا من علماء الأفارقة في هذه المنطقة، إذ أكثرهم يهتم بما تدعو الحاجة إليه من علوم الدين، ولايكون في الغالب مهتماً بالأمور التاريخية والمعلومات العامة التي تهمني أكثر من غيري.

والشيخ (آدم) قوي الشخصية، بل هو ذو شخصية مسيطرة، لذلك لايبقى عنده إلا من يكون سامعاً مطيعاً له، ولذلك أيضاً كان المعهد

وطلابه على هذا المقدار من الإنضباط في الإدارة، وكان للمعهد صيته ومنزلته العظيمة في داخل نيجيريا وخارجها.

ومن أثر مكانته في الخارج أن زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق كان قد أقام في هذا المعهد ستة أشهر. يدرس ويعظ فيه وذلك في عام ١٣٨٦هـ.

ومن الصفات الأخرى البارزة في شخصية الشيخ آدم صفة بارزة أيضاً في أكثر رجال قبيلة اليوربا، وهي روح المرح وحب الدعابة والإعجاب بالنكتة، والضحك ضحكاً عميقاً يهتز له البدن كله.

صفة نادرة

ومن الصفات النادرة في الشيخ آدم عبدالله الألوري. أننا عندما سألناه عن مشروعات المعهد التي لم تتم وتحتاج إلى مساعدة وعما يحتاج إليه المعهد من معونة مالية. أجاب: بأنهم لايطلبون المعونة من الخارج، وذلك لأنهم يخشون أن تتهمهم الحكومة النيجيرية. بأنهم عملاء لبلد أجنبي، فقلت له: وهذه المشروعات الكبيرة، وبخاصة بناءالمسجد الضخم بالإسمنت المسلح؟ أجاب: بأننا نحصل على الأموال اللازمة لذلك من جماعتنا النيجيريين، وبخاصة من أفراد قبيلة اليوربا التي ننتمي إليها.

وهذه صفة نادرة لم أرها في غيره ممن قابلناهم في هذه الرحلة الطويلة. بل إن العكس هو الصحيح. فأكثرهم ينتهز فرصة التقائه بإخوان له من المملكة العربية السعودية المشهورة بالغنى والثروة في هذا الوقت، وبمحبة مساعدة المسلمين فيسارع إلى طلب المساعدة،

وهذا أمـر طبيـعي، وهو أمـر تشـجعـه المملكة. إلا أنهـا لابد من أن تتأكد من أن المساعدة التي ترسلها تقع في موقعها.

غيـر أن بعـضهـم يبالـغ في ذلك فـيذكـر أنه يحـتـاج إلى أكـثـر مما يستـحقه في الواقع، بل إن بعض الأشـخاص قد يطلب مسـاعدة على أشـيـاء شبـه وهمـيـة، وإن كان عـدد هؤلاء قليـلاً جـداً. فـإننا لانعطي مساعدة، ولا نوصي بها إلا لمشروع أو مؤسسة نراها بأنفسنا، ولا نقلد في ذلك أحداً ولو كـان عندنا من الثقات، لأن الحزم يقـتضي ذلك، وإذا ساعدنا أو أوصينا بمساعدة من رأيناهم فقط فإن ذلك شيء كثير، وفيه خيـر عظيم للإسلام والمسلمين إن شـاء الله، لأننا رأينا جهـات عديدة بعضها مذكور في هذا الكتاب وبعضها مذكور في غيره.

وبعضها رآه زميـلاي من دوني. لسبب من الأسباب. مثل أن يكون الوقت ضيقـاً في بلد من البلدان، والمشروعات والمؤسسات أو المدارس الإسلامـية كـثيـرة. فينقسم الوفد إلى قـسمين. قـسم يذهب إلى جـهة، وآخـر إلى جـهـة أخـرى. فـنذكـر ذلك في التـقـرير الرسـمـي، ولكنني لاأذكره في هذا الكتـاب. لأنني لاأذكر فيـه إلا المشاهدات والملاحظات التي شاهدتها بنفسي. وعود إلى الحديث عما طلبه الشيخ آدم فأقول:

إنه لم يطلب المساعـدة الماليـة، وإنما طـلب الكتب العـربيـة، والمنح الدراسيـة للمتـخـرجين من هذا المعـهـد، وهذا أيضـاً ممـا يدل على إخلاصه في عمله.

وفي ختـام اللقاء أهدى لكل واحد من أعـضاء الوفد مجـموعة قيـمة من مؤلفاته: - باللغة العربية طبعـاً - واعتذرت له بأن الذي أحضرته من مؤلفـاتي في هذه السفرة. قـد نفد آخره في غـانا، ولذلك أهديت إليه بعد ذلك هدية رمزية أخرى منها زجاجة عطر من مكة المكرمة.

الاحتفال في المسجد :

أبى الشـيخ آدم إلا أن يجـمع الطلبـة والمدرسين كلهم في المسـجـد، وقال إن هذا مهم جداً لكي يراكم الجميع، ويتعرفوا عليكم. فمجيئكم له أهميـته، ولما مانعنا بسـبب ضيق الوقت، قال: إنني سـأحاول أن يكون ذلك في وقت قصير.

وجمع الطلبـة في هذا المسجد الكبيـر وكان عددهم كثيـراً إلى جانب المدرسين، ومما أعـجبني أنهم جـاؤا إلى المكان وهم بهذه الكثـرة، وفي هذا السن الذي يلذ لأهله أن يخرجوا على النظام. فـهم مابين الخامسة والعشـرين والخامسـة عشـرة. ومن مراحل تعليمـية أعـلاها الثانوية. فـجاؤا بنظام في الحـركة، وكـانوا على نسق مـوحد في اللبـاس. فكلهم دون استثناء علـيهم قمص زرق اللون تصل إلى ماتحت الركـبة قليلاً، تحتهـا سروال يصل إلى مافوق الكعبين قليـلاً سكري اللون ثم الطاقية التي لابد منها.

وأما البنات وعددهن في المعهد ليس كثيراً. خلاف ماعليه الحال في أكثـر الدول الإفريقيـة. إذ يكون عدد البنات في مدارسـها كثـيراً - في

العادة – ولايحـفلون بالاختـلاط مابين البنات والأبناء، لأنه لاحـجاب لديهم.

أمـا هنا فـإنـهن مـوجـودات في أركـان خـاصـة بهـن من الفـصـول منفصلة في المقاعد، ولكن دون حاجز بين الاثنين في الفصل، وأما في هذا الاجتماع العام. فإنهن كن في الشرفة. أوالطابق الثاني من المسجد يرين ويشاهدن الاحتفال.

وهن مثل الابناء يرتدين قمصـاً زرقاء تحتها سراويل ساترة، وعلى رأس كل واحدة غطاء أبيض. يغطي كل رأسهـا، وذلك في زي موحد لهن لاتختلف فيه واحدة عن الأخرى.

وهو أمر لم أره في غير هذا المعهـد. إذ أكثر أهل المدارس الإسلامية في هذه البلاد الإفـريقية لايبالون بسـتر البنت، ولايقيمـون وزنـاً لستر رأسـها. لأن الاخـتلاط الـتام مـوجود في كـل مكان خارج المدرسـة أو المسجد.

وضـع أحدهم أمام الشيخ آدم مكبرًا يدويـاً للصوت، وبدأ كلمته بلغة عربية فـصيحة. بل هي أدبية راقـية حديثة، ولم يتكلم بغـيرها ثقة منه بأن جميع الطلاب والمدرسين في المعـهد يعرفونها. بل لم تسـتعمل في هذا الحـفل أي كلمـة غـيـر عـربيـة، وكـأنما هو حـفل للعـرب في بلاد العرب.

وقـد بدأ كـلمـتـه بتـقـديم ضـيـوفــه، وتبين أنه يعـرف عـني بالذات مالايعـرفه إلا من أراد أن يترجمني، وقـد ذكر قصة حـدثت في مكتبي

في الجامعة الإسلامية كان حاضراً فيها، وهي قصة رجل انجليزي أسلم، ثم ذكر من مؤلفاتي ورحلاتي ونوه بتسمية كتابي: «في إفريقية الخضراء» وأن هذه تسمية جديدة إذ كان الأوروبيون يقولون: «إفريقية السوداء» فسماها الأستاذ العبودي الخضراء على حد قوله.

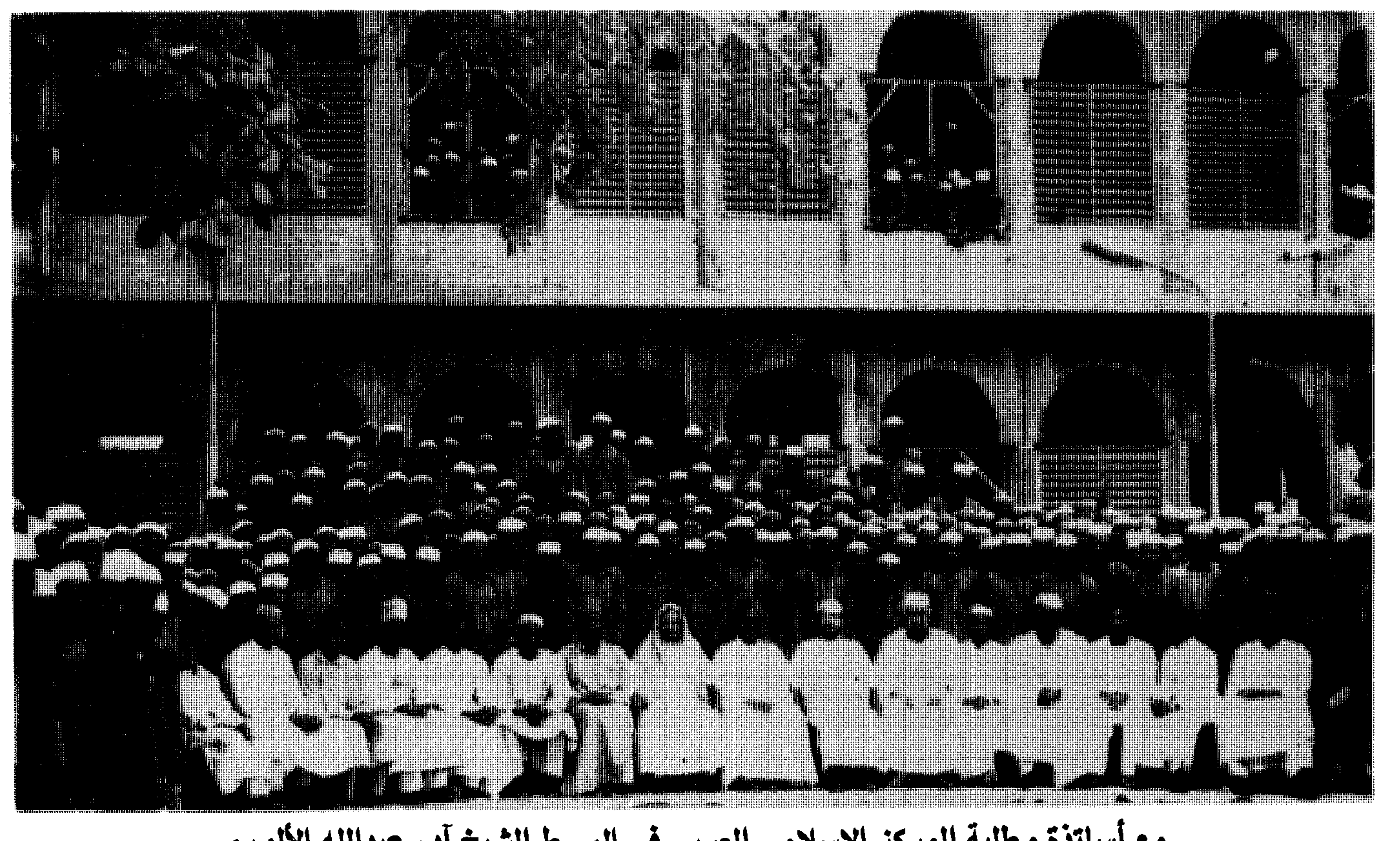
وترجم للشيخ إسماعيل بن عتيق بمثل ذلك، ونوه بزيارته الطويلة السابقة لهذا المعهد، وكيف أنه كان يسكن في مساكنهم، ويأكل مما يأكلون منه. وأثنى على جهوده في توجيه الطلاب في تلك المدة.

ولكنه عندما أراد أن يعرف زميلنا الشيخ عبدالعزيز الربيعان لم يفعل مثل ذلك لأنه لم تسبق له معرفته.

ثم القى الشيخ إسماعيل بن عتيق كلمة الوفد شكره فيها على قوله وأثنى على هذا المعهد خيراً.

وقد لاحظت أن الطلاب يكتبون بعض النقاط الهامة في حديث الشيخ آدم ومن ذلك أسماؤنا وأعمالنا فقد سجلها أكثرهم في دفاترهم.

مع أساتذة وطلبة المركز الإسلامي العربي في الوسط الشيخ آدم عبدالله الألوري
وعلى يمينه الشيخ إسماعيل بن عتيق ويساره المؤلف فالشيخ عبدالعزيز الربيعان



وفي نهـاية الاحـتـفـال كـان لابد من صــورة تسـجل ذلـك. فكانت الصورة التالية مع الشيخ آدم وبعض المدرسين.

وهذه نبـذة عن مـركـز التـعليـم العـربي الإسـلامي في نيـجـيـريا أو جيجي.

قالت النبذة :

التعليم العربى فى نيجيريا بين الأمس واليوم

تتناول كلمـة نيجـيريا الجـزء الأكبر مـن غرب افريقـيا. التي كـانت تدعى بالـسـودان الغـربي أو بلاد الـتكرور في القـرون الوسـطى، وقـد كانت مـعروفة كجـزء من العالم الإسلامي الذي كـان يوجد في كل بلد من بلادها مع دخول الإسلام فيها مدرستان عربيتان.

أولاهمـــا : المدرسة القرآنية (الكُـتَّـاب).

وآخراهما : مدرسة العلوم (المعهد).

فـالمدرسة القـرآنية مـفـتوحـة دومًا لأطفال المسلـمين. يعكف عليهـا التلاميذ منذ السابع من أعمارهم. حتى يجودوا قراءة القرآن سردًا من المصحف أو يتقنوه حفظـًا عن ظهر الغيب.

ويعـتنى بهـؤلاء الأطفـال مـعلمـون مـن الأئمـة والعلمـاء والمؤذنين وأمثالهم حتى يتخرجوا منها.

ثم مدرسـة العلوم التي تكون في كل عاصـمة من العـواصم الكبرى يتصـدى للتدريس فـيهـا فحول الأدب والفـقه حـتى يخلفوا أمثـالهم من العبـاقرة والأساطين. الذين لهم آثارهم العلمـية. التي تنطق ببراعـتهم وتترجم عن نبوغهم.

ولم يزل التعليم العربي يزدهر في عواصم تمبكتو. وجني وبرنو وكاشنة وكانو وزاريا وصوكوتو.

تأسيس المركز وأعماله وفروعه

المركز هو المكان الذي يلتقي فيه طلاب الثقافة العربية والإسلامية في مختلف الجهات بنيجيريا والداهومي وما حولها. تم تأسيسه في شهر ابريل عام ١٩٥٢م. في منزل مستأجر بمدينة ابيكوتا. على مساعدة لجنة من أهل الإيمان من جماعة أنصار الدين فرع ابيكوتا واستمر هناك ثلاث سنوات. ثم انتقل إلى مدينة اجيجى قرب لاغوس حيث استقر مقره الرئيسي. ثم امتدت فروعه إلى البلاد، والأقطار المجاورة وكانت أعماله على الخطوط الرئيسية الآتية:

أولاً : تعليم اللغة العربية بقصد الخدمة الإسلامية.

ثانيًا : بث الدعوة الإسلامية بين المسلمين والنصارى والوثنيين.

ثالثًا : توزيع الكتب والرسائل الإسلامية للتثقيف والتوعية.

رابعًا : إمداد المدارس الحكومية والأهلية بالمدرسين في اللغة العربية.

خامسًا : إمداد المساجد والمنظمات الإسلامية بالأئمة والوعاظ.

المقر الرئيسي في اجيجى:

يضم المقر الرئيسي للمركز الأجنحة الآتية:

أولاً : المعهد هو الذي يتكون من القسمين الاعدادي والتوجيهي ويقضي الطالب أربع سنوات في القسم الاعدادي، وثلاث سنوات في القسم التوجيهي يقصد القسمين كل من يود أن يتعلم العربية كوسيلة مباشرة لفهم الإسلام فهمًا يجعله

مسئولاً عنه أمام الله وأمام الناس، ويتراوح عدد الطلاب الذين يتعاقبون فيه عاماً بعد عام مابين ١٥٠ و ٢٠٠ تقريباً يتوافدون من بلاد نيجيريا والداهومي وغانا وساحل العاج وغيرها.

ثانيًا : «المسجد» وهو الجامع الذي يلتقى فيه نحو ألف مسلم كل جمعة للاستماع إلى الخطب المنبرية التي تلقى بالعربية وينقلها المترجم إلى الحاضرين باللغة المحلية.

ثالثًا : «الميدان» هو الفناء الذي يجتمع فيه مايزيد على ثلاثة آلاف مسلم لصلاة العيدين كل عام للوعظ والارشاد كل ليلة من ليالي رمضان وتقام فيه الحفلات الإسلامية.

رابعًا : «الإدارة» وهي المكاتب التي يجلس في كل واحد منها المدير والعميد والمدرسون.

خامسًا : «الرواق» وهو المكان الذي يسكن فيه نحو مائة وعشرين طالبًا من المنقطعين للتعلم ولايلوون على أهل.

سادسًا: «المطبعة» التي فيها آلة الطباعة لنشر الكتب المدرسية والمجلات الثقافية باللغتين العربية والمحلية.

سابعًا : «المكتبة» التي فيها الكتب الإسلامية لمراجعة المدرسين ومذاكرة الطلاب.

ثامنًا : «قاعة المحاضرات» التي يجتمع فيها المسلمون للمحاضرات والحفلات الإسلامية يشرع في تجديد بنائها قريبًا.

ولم تزل العربية لغة الأدب والتاريخ والثقافة والعلوم ولغة الحكومة في العهود والوثائق والسجلات الرسمية.

ولم تزل الشرعية الإسلامية دستور الحكومات في المعاملات والجنايات، ولم يزل العلماء أرباب الحل والعقد، وكُتَّاب الدواوين وخطباء البرلمانات. حتى احتل المستعمرون البلاد بخيلهم ورجلهم وهجموا على كل ثقافة عربية إسلامية. بسائر الأسلحة المدمرة ليتركوها أثرًا بعد عين وفحمة بعد جذوة وربوة بعد صخرة وقاعًا بعد هضبة وجاء التبشير الصليبي بشتى المغريات الجذابة. يضع كل امكانياته تحت من ينعش لغات الافرنج، ويوقد نيران حرب ضروس كثيرة الضحايا والهول لاتبقى ولاتذر من أخضر ويابس أتت عليه إلا جعلته كالرميم. فيوقد نيرانها على اللغة القرآنية كل هذا، وذلك لبناء الافرنجية والنصرانية الصليبية. على انقاض العربية والإسلام الحنيف تبعًا لبناء دولة الاستعمار والصليب مكان دولة الاستقلال والهلال.

ولم يمض قرن واحد من الزمان. حتى ارتفع الصليب على الهلال وعلت النواقيس على أصوات المؤذنين وتعطلت المدارس القرآنية بامتلاء المدارس الإنجيلية.

فروع المركز في نيجيريا والداهومي :

تتبع المركز فروع يقوم بانشائها المتخرجون من المركز أو المؤمنون بفكرة المركز، وتسير تلك الفروع على منهج التعليم بالمركز تحت إشراف مدير المركز وتوجيهه وتحت مراقبة مفتش التعليم بالمركز.

فتقوم إدارة المركز بالإشراف على امتحانات تلك الفروع، وعلى مساعدتها بالكتب المقررة، وبعث المدرسين إليها على حساب تلك

الفروع غالباً وعلى حساب المركز أحياناً. كما يوزع عليها المركز منحاً دراسية في الداخل والخارج، ويقوم المدير والعميد والمراقب بزيارة تلك الفروع في مختلف المناسبات.

واهم تلك الفروع في داخل نيجيريا كالآتي :

١- دار العلوم لجبهة العلماء في مدينة الورن.

٢- مركز شباب الإسلام في مدينة ايوو وايدي وايجبو.

٣- روضة الدراسات الإسلامية في مدينة اكرون.

٤- المدرسة النظامية في مدينة ابواوره.

وأهمها خارج نيجيريا :

مركز التعليم العربي في مدينة ساكيتي، وفروعه في أنحاء الداهومي وفي ساحل العاج بعض مراكز للمتخرجين من مركزنا هذا.

طرق التدريس :

الطريقة المتبعة للتدريس في المركز. هي طريقة التدريج والتطوير من القديم إلى الحديث حتى يستأنس الناس بالحديث ويألفوه أما أساليب التحصيل فهي كالآتي :

أولاً : القراءة الصحيحة تعلماً وتعليماً.

ثانياً : تحسين الكتابة بخط النسخ المعتاد عند أهل البلاد.

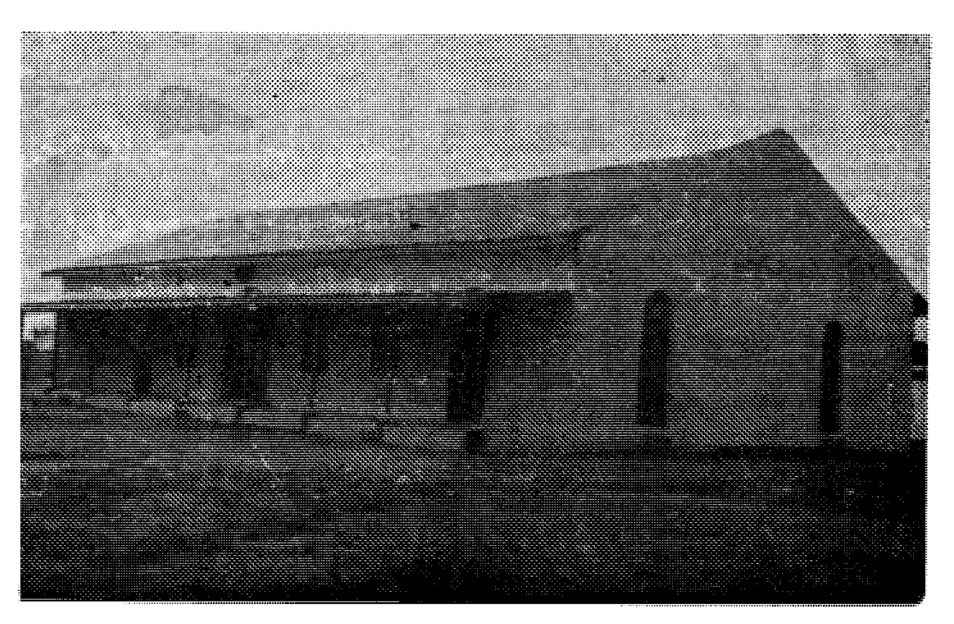
ثالثاً : القاء المحاضرات من المدرسين والاستماع لها من الطلاب.

رابعاً : الاستماع إلى الإذاعات العربية لتجويد اللهجة.

خامساً: المطالعة للاعتماد على النفس في البحث والمراجعة.



مسكن الطلاب ومبيتهم ويسع مائة وعشرين طالباً



مسجد المركز الذي يسع نحو ألف مصل تقريباً

المواد المقررة والكتب :

يدرس في القسم الاعدادي من قواعد اللغة (النحو والصرف والانشاء)، ومن علوم الدين «الفقه والحديث والتجويد والتفسير والتوحيد»، ومن العلوم الاجتماعية «التاريخ والجغرافيا والأخلاق» ويدرس كل ذلك بالتوسع في التوجيهي بإضافة علوم البلاغة والأدب والمنطق والعروض والقافية وأصول الفقه ومتن اللغة، وتشتمل الكتب المشهورة في المعاهد الإسلامية إلى جانب مذكرات يعدها أساتذتنا لطلابنا وقد طبع منها نحو ثلاثين في مختلف المواد. انتهت النبذة.

الصف الأزرق :

تحركت السيارة من داخل المعهد حتى وصلت إلى سوق البلدة خارج المعهد بمسافة بعيدة. وسط صفين أزرقين. إذ كان الطلاب بسرعة عجيبة ونظام أعجب قد سبقونا إلى الطريق فصفوا صفين على اليمين واليسار، وتركوا بين الصفين مايتسع لمرور السيارة فقط، وكانوا يقولون، وهم يرفعون أيديهم بالتحية (سلامة) سلامة أو سلاماً، سلاماً.

وعجبت من طول هذا الصف. فما ظننت أن طلاب المعهد. بهذه الكثرة وأن صفهم سيكون بهذا الطول، وأخبروني بأن عدد الطلبة الذين اصطفوا يزيد على الألفين قليلاً.

وكانوا كلهم بلباسهم الأزرق الموحد، وطواقيهم اللامعة المميزة. وكان وقوفهم وأصواتهم، وهم يودعون بنظام مما يلفت النظر حتى إن عدداً من سكان البيوت التي تطل على هذا المكان خرجوا إلى شرفات بيوتهم أو نوافذها ينظرون ويتفرجون.



الفصول الدراسية الاعدادية والتوجيهية.



جناح المطبعة والمكتبة والإدارة.

العودة إلى لاجوس :

كانت العودة في الساعة الواحدة إلا ربعاً. مع الشوارع القذرة التي يتنافى وجودها في هذه البلدة مع نظافة أهلها في أبدانهم وأثوابهم ومنازلهم، ولما أبديت دهشتي من هذا الإهمال المشين من الحكومة علق بعض الإخوان النيجيريين بقوله: إن ذلك هو بسبب الحكومات العسكرية السابقة التي أهملت البلاد، ولم يكن هم أفرادها إلا المصلحة الشخصية العاجلة، قالوا: وهذه الحكومة المدنية الحاضرة بدأت بالإصلاح ولكنه كثير يحتاج إلى وقت طويل.

والواقع أنه لو كانت الحكومة هنا تعمل في المصلحة العامة. كما تعمل حكومة الهند مثلاً لكانت البلاد نظيفة، لأن مستوى النظافة عند عامة الشعب هنا هو في مستوى النظافة العامة عند عامة الشعب في الهند، وبخاصة الشعب في القرى والأرياف.

الطعام النيجيري :

مررنا بالسفارة السعودية في لاجوس وانفقنا فيها بعض الوقت، ولذلك تأخرنا فلم نصل إلى الفندق إلا في الثانية والنصف فأسرعنا إلى مطعم فيه نبحث عن الغداء، وكان فيه عدة مطاعم فقال أحدها: إننا انتهينا في الثانية والنصف. فعليكم بالآخر فأدركناه وبعض الأصناف من السلطات ونحوها قد نفد.

وكان سعر الوجبة فيه مثل الذي قبله عشر نيرات ونصفاً وطريقته أن تخدم نفسك. بأن تأخذ ماتريد في صحنك من الطعام المعروض.

ولم نجد فيه إلا لحم خنزير أحمر في شرائح لايماثلها إلا الشرائح من سمك السلمون، فسألت عنه موظفة نيجيرية كانت واقفة عند المائدة فقالت: إنه خنزير فتركته، وكان هناك لحم آخر مطبوخ كما يطبخ لحم البقر سألتها عنه فقالت: إنه لحم خنزير.

فلما لم أجد لحماً حلالاً استبعدت أن يكون الطعام في فندق كبير كهذا ليس فيه لحم حلال، ويكون فيه لحم الخنزير على نوعين، فذلك أمر لم أشاهده في بلاد الخنزير أوربا وأمريكا. لذلك عدت أستفهمها عن اللون الآخر من اللحم أهو - كما فهمت منها - لحم خنزير. فغضبت مني وانفجرت قائلة بغلظة: إنه لحم خنزير، لقد قلت لك لحم خنزير.

وسكت، ومابيدي أن أفعل غير ذلك. وأنا متعجب من غلظة هذه المرأة وجفائها وأقارنها بمثيلات لها في العمل في فنادق العالم فأجد الفرق شاسعاً.

وجعلت أنا وأصحابي نأخذ من الطعام الحلال، وفيه شيء كالعصيدة الغليظة القاسية، ويسمونه هنا (يام)، وهو شبيه بالبطاطس، وليس به له طعم مميز. لابد أن يؤكل معه فلفل أو شيء حار، ومرق آخر من الباذنجان، ومعه قطع صغيرة من لحم يابس كأنه الحجارة. تذوقناه بعد ذلك فوجدناه قديداً متغير الطعم.

ومع هذه المعاملة السيئة، وعدم وجود اللحم الحلال في هذه الوجبة الغالية فأنهم أخذوا بسرعة فائقة يسحبون الأواني، وماتبقى منها من طعام يرفعونها لأن موعد انتهاء الوقت، وهو الثالثة قد قرب، ولم ينتظروا فراغ من لم يأخذ بطبقه إلا قليلاً، بل تركوه وجوعه إذا لم يكفه مامعه.

ومما ينبغي التنويه به أنك لايمكن أن تذوق الطعام إلا بعد أن تدفع ثمنه مقدماً. إلا إذا كنت من سكان الفندق. فانك يمكن أن توقع على قائمة الثمن. لأن الفندق يكون قد أخذ منك تأميناً إضافياً. عما يمكن أن تأكله من طعام وترفض دفع ثمنه بدون تأمين على حد زعمهم.

يوم الأربعاء : ١٤٠١/٥/١٩هـ - ١٩٨١/٣/٢٥م.

وداع الفندق :

كما كان استقبال فندق (ايكو هولدي إن) منغصاً كان وداعه.

فقد كان الأستاذ إسماعيل صفطه أعطى الفندق نقوداً بمثابة أجرة مقدمة وتأمين فأعطاهم لغرفتي ثلثمائة نيرة. مع أن أجرة الغرفة (٤٥) نيرة. كما أخبرونا ولبثت ثلاث ليال، ومع ذلك لم يعيدوا إلا ١١٤ نيرة أما الباقي فلا تسأل عنه. لأن الموظف في استقبال الفندق لايسئل عما يفعل، وإذا سألت فإنه لايجيبك.

وقد كنا في الصباح أخبرناهم كما نفعل في الفنادق الأخرى في العالم أننا سنغادر الغرف في الحادية عشرة والنصف، ونحب أن ندفع الآن فقالوا: لاتمكن المحاسبة إلا بعد الحادية عشرة، وكان مقصدنا من ذلك أن نتلافى التأخير في الوقت الذي عهدناه منهم، ولكنهم امتنعوا، وفي الحادية عشرة أرسلنا الأخ عاقب عبدالسلام سكرتير مكتب الملحق الديني إليهم ليحاسبهم فأبوا، وقالوا: لابد من أن ينزلوا ويسلموا لنا مفاتيح الغرفة تسليماً نهائياً قبل أن نحاسبهم.

وعندما أتممنا كل شيء نزلنا إليهم في الحادية عشرة. فظل الموظف مدة وطابور خلفي من الأوروبيين يتأففون من التأخير، وكل

لايبالي بهم، بل ربما كان يتشفى منهم إذْ لاحظت ذلك عندما كان موظفا السفارة السعودية والدبلوماسي المغربي يحاولون انجاز دخولنا للغرف أن الموظف كان يتعمد إهانتهم وتأخيرهم، فظل مثلاً نصف ساعة تقريباً، وهو يتجاهل طلبهم لورقة من الأوراق التي يجب على النزيل أن يملأها.

وبعد الانتهاء من محاسبة الفندق التي لم تقنعنا، ولكننا لم نستطع أن نفعل شيئًا، لأنه أخذ عن ثلاث ليال ١٨٦ نيرة وتساوي بصرفه هو ٣٧٢ دولارًا أمريكيًا. ليس فيها غير المبيت إلا إفطار ثلاثة أيام، وفنجانًا واحدًا من القهوة، ولذلك دُهِش عندما رأى ذلك وقال: أين كنتم تأكلون؟.

فقلت له: إن إخواننا يدعوننا إلى الخارج وإذا احتجنا إلى شيء من الفندق دفعناه إلا الإفطار. ظنًا منا أنه تابع لأجرة الغرفة كما هو في أكثر بلدان العالم.

بعد ذلك مررنا بالسفارة السعودية حيث بحثنا مع إخواننا فيها بعض الأمور المتعلقة بالمساعدة المالية التي نحملها.

إلى مدينة إبادن :

غادرنا (لاجوس) أو على الأدق غادرنا مقر السفارة السعودية في (حي فكتوريا آيلند) في لاجوس في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرًا قاصدين مدينة إبادان على سيارة مكتب الملحق الديني في لاجوس.

وكانت الرفقة الشيخ عبدالعزيز الربيعان زميلنا في الوفد والأستاذ عاقب عبدالسلام، أو العاقب عبدالسلام سكرتير مكتب الملحق الديني وسائق السيارة وهو مسلم وتبلغ المسافة إلى إبادان حوالي (١٥٠) كيلاً.

ومررنا في طريقنا بالمسجد المركزي الجديد الذي سيجري افتتاحه في يوم السبت القادم، وكانت هيئة المسجد قد أرسلت إليّ بطاقة دعوة لحضور الاحتفال المذكور غير أن ظروف السفر لم تمكني من ذلك.

وقد ألقيت عليه نظرة عاجلة، ويتألف من أربعة طوابق الأسفل لصلاة الرجال، والذي فوقه مخصص للنساء يصلين فيه، والثالث: قاعة اجتماعات كبيرة، والطابق الرابع مكتبة ومعرض كتب.

وخرجنا من مدينة لاجوس القديمة مع جسورها. التي بعضها مقام على ماء البحر الذي يحيط بجزيرة لاجوس، وبعضها مقام على اليابسة لتسهيل حركة المرور، وهي جسور جيدة الصنع، متقنة العمل.

وملأ السائق خزان سيارته من الوقود، وكانت المحطة التي ملأها منه هي الثالثة، إذْ كلما مر بمحطة وجدها مزدحمة، بحيث يصعب عليه الانتظار، وذلك لكثرة السيارات، وإلا فإن الوقود متوفر لأن (نيجيريا) من الدول المصدرة للنفط، ولاتعاني نقصاً فيه.

ورأينا في مكان غير بعيد رجلاً يبيع الضأن، فرأيت غنمهم شبية بالتي نسميها سواكن غير أنها هزيلة، رغم الخضرة الشديدة والأمطار الغزيرة في البلاد.

اللحم في لاجوس :

منذ أن وصلت إلى لاجوس، وأنا أريد أن أعرف سعر اللحم فيها فسألت طباخ مكتب الملحق الديني، وهو سوداني الأصل عن ذلك؟ فأجاب: بأنه لايدري لأنه يشتري اللحم بالقطعة جزافاً. دون وزن فقلت له: ولكن القطعة تختلف كبراً وصغراً وسمناً وضعفاً فقال: هكذا.

وسألت موظفاً في السفارة، فقال: نعم إنهم يبيعون بالقطعة، وإن الحكومة تحاول أن تجبرهم على أن يبيعو اللحم وزناً، ولكن الجزارين لايرضون بذلك، ويسايرهم الناس في هذا الأمر.

ولكنني بعد رأي وحساب استطعت أن أعرف أن متوسط سعر لحم الماعز هو (٣٥) ريالاً للكليو الواحد. قالوا: وهو لحم لايكون جيداً في أغلب الأحوال.

وانتهزت الفرصة لسؤال الشيخ العاقب عبدالسلام عن راتبه فقال: إنه ٢٧٤ نيرة، وعن المصاريف اللازمة لبيته فقال: إنه كان قد تزوج وأنجب، وإنه تزوج بأخرى منذ شهر، وهي فتاة صغيرة السن لم يأخذ والدها منه مهراً، ولكن حفلة الزفاف كانت غالية.

وقال – من بين ماقاله – إن الدجاجة تباع بخمس نيرات، وإنه احتاج قبل أيام إلى أربع فاشتراها بإحدى وعشرين نيرة، وهذا المبلغ كما قلت مراراً يساوي بالصرف الرسمي أربعين دولاراً. أي مائة وثلاثة وثلاثين ريالاً، وهي في بلادنا تساوي إذا كانت من إنتاج المزارع الجيدة (٢٨) ريالاً. أي بسبعة ريالات للواحدة.

وقال : إنه يشتري كيس الأرز الامريكي بمائة نيرة.

ولم أذكر له الأسعار في بلادنا لئلا يصيبه الحزن، فهي ولله الحمد رخيصة إلى درجة لايصدق بها من يكون في هذه البلاد ذات الأنهار والأمطار، والغابات والأراضي الخضراء والشعب الكثير. الذي فيه أيد عاملة هائلة العدد.

ركود وركود :

ركدت حركة السيارات في الشارع الضخم المنطلق من لاجوس إلى (ابادان)، وركدت حركة الهواء، وكان من السيارات التي ركدت في الشارع شاحنات ضخمة تنفث محركاتها دخاناً كريه اللون والرائحة يزيدمن ركود الهواء والسيارات، والحر السائد في هذه الظهيرة ثقلاً ووطأة على النفس.

وكـان في الخط الذي فـيه سـيـارتنا سـيـارة معطـلة، فكان علي من يصل إليها. أن ينحرف ليدخل في الصـفين الآخرين في الشارع. غير أن السـائق حـاول أن يـجـد من السـائقين ذوي مـروءة يـسـمـحـون له بالدخول في الـصـفـ، فلم يستطع وإنما كـانوا يلحون بأبواق سـياراتهم ويمرون. مما يزيد من الازعاج مع أن بعض السيارات من الشاحنات الطويلة. إلى أن غامر ودخل بعد فترة من الانتظار.

لاتثق بأحد :

بينمـا كـانت السـيارات - علـى كثـرتهـا - تزحف في هذا الشـارع زحفـًا وئيدًا. كانت أمامنا سيـارة جديدة قد كتب على آخرها بخط بارز كبير بالانكليزية (ترست نو بدي) أي: لاتثق بأحد.

والحقـيقـة أن هذه العبارة التي اخـتارها أحـدهم لصدقهـا عنده. هي شعـار الفنادق والمطاعم والمحـلات العامـة في هذه البلاد، حـتى فنادق الدرجة الأولى قـد أخذت بها حـرفيـًا. فهي لاتسـمح بإسكان الشخص إلا بعد أن يدفع ثمن المبيت في الغرفة مـضافـًا إليه مـبلغ بمثابة تأمين فهي تطبق هذا المبادئ (لاتثق بأحد).

وقد أردت أن أعرف رأي فـرد من الشعب في هذه العبارة. فـأريتها سائق سيـارتنا وهو يعرف الانكليزية، وسألتـه عن صحتهـا فقال: نعم نعم إنها صحيحة، لاينبغي للمرء أن يثق بأي شخص.

الغابة أرحم من هذا :

عندما وقفت طوابير السيارات في هذا الحر الرطب، وصار من في السيـارة يعاني من الارهاق أمرًا شـديدًا ربما لايقل عن الارهاق الذي

يعانيه طوائف من الشعب كنا نراهم ونحن في سيارتنا يسيرون في الشمس والعرق يتصبب من أجسادهم، وربما رأينا من يحمل على رأسه شيئاً ، ومن يتضايق من جمهور الناس كما يتضايق سائق السيارة من السيارات الأخرى، ورأيت مجاري المياه المستعملة القذرة في جانبي الشارع مكشوفة وبعض القمائم فيه مهملة تبادر إلى ذهني هذا الذي ذكرته في العنوان (الغابة أرحم من هذا).

فالإفريقي البسيط القريب من الفطرة. ربما كان خيرًا له وأكثر رأفة به أن يظل يعيش في الغابة. عيشة بسيطة رضية خالية من التعقيد ليس لديه فيضان من مياه المجاري، ولارعد من محركات السيارات، ولابركان من أدخنتها.

وحاجاته كانت محدودة. فهو يأكل من الغابة، ويعيش في الغابة ويموت في الغابة، حتى مشلكة اللغات التي يعانيها سكان مدينة لاجوس الذين على من يريد التفاهم منهم مع الآخرين أن يتعلم الانكليزية ولغة أو أكثر من اللغات الافريقية الرئيسية، حتى تلك اللغات لايكون إنسان الغابة محتاجًا إليها فلغته محدودة، لأن حاجاته محدودة وتفكيره محدود، والناس الذين يحتاج إلى مخاطبتهم عددهم محدود.

ولماذا لايكون تفكيره محدودًا، وهو لن يتعامل إلا مع أشياء محدودة ولكنها على ضيقها، ونطاقها المحدود. ستكون كافية لتلبية رغباته، وهي كافية أيضًا لرهباته التي لاغنى عنها في حوافز الحياة.

وهؤلاء الباعة الذين أشاهدهم في مجموعات كبيرة. تحت هذه الشمس الاستوائية. يعرضون بضائعهم على ركاب السيارات

المتحيرة، وقد جاؤا إلى هذا المكان من هذا الشارع الواسع. لثقتهم بأن الحركة فيه تتوقف إلى درجة تكفيهم لمبايعة الأشخاص الذين يعرضون عليهم بضائعهم، وهم في داخل سياراتهم.

وبضائعهم أنواع منوعة من أقراص البسكويت إلى المرايا – جمع مرآة – التي تعلق على الحيطان في المنزل.

وهناك شيء يزيد في ازعاج السيارات، وهي الدراجات النارية، فهي كثيرة هنا بدرجة تلفت النظر، وقد يكون هذا أمرًا معتادًا، ولكن غير المعتاد في أمرها أن يجعل لها أربابها أبواقًا مزعجةعالية الصوت، كأبواق السيارات فيخيل إليك إذا سمعتها من خلفك. أنها سيارة تريد أن تتقدم عليك، فتصدم سيارتك، لأنك ترى الطريق أمامك مغلقًا بالسيارات الأخرى، وبعضها ذو محركات مزعجة بصوتها، وبعضها يثير دخانًا كريهًا.

وعندما سارت السيارات في هذا الشارع الواسع الجيد الذي خططوا معظمه بخطوط تبين مسار كل سيارة منه، رأيت بعض السائقين لايستقيم على مسار الصف. الذي هو فيه بل ينحرف يمينًا وشمالاً. مما يزيد في إرهاق الأعصاب، وبالتالي يسبب المزيد من حوادث السيارات. التي هي كثيرة في هذه الطرق العامة.

ويكفي أن تعرف أن الشارع الذي نسير فيه. هو في الحقيقة أربعة شوارع. يفصل بين الواحد والآخر رصيف محكم. قد رصف بالأسفلت شارعان منها للذاهب وشارعان للآيب، والشارع الواحد فيه في المتوسط مساران، وقد يكون فيه ثلاثة في بعض الأحيان.

الخروج من لاجوس :

أمضينا ساعة وعشرين دقيقة، ونحن نسير في شوارع مدينة لاجوس أو فيما هو معتبر من المدينة التي هي العاصمة الاتحادية لدولة نيجيريا أكبر الدول الإفريقية.

وقبل الخروج منها رأينا طوائف من الجنود يحملون البنادق الجاهزة للاطلاق، وهم يفتشون بعض السيارات.

أخبرنا مرافقونا أن هذا التفتيش كثيراً مايكون القصد منه البحث عن السيارات المسروقة، لأن هناك عصابات متخصصة بسرقة السيارات، وهناك عصابات أخرى متخصصة في أنواع من السرقات. مما يجعل الشرطة تفتش السيارات التي تشتبه بها، على أن كثيراً من الناس الذين حادثناهم. لم يكونوا يثقون بالجنود تماماً ويقولون إنهم في بعض الأحيان يسببون مضايقات للناس وقد يجدون مايأخذونه ولكن وجودهم ذو نفع كبير في مكافحة انتشار سرقة الأشياء الكبيرة.

ولم يوقفوا سيارتنا أو يعترضوها. ربما كان ذلك من أجلنا، أو لكونهم مشغولين بعدد من السيارات. كانوا قد أوقفوها أو لأنها تحمل لوحة سياسية.

وخرجنا من بوابة تعترض الطريق – طريق الخروج – من منطقة مدينة لاجوس، ودفع السائق نيرتين اثنتين. أجرة استعماله هذا الطريق العام، وأخذ بدلاً منهما وصلاً صغيراً عليه أن يقدمه للواقفين عند بوابة الدخول إلى مدينة ابادان فيما بعد.

وهذا النظام معمول به في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنه ليس بهذا الغلاء. فالمقدار بالصرف الرسمي. هو أقل قليلاً من أربعة دولارات لمسافة لاتزيد على ١٢٠ كيلاً.

وبعد الخروج من بوابة (لاجوس) انطلقت السيارة كأنما اطلقت من عقال فقد خف الزحام، بل ذهب كله، وأصبح الطريق مسارين واحد للذاهب وآخر للآيب، وفي كل مسار سيارتان، وعن يمين كل طريق مايتسع سعة ظاهرة كافية لوقوف السيارة إذا تعطلت، وبين طريق الذاهب والآيب فراغ واسع. قد أحاطوه بسياج من الحديد قوي.

ولكن المشكلة أن سائقنا النيجيري كأنما أراد أن ينتقم من الزحام السابق. فاطلق العنان لسيارته، فأخذت تنهب الطريق، وتسابق السيارات الأخرى انتهابه، فكان المؤشر يصل إلى ١٤٠ كيلاً في الساعة، لكنه لايقنع بذلك بل يضغط على الوقود حتى يندفع.

وقد فزعت لذلك وقلت له، وأنا أرى حطام السيارات المحترقة، والمدمرة من الحوادث: ارفق ارفق، ولكنه قابل ذلك بضحكة لامبالية فاستعنت عليه ببعض المرافقين، فأخذ لايزيد على مائة وعشرين ومائة وثلاثين إلا إذا غفلنا عنه.

أما المنطقة التي نسير فيها فإنها منطقة ذات ريف أخضر، ولكن المرء يشعر بأن أكثر النباتات الموجودة فيها. هي أعشاب وحشية أي: غير مزروعة، وأكثرها غير مفيد، وإذا صادف المرء مكاناً قد أخذ منه تراب، وهو قليل فإنه يرى التربة حمراء جميلة كأنها التربة الإفريقية الاستوائية في شرقي إفريقية ووسطها.

أمـا الأشجـار والمزروعات النافـعة، فـأكـثرها أشـجار الموز ونخـيل الزيت على كونها تبدو غـير جيدة، بل رأينا بعضها قد مـات، وبعضها قد ماتت بعض عسبه – جمع عسيب وهي أغصانه.

وسألت الأخ العاقب وقـد زدت بعد ذلك في اسمه ميـماً بعد ال وقبل العين. عن السـبب في كون هذه الـنخيل مـيتـة؟ فأجـاب: لأن عمـرها طويل.

وقـد أسمـيتـه بهـذا الاسم لأنني كنت قـد أملت فيـه أن يجـيب على أسـئلتي عمـا أريد الاسـتفـسار عنه في هذا الـطريق، فكان إذا سألتـه: أجاب بضحكة وبكلمات قد تكون غير واضحة.

واسـتمـر الطريق الفـخم الواسع فـي الإمتـداد. دون أن تكون عليـه قرى أو بلدان، بل ليس عليه مـقاه، أو محلات استراحـة. وأخبرونا أن ذلك هو لكونه جـديداً. وأن هذه كلهـا كـانت موجـودة على طريق قـديم غيره.

وقالوا: إنه لم يمض على إنشائه إلا حوالي ثلاث سنوات.

وهو طريق معـتنى به. تسير فيـه السيارة لايعترض طريـقها شيء حتى إنهم أقامـوا عليه جسوراً معتـرضة تسير عليهـا السيارات. التي تريد أن تقطع الطريق.

الحوادث الكبيرة :

ولكن السير في هذا الطريق علـى سعته وحداثته، واتقـان بنائه يثير الرهبـة والفزع. ذلك بأنك تشـاهد بقايا السـيارات المحـترقة والمحـطمة

تماماً، وربما كان هذا ليس بالغريب على شخص مثلي فجوانب الطرق الرئيسية الطويلة في بلادنا. فيها هياكل السيارات المحطمة من الحوادث، ولكن المفزع الذي لايوجد مثله في بلادنا أن ترى عدة حوادث حاضرة.

فقد رأينا عدة سيارات قد اصطدمت، وأخرى قد انقلبت، ومنها سيارات كبيرة من الشاحنات أو ناقلات النفط.

ومررنا بسيارة كبيرة تخرج منها سحب هائلة من الدخان. فلما تجاوزناها بمقدار نصف دقيقة سمعنا صوت انفجار ضخم، وهى تقف، وتقف عندها بعض السيارات التي صادف عبورها الطريق.

وقد قطعنا المسافة منذ أن انطلقنا من أسر زحام لاجوس في مدة يسيرة.

بلاد اليوربا



خريطة غرب نيجيريا ومنها بلاد اليوربا

قال الشيخ محمد بيلو: وأما بلد يُرْبَ فبلدة واسعة ذات أنهار وأشجار، ورمال وجبال، فمنها الأخبار العجيبة والأسوار الغريبة، بجنبهم مرسى السفن للنصارى المذكورين، وكان ذكر أنهم الذين يتاجرون بالعبيد.

وأهل هذا البلد – على مايقال – أنهم من بقايا بني كنعان، الذين هم عشيرة نمرود.

وسبب مقامهم في المغرب – على ماقيل – أن يَعْرب بن قحطان هو الذي طردهم من العراق إلى المغرب، فسلكوا بين مصر والحبشة حتى وصلوا إلى (يُرْبَ) وكانوا يخلفون في كل بلد طائفة منهم.

إلى أن قال «في هذا البلد أخبار عجيبة ذكرها محمد مسنة صاحب النفحة العنبرية في ... أزهار الربى، في أخبار يُرْبَى».

وكان أهل هذا البلد يجلب لهم العبيد من بلادنا هذه، ويبيعونهم للنصارى المذكورين.

وإنما ذكرت لك هذه القضية لئلا تبيع عبداً مسلماً لن يجلبه إليها. وقد عمت البلوى بذلك. (١).

هذا ماذكره الشيخ محمد بيلو، وهو ليس من اليورباويين. بل هو فولاني الأصل (هوساوي) الموطن.

ولكننا نرى أن بلاد اليوربا قد حظيت بتأليف عن أحوالها من أبنائها الذين كتبوا تاريخها بالعربية. أكثر مما حظيت به منطقة أخرى في

(١) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص ٤٨.

نيجيريا فاطلعنا نحن العرب على شيء مما يقال عن تاريخها بلغتنا أكثر مما اطلعنا على مايقال عن تاريخ المناطق الأخرى في نيجيريا، وسوف ننقل نصين عن عالمين من علماء اليوربا في هذا الموضوع، وهما الشيخ آدم عبدالله الألوري والشيخ مصطفى زغلول السنوسي.

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري :

ليس لتاريخ نيجيريا القديم إلا مرجعان اثنان. أولهما السلطان محمد بللو المتوفى ١٨٢٧م. في كتابه انفاق الميسور، وثانيهما سمويل جونسن في تاريخ يوربا ١٨٩٧م، ولم يسلم الاثنان من الزلل فيما كتبا رغم الجهود التي بذلا في تحقيق الروايات وغربلتها لتميز الحثالة من النقاية.

ونحن نثبت هنا خلاصة مايروون مما لابأس به من بين تلك الروايات ثم نعلق عليها.

يقولون أن يوربا وبرنو وغوبر ونوبه ابناء اخوة واحدة أو أبناء اعمام هاجروا سوياً إلى هذه البلاد من آسيا وتخلف النوبة في أرض دنغلا واستمر الباقون في السفر حتى وصلوا هذه البلاد واستقر كل بالجهات المعروفة بهم اليوم.

وهذا قول لايبعد عن الصواب نظراً للشبه الكائن بين هؤلاء الأجناس في ملامحهم وسمات وجوههم التي يرسمونها على اصداغهم ويرى هذه السمات في وجوه النوبيين والسودانيين واليرباويين على السواء.

والآخرون يقولون أن مؤسس مدينة اليفى رجل من سلالة نمروذ أو كنعـان طرده يعـرب بن قـحـطان من العـراق وهرب إلى هـذه البـلاد وينسب هذا القول إلى السلطان محمد بللو في كتابه «انفاق الميسور».
ومن قائل أن الـرجل يدعى نمروز طرده المسلمون من بلادهبـعد قـتال عنيف وفـر هو وأولاده بوثنيتـهم إلى هذه البـلادوقـائل آخـر يروي أن الرجل اسـمـه هُودُودُوا ولعـله من «هَدندَوه» بالسـودان وهو أول من سكن هذه المدينة هو وزوجـته وبنوه ثم بعد مـوته أصبح أولاده جمـيعـاً ملوكـاً على البلاد.

وفي رواية أنه أدرك بـهـا أناسـاً ولـكن جـهلهـم بنظام الحكم افـسح مجـالاً لهذا الرجل أن يديرهم ويسوسهـم، ويتملك عليهم مدى حـياته، ولما مـات خلف سـتة أولاد وبنتـاً واحـدة. اتجـه كل ولد من الأولاد إلى ناحيـة من نواحي هذه البلاد. فأصـبح ملكـاً متوجـاً عليـها. أو لهم ملك مـدينة بِنِـينْ، والـثـاني ملك مـدينة إلاح، والثـالث ملـك مـدينة كِـيْتُو، والرابع ملك مـدينة بوبو والخـامـس ملك مـدينة أوهُو والسـادس ملك مـدينة اليـفى الذي انتـقل أخيـراً إلى مـدينة أويو، واسـتـخلف نائبـاً في مدينة اليفى يحمل لقب أونْـِي. هذا الذي رجحه سمويل جونسن.

النقد والتعليق :

إن القـول بأن الجـد الأعلى لليـوربا من أبنـاء كنعـان. الذين طردهم يعرب بن قـحطان إلى أرض يوربا فيـه غفلة سافـرة وتناقض واضح. ماهي الجريمة التي ارتكبها أبناء كـنعان حتى طردهم من أجلها يعرب من العـراق..؟ وهل يـوجـد في تاريخ العـراق، وفي تـاريخ يعـرب بن

قحطان مايؤيد هذا القول .. ؟ كلا. إن قبائل يوربا منتسبون إلى يعرب وهذا الاسم وحــده يكفي لاثبــات هذه النسبــة فكيف يصح البــرهان المنطقي أن ينتسبوا إلى عدوهم الذي أخرجهم من ديارهم بغير حق إن صح هذا القول؟

والواقع أن علمــاءنا الأقــدمين هم الذين يلفــقــون هذه الظـنائن، ويحملون أقـوياء بلادهم على من يجدون أخـباره في القـرآن والتاريخ، فـحملوا ألالافِن الذي هو أعــظم ملك يعرف فـي بلاد يوربا على أنه من بقـايا أو من سـلالـة نمرود أعظم ملك في الدنيـا القـديمة على حـسب مايقرأون عنه في التاريخ والتفسير.

وكذلك حملوا الانجليز الذين استعمروهم واستعبدوهم على أنهم بنو إسرائيل الذين فضلهم الله عل العالمين، ولايزال كثير من علمائنا حتى اليوم يظنون أن الانجليز وفرنسا هم بنو إسرائيل المذكورون في القرآن مـسـتـدلين على ذلك بتـفـوقـهم على الـشـعوب، وتـغلبـهم على الأمم، واستعمارهم للبلاد واستعبادهم للشعوب واستذلالهم الملوك.

إن القول بأن قبائل يوربا ملوكـًا ورعـية يرجعون إلى أصل واحد أو أن رجلاً توج نفـسه ملكًا على بنيـه، أو أبناء رجل واحد تملكوا جمـيعًا على البلاد المختلفة في زمن واحد بدون قـتال أو احتلال عسكري فكل ذلك قـول بعيـد عن الحقـيقـة والواقع. أما مـايذكر في تاريخ هوسـا من مثل هذه القصة فإن تلك القرائن احتـمالها غير مايذكر في تاريخ يوربا فكلها مضطربة متناقضة متعارضة.

والذي نراه صحيحاً وسوف يوافقنا عليه القارئ بعد متابعة سيرنا في النهاية أن مدينة اليفى أقدم مدينة في بلاد يوربا، ويحتمل أن يكون سكانها الأولون من النيغرو، ثم نزل بها المصريون ثم اليورباويون «العرب» قبل غزوهم من أويو واستعمروهم.

كما نعتقد أن يوربا من قبائل العرب، أو من أبناء يعرب، ولهذا انتسبوا إليه، وأن فروع يوربا المعروفة اليوم. ليست من أصل واحد -كما يزعمون- بل انتحل أكثرهم الانتساب إلى يوربا، وتكلموا بلغتهم أيام أن بلغت المملكة اليوربية أوج مجدها، واستعمروا كثيراً من هذه البلاد.

وقد تكونت قبائل يوربا الحالية من عناصر متعددة أهمها: الزنوج والنوبة والبرابرة والعرب، ويستدل على ذلك بتعدد عناصرهم واختلاف لهجاتهم وملامحهم، وكون القبائل المجاورة لمدينة أويو أفصح لساناً وأبلغ تعبيراً من القبائل الباقية.

هذا وقد وجد في مدينة اليفى آثار الفن الفرعوني. من المسلة الحجرية وتمثال الرؤوس المصورة من الخزف، وبعضها من النحاس، وبعضها من الحجارة. كما وجد على الجدران، وألواح الأبواب القديمة كتابات هيروغليفية، وكذلك قبورهم وتقاليد دفن موتاهم ونحو ذلك. مما يثبت العلاقة بين سكان اليفى الأصليين وبين المصريين القدماء. انتهى كلامه.

وقال الشيخ مصطفى زغلول السنوسي :

أصل قبائل يوربا :

وأما عن أصل يوربا فلقد ذكر شيف بدَا في كتابه تاريخ أيُو «أن يوربا أتى جدهم الأعلى من مصر في عام ٧٨٢م، وأن هنالك

مايصدقه من معالم الحفريات وآثار الأعمال اليدوية الفنية التي عرفت مع الأمم المصرية في عهد الفراعنة والتي عثرت عليها في مدينة اليفى واسعى من مدن يوربا القديمة(١)، وكذلك ذكر المؤرخ الكبير الشيخ آدم عبدالله الإلوري في كتابه «أصل قبائل يوربا»، وقال: «تشهد أن قبيلة يوربا انحدرت من إحدى العناصر العربية المهاجرة إلى شمال افريقيا، ثم طوردوا منها واستفاضوا إلى غربها شواهد عديدة من العادات والتقاليد واللغات»(٢).

ولقد أيَّد الدكتور لوكاس في كتابه الرأي القائل بأن يوربا أتوا من مصر بأدلة كثيرة منها أن هناك تقاربًا وتجانسًا بين لغة يوربا والعربية، وأنهى حديثه بأن يوربا خرجوا من مصر، ثم وصلوا إلى السودان ثم إلى منطقتهم الحالية(٣).

ويرجح مستر أبِعُولا في كتابه. القول القائل بأن يوربا ينتسب إلى قريش في مكة، وأن «يَعْرُبَ» هو جدّهم الأعلى، ومنه اشتق اسم يوربا، واختتم حديثه بقوله: إنني لاأعتقد بأن كل ماحكيته هذا لايأتي عليه في المستقبل حجر الحقائق الثابتة، ومضرب الأبحاث الصادقة يضربه ويصدعه ويستأصله، ثم يجلوه في لباس كذب خالص، لأن الأساس الذي بنينا هذه الروايات عليه غير ثابت، بل هو يهتز ويتزلزل لأن غالبيتها حكايات شفوية، وقلما تفوت من الأساطير والأكاذيب(٤).

---

(1) The History of Oyo.

(2) The Origin of the Yoruba.

(٣) أصل قبائل يوربا.

(4) A Textbook on W. African History.

ويقول مستر لاتنبوسن في كتابه: «وآخر القول الذي أختاره وأعمل به. بعد أقوال عديدة وحكايات كثيرة. أن يوربا أتوا إلى هذا المكان (اليفي) من مكان آخر، وأن اليفي ليست موطنهم الأصلي، ولامسقط رأسهم الأول، وأن تاريخ وصولهم يرجع إلى ١٠٠٠ - ١١٠٠م، وأن هؤلاء يوربا القدامى أتوا من أراضي مصر، وكل هذا ثابت بل حقيقة لاتنكر[١].

ومن المؤرخين الأجانب الذين أثبتوا إثر طول بحثهم العميق، وبعد نقدهم التاريخي الصحيح، أن يوربا نزحوا إلى هذه البلاد من شرق افريقيا، منهم مستر دينس پولم في كتابه «الحضارات الإفريقية»، لأنه يؤمن بأن هنالك شبها عظيما بين تقاليد يوربا وعاداتهم، وبين تقاليد المصريين القدامى، وحتى في دفن الأموات، وقال: كما أن الحفريات - التي جرت في مقابرهم - دلّت على وجود طقوس في دفن الموتى قريبة من الطقوس التي كان يمارسها حكام غانا في غرب القارة الافريقية، ومن بين الأدوات البرونزية التي اكتشفت حديثًا في بلاد يوربا في نيجيريا. نرى بعض القبعات الملكية التي تذكرنا بتيجان حكام النوبة[٢]. أما الغرض الأساسي من سرد هذه الحكايات والروايات، فهو إثبات القول بأن يوربا لهم صلة نسبية مع العرب وأن قبيلة يوربا انحدرت من إحدى العناصر العربية من شرق إفريقيا.

---

(1) History of W. African.

(٢) الحضارات الإفريقية.

فليعلم القراء أنه ليست الغاية في نسبة قبيلة يوربا إلى إحدى العناصر العربية في شرق إفريقيا، أو في شمالها، وفي ربطها مع أمة من الأمم السامية كسب فضل أو شهرة أو فخر، وأنه ليست نسبة مصطنعة يقصد بها تحريف الحقائق التاريخية. لغرض نسبة القبيلة إلى عنصر أشرف الرسل نبينا محمد (ﷺ). إذ الإسلام لاينظر إلى جهة نسب ولا إلى طرف حسب، ولايجعلها ميزان الشرف إنما ينظر دائماً إلى جهة الإيمان والتقوى. وذلك لأن نسبة القبائل إلى العنصر العربي أصبح شيئاً شائعاً. يغبط بها كثير من الذين ليست بينهم وبين العنصر العربي أدنى صلة نسبية، وأقل قرابه عنصرية حتى قال الشيخ إبراهيم صالح في كتابه: فما من قبيلة إلا وهي تقول إنها من العرب كأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق إلا العرب، ومرد ذلك إلى السياسات في تلك العصور، وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأسر المالكة كانت أشد ادعاءً للعروبة من غيرها كما نرى في قبائل البرنو والفولاني.(١)

وأما نسبة العنصر اليرباوي إلى إحدى العناصر العربية، فتعود إلى أسباب كثيرة، ومنها وجود التماثيل المنحوتة من الشجر والحجر والنحاس في بلاد يوربا، فالآثار التي عثر عليها علماء الحفريات في اليَفْيَ، وغيرها من مدن يوربا القديمة، وما نقل عن أهلها القدامى. ليدل دلالة صادقة على أن يوربا هو على حظ غير قليل من الفن، وعلى صلة متينة ورابطة نسبية وثيقة مع المصريين القدامى، وقال دنيس پولم: هناك دلائل واضحة للنفوذ المصري في كل إفريقيا

(١) تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو.

الشرقية وحتى في نيجيريا منطقة يوربا. حيث نرى احتفالات التنصيب واحتفالات تجديد بعض الملوك المقدسين. تذكرنا تماماً بالطقوس المصرية[1].

ومنها تقاليد يوربا وعاداتهم التي تشبه عادات المصريين، وتبدو تلك في نظام الزواج والزفاف، وفي تشابه الأسواق الليلية في المدن والقرى وفي الفخر بالأنساب والأجداد الذي يعتبر كإحدى الأخلاق العربية الأصيلة التي حاربها الإسلام، واعتبره بقية من الرواسب الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وأكبر ذلك كله اتفاق جميع المؤرخين الذين كتبوا عن هذه القبيلة أوائلهم، وأواخرهم على أن يوربا انحدرت من إحدى العناصر العربية وذلك في نهاية مطافهم في أجواء الأبحاث الدقيقة على اختلاف تصوراتهم، وعقائدهم وعلى تباينهم في الملل والنحل، بل تباعد أجيالهم وعصورهم.

ولقد ذكر الدكتور باذل داڤدسن في كتابه «إفريقيا تحت أضواء جديدة» وقال: أما التفسير الذي يلجأ إليه بعض المؤرخين، وهو أن الأثر الخارجي لعب دوره في هذه الظاهرة الفريدة، فلا يجد كثيراً يدعمه إلا إذا بنينا منطقاً متكاملاً على مايقوله شعب يوربا في ايف عن أسلافهم الأبعدين. الذين أتوا من الشرق، وعلى ما انتهى إليه بيوباكو من أبحاثه العدة. حين شعر بأن هناك ما يحمله على الظن بأن يوربا هاجرت، ولاشك إلى أوطانها الحالية. من إقليم تعرضوا فيه

(١) ص ٣٦ الحضارات العربية.

لأثر المصريين القدماء، ويمضي فيحدد لنا ذلك بقوله: أن هجرة يوربا من الشرق الأدنى. كانت في وقت مابين ٦٠٠ وسنة ١٠٠٠ ميلادية. ومهما يكن من أمر فإن الذي يجمع عليه الباحثون. هو أن الأثر الشرقي على ثقافة يوربا ليس هيناً أو ضئيلاً، كما قد يخطر بالبال الآن[١]. ويقول باذل داڤدسن أيضاً. عندما يتحدث عن الوحدة الأفريقية القديمة التي تثبتها حقائق التاريخ، وتسير الشواهد على هذه الوحدة الافريقية خطوة أخرى. حين نرى الفن في ايف وبنين. يلجأ إلى استعمال طريقة في صب البرنز والنحاس. هي عين الطريقة التي عرفتها شعوب النيل[٢].

والخلاصة من هذه الروايات كلها أن جميع البحوث العلمية التي قامت بها جهود فردية أو جماعية. تفيد بأن يوربا نزحت من إحدى العناصر العربية، سواء في شرق افريقيا أو في شمالها، ولكن الأرجح أن نزوحهم هذا، أو هجرتهم هذه وقع بعد مجيء الإسلام بنوره، وشرعته لأن أسماء الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى عليهم الصلاة والسلام والملوك الطغاة أمثال نمروذ وفرعون، ترددها ألسنة قدماء يوربا الكفار. في حين لم يكن للإسلام ذكر في هذه البلاد يومئذ، حتى نقول بأنهم سمعوه من أفواه العلماء. كما أن حفريات الآثار والمعالم التي عثرت عليها في مدن يوربا القديمة، كمدينة اليفي واسعي. تشير وتدل دلالة صادقة بأن هناك صلة وثيقة بين قدماء يوربا وبين المصريين القدامى، أو بين النوبيين كما تشهد الحفريات الأخيرة ومعالم التاريخ الأثرية.

---

(١) ص ٢٠٧ افريقيا تحت أضواء جديدة.

(٢) ص ٢٠٨ المصدر السابق.

ولكن أملنا كبير فيما يكشفه المستقبل عن الغوامض التاريخية ويجلوه الغد في صفحات واضحة. إذا استمر الباحثون في بحوثهم، وجدّ العلماء في استنباط الحفريات، والأعمال الفنية الموجودة حالياً تنطق بصراحة بأن مخرج يوربا القديم هو الشرق. وقال باذل داڤدسن في ختام حديثه: كان الناس يهاجرون من النيل إلى شاد، ومن شاد إلى النيل يحملون في قلوبهم وأيديهم خلال رحلاتهم الشاقة عقائدهم التي يعتقدون وفنونهم التي يمارسون، وأصدق شاهد على هذا التزاوج العقائدي الفني. أنك لن تجد اليوم قبيلة معروفة في غرب أفريقيا لايتصل نسبها البعيد فيما تقول أساطيرها المتوارثة بأصول بعيدة في الشرق والشمال. وتكتمل هذه القصص أحياناً. حتى ليستطيع الباحث أن يخمن الزمان الذي نزح فيه اسلاف هذه القبائل من الشمال أو الشرق إلى غرب أفريقيا، كما فعل العلامة بيوباكا، وهو يدرس الأصول القديمة لقبيلة يوربا التي أسست حضارة جنوب نيجيريا. حيث استمع في أناة إلى قصص أهلها، وانتهى إلى أن المؤسسين الرواد لهذه القبيلة أتوا نيجيريا من النيل الأوسط بين القرن السابع والعاشر، وليكن التاريخ موضع تساؤل، ولكن الذي لايجادل عالم. هو أن الأصول الشرقية لهذه القبيلة، ولغيرها من كثير من قبائل نيجيريا. ليست موضع شك عندها، والقصص والأساطير إن لم تكن دليلاً على الأصول الشرقية فهي دليل على الأثر الشرقي الذي اختبره القوم في هذه المنطقة. وهناك مايؤيد ماتشير إليه الأساطير، وهي شواهد مادية ملموسة اهـ.

مدينة إبادن :

وصلنا مدينة إبادن في الساعة الثالثة والربع، وكان مدخل المدينة قد أغلق ببوابات تمنع الداخلين إلا إذا دفعوا رسماً قدره نيرتان، أو قدموا إيصالاً يفيد بأنهم قد دفعوها عند الخروج من لاجوس.

أول ما رأيناه من مدينة إبادن بيوت إسمنتية متفرقة ذات سقوف مسنمة وأكوام من القمامة غير بعيدة من الطريق.

ثم استمرت الضواحي ذات البيوت المتطامنة، والسقوف الزنكية الجيدة، ثم عمارات جيدة البناء ذات طوابق متعددة.

وقد لفت نظري في هذا المدخل من المدينة. أنه تتخلل المنطقة التي فيها البيوت والعمارات مساحة من الأرض الخالية، وقد عرفت بعد ذلك أن مجيئنا كان من الطريق العام الذي انشيء حديثاً، وهو يتفادى بعض الأماكن المزدحمة فيها.

وعند مدخل البلدة المزدحم رأينا صفاً طويلاً من الشاحنات الواقفة وأخبرونا بأنها ممنوعة من الدخول إلى المدينة في جزء من النهار لئلا تزيد ازدحام السيارات الموجودة بالفعل دون هذه الشاحنات.

ثم وصلنا مع شارع جيد السفلتة، ولكن بعض البيوت التي تقع عليه رديئة ذات سقوف من الصفيح الصديء.

حوانيت من الحبال :

تختلف أنواع الحوانيت، وهي مايعبر عنه في العاميه بالدكاكين. في بلد عن بعض البلدان الأخرى. ففي حين كان أبرز الحوانيت في

اندونيسـيا مـاأسميـته في كتـاب: «في أندونيسـيا أكبـر بلاد المسلمين» بحـوانيـت الأكـتـاف، وذلك لأن البـائـع يضع بضـاعـتــه في وعـائين كالـزبيلين المتعـادلين، ويحملهـا بعصـا على كتـفيـه ويظل هكذا يمشي وهو يحملها.

وفي مـدينة (إبادان) لاحـظت عندمـا دخلت البلـد صـفـًا طويلاً من الملابس المنشورة على أعـواد أو قضبان من الحديد، فـسألت عنها أهي تغسـل مع أنها فيـما يظهـر جديدة؟ فـأجابوا: لا إنهم يعـرضونهـا بهذه الطريقة للبيع. ثم تكرر بعـد ذلك هذا المنظر في عدة أماكن من المدينة، حتى في (جامعة إبادان) نفسها.

وامتد الشارع الجـيد فأصبحت تحف به عمارات جـيدة ذات طبقات مـتعـددة، ثم بيوت قـديمة، وبسطات تحت سـقـوف من الزنك تحملهـا أعواد أو أخشاب.

وقـد أصبح زحـام السيـارات شـديدًا الآن لأننا على وشك أن ندخل بوابة.

جامعة إبادن :

وكـان القـصــد من ذلك أن نرى الأسـتــاذ علوي آدم المـدرس بقـسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة إبادان، ومبعوث رئاسة الإفتاء والدعوة في المملكة إلى نيجيريا، وذلك لأننا أخبرناه أن يحجز لنا فندقـًا مناسبًا، فقـصدنا بيته في الجامـعة، فدخلنا الجامعـة وذهبنا إلى مسكنه ويعرفه الأستاذ عاقب عبدالسلام فركب معنا الأستاذ علوي بعد سلام

وترحيب: تقدمنا بسيارته عبر شوارع طويلة، ولكنها غير مستقيمة في هذه الجامعة الواسعة، حتى أوقفنا في مكان ظليل، وذهب مع الأخ عاقب، ثم طلب جوازاتنا وعاد ومعه بعض الخدم لينزل أمتعتنا فقلنا إلى أين؟ فقال لأنكم:

ضيوف الجامعة :

فقلت له: وماهي (صلتنا) بالمسئولين بها؟ فأجاب: إنكم ضيوف على قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها، فرئيسه مسلم وأكثر أعضاء التدريس فيه مسلمون، وأنا من أعضائه، وقد طلبوا أن تكونوا ضيوفاً عليهم.

فقلت له: إنني لاأسكن في بيت خاص. فقال: أنتم ستسكنون في فندق الجامعة، وهو هذا وأشار إلى بناء قريب نظيف المظهر، جيد البناء، ودخلنا الغرف فإذا بها في مستوى فنادق الدرجة الأولى في كل شيء حتى الماء الحار مستمر الجريان، وفي كل غرفة مكيف جيد، ونظافته فائقة، وهو فندق من ثلاث طبقات. في كل طبقة عدد من الغرف يفصل بينها ممر.

وكان مكاناً مريحاً لم نكن نحلم بأن نجد مثله في فندق فخم، والأهم من ذلك أنه في داخل الجامعة، والجامعة محروسة تتوفر فيها ظروف أمن أفضل.

وقال الشيخ علوي بلباقته المعهودة أنتم الآن بلا شك بحاجة إلى الراحة بعد السفر، لذا سوف أطلب لكم الشاي ثم انصرف وآتي إليكم مساءً.

وذهبت أتمشى فيما قرب مني من الجامعة فألفيتها تعتبر مدينة صغيرة، أو قرية كبيرة، وإذا فيها حوانيت للبيع، من بينها مكتبة ضخمة لبيع الكتب والقرطاسيات، وحوانيت لبيع الفاكهة و(بسطات) لبيع التحف أكثر من فيها من البائعات اللاتي تعودن على استغفال الأجانب فيرفعن أسعارهن رفعاً شديداً، عسى أن يخفضها المشتري خفضاً هو بالنسبة إلى رأس مالهن رفع.

وإذا بأعداد من الطالبات في الجامعة، وقد بدون لي أكثر احتشاماً وتستراً من النساء غير المتعلمات خارج الجامعة.

وذلك خلاف ماعليه الحال في أكثر البلدان العربية. حين تكون طالبة الجامعة مثالاً للتحرر، وعدم الاحتشام، أو هكذا كان الانطباع عنها في أذهان كثير من الناس.

أما شوارع الجامعة فإنها مسفلتة، وساحاتها فيها ممرات مبلطة وسائرها فيه حشائش إلا أنها صفراء هامدة لبعد عهدها بالمطر، إذ نحن الآن في فصل الجفاف، وموسم الأمطار يحين في العادة في آخر الشهر الثالث. الذي نحن فيه، أو في أول الشهر الرابع شهر نيسان (إبريل).

وأكثر الأشجار بروزاً في هذه الجامعة، وحدائقها الجزورينا أو الأثل الأمريكي، والبنسيان ونحوها من أشجار الظل وفيها قليل من أشجار الموز.

القرآن والإنجيل :

وجدناهم وضعوا في غرف هذا الفندق نسخة من الإنجيل الذين اعتدنا على رؤيته في أكثر غرف الفنادق العالمية، وبجانبه مصحف شريف معانيه قد ترجمت إلى الانكليزية.

وكان العشاء في مطعم الجامعة، وكانت السهرة في نادٍ فيها. ضمت ثلاثة من المبعوثين العراقيين لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية. في هذه البلاد. على نفقة الحكومة العراقية، واثنين من إخواننا المصريين العاملين في نيجيريا. بالإضافة إلى الشيخ علوي علي آدم، وكانت جلسة ممتعة أفادتني كثيراً.

يوم الخميس : ١٤٠١/٥/٢٠هـ - ١٩٨١/٣/٢٦م

المسجد العظيم :

كانت أولى فقرات العمل في هذا الصباح. تفقد الجامع الكبير الذي يجري بناؤه الآن في جامعة إبادان. التي كانت أسست أول ما أسست في عام ١٩٤٨م، بواسطة أناس ذوي ميول نصرانية.

وأسسوا فيها أول ماأسسوا كنيستين مشرفتين، إحداهما للكاثوليكيين، والأخرى للبروتستانيين، وقام المسلمون الأوائل المنتسبين إليها ببناء مسجد صغير خفي المبنى بالنسبة إلى هاتين الكنيستين.

وذلك كان جهدهم، واستطاعتهم في ذلك الوقت. غير أن إخواننا المسلمين في هذه البلاد. قد نهضوا ببناء جامع كبير. مشرف المنار، عالي الشعار. يتسع لآلاف المصلين والمصليات، لأن المقصود من بنائه أن يكون لمن في الجامعة، ومن يحب أن يصلي فيه من خارجها.

وليس ذلك فحسب، وإنما كان بناؤه جزلاً قوياً مرشحاً لأن يعيش مئات السنين.

وكان رفقاء الذهاب إليه. الشيخ علوي علي آدم والأخ (كامل كويجي أولوسو) رئيس حركة الطلبة النيجيرين في السابق، ولايزال من زعماء هذه الحركة حتى الآن.

فاستقبلنا عند مبنى الجامع الضخم. الذي لم يكتمل بعد، وقد رأيناهم الآن يسعون في عمل الأخشاب للقبة العربية الجميلة. تقوم على تنفيذ بنائه شركة مقاولات ايطالية. رأينا مهندسها الايطالي المسئول موجوداً في الموقع.

وقال لنا إخواننا: أن المملكة العربية السعودية تبرعت لهذا الجامع بمليوني ريال سعودي، وأنه أكبر تبرع تلقوه من جهة واحدة، وما ذلك -والحق يقال- بالكثير عليه، والتبرع له ولأمثاله من المشروعات الإسلامية الباقية على الزمن. مما ينبغي أن يكثر ويتكرر. فهي ذات نفع مستمر متجدد، وهي شواهد صدق على التعاون الإسلامي، والتضامن بين المسلمين في شتى أقطارهم وأمصارهم.

وجدنا في الاستقبال عند المسجد المهندس سمير أحمد السيد مصري الجنسية، وهو المهندس المشرف على مشروعات جامعة إبادن الهندسية، ويشرف على هذا المسجد على اعتبار أنه من الأعمال التي تقوم بالإشراف عليها الجامعة، لأنه في وسطها وأنشيء من أجل منفعة أساتذتها وطلابها وموظفيها من المسلمين.

وقال المهندس سمير: إن تكاليف المسجد بلغت ثلاثة عشر مليون ريال، وأنه – أي المهندس سمير – على وشك أن يترك العمل في الجامعة. غير أنه لايريد أن يفعل ذلك قبل أن ينتهي موضوع المسجد، لأنه يريد أن يطمئن على العمل فيه.

وقال لنا إخواننا: إن رئيس لجنة المسجد هو الشيخ موسى عبدالله نائب رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة.

وقد جال بنا المهندس سمير في أنحاء المسجد. يشرح ويوضح الأعمال التي تمت، وماسيكون عليه المسجد إذا تم جميعه.

ومن أطرف مافيه أن الأعمدة مجعولة على هيئة زهرة، ذات جزء أعلى مرتفع، وأسفل أقل سماكة، وسيكون كله على طراز عربي كامل، بحيث يكون شاهداً على الهندسة المعمارية الإسلامية في هذه الجامعة الإفريقية الكبيرة.

ومن اللطيف في الأمر أنه مقام على أرض من الجامعة وهبتها للمسجد، ولكنها في الأصل كانت قد خصصتها لهذا الغرض، وأسمتها (أرض العبادة)، وهي مساحة واسعة، بحيث تضم الآن كنيستين ومسجدين: هذا الكبير والأول الصغير، وماتزال فيها مساحة من الفراغ، ويذكر أنه لاتوجد معابد فيها لغير المسلمين والمسيحيين. فالدين الثالث الموجود له معتنقون في الجامعة هو الوثنية، أو على الأدق الدين الذي كان عليه أهل البلاد قبل دخول الإسلام والنصرانية إليها. وقد أخذوا يسمونه الآن (الدين التقليدي) فراراً من الوثنية، ولو أن بعض أهله من الوثنيين قد أصبحوا متعلمين، وهو وثني بالفعل يعبد آلهة متعددة سواء أرضي أهله بتسمية الوثنيين أم أبوها.

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري وهو من أهل هذه المنطقة، ومن علماء نيجيريا ومؤلفيها.

إبادن :

وهو اسم أطلقوه على المدينة التي صارت اليوم قاعدة الإقليم الغربي من أقاليم نيجيريا، وهي أكبر بلاد غرب إفريقيا وأكثرها سكاناً. فيها

كلية جامعية تأسست سنة ١٩٤٨م، وهي ربيبة جامعة لندن الشهيرة. وقد كانت مدينة إبادان بالقرن الماضي. مركزاً هاماً للتعليم العربي. يقصده الطلاب من كافة بلاد يوربا، وهي تنزل الدرجة الثانية من مدينة إلورن، وكانوا يتخصصون في الفقة المالكي.

تأسيس المدينة :

ويرجع تأسيس هذه المدينة إلى نحو ١٧٨٨م وقد زعموا أن مؤسسها رجل من إلَيفَى ويسمى لَغَيُلو اتخذ هذا المكان موطناً له ثم لحق به بعض الأوباش المشردين من البلاد المجاورة وكانت حينذاك تابعة لمدينة بيكوتا القديمة ثم وقعت حروب دامية بينها وبين أويو وانتهت بتخريب إبادن وتشتيت أهلها ثم أعادوا تأسيسها سنة ١٨١٠م بالقرب من المكان الأول وأخذت في التقدم والازدهار منذ أن آوى إليها المحاربون من بلاد حيبو وإيفى على أثر عودتهم من محاربة مدينة أوهو.

وقد تعسكر هؤلاء المحاربون بها على قصد تأليف عصابة تقوم بشن الغارات على القرى المجاورة ولم تلبث أن صارت مدينة ذات حكومة معترف بها بين الحكومات المجاورة. وكانت حكومتهم شبه نظام ديمقراطي انتخابي جمهوري تحت رئيس يحمل لقب بَالى الذي لايدوم على كرسي الرئاسة أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يعزلوه أو يغتالوه لينفسح المجال للآخرين.

وقد كانت تابعة لمدينة أويو كسائر بلاد يوربا ردحاً من الزمان ثم انفصلت عنها كما انفصل غيرها وعمل زعماؤها في انهاضها

وتقدمها في مدارج الرقي حتى أصبحت قاعدة الإقليم الغربي ومن الذين عملوا لرفعة شأنها في القرن الماضي هو الوالي عثمان بشورن الذي أوفد إليها جلة العلماء من بلاد هوسا وأنفق على نشر التعليم العربي من جيبه الخاص ثم حذا حذوه بالى شئت ثم عباس أولوبدن وكلهم مسلمون مخلصون شيدوا المساجد ونوهوا بفضل العلم والعلماء.

ومن العلماء الذين كرسوا حياتهم لنشر العلم العربي وبث الدعوة الإسلامية في إبادان[1]. الشيخ عثمان الدندي الذي تولى الإمامة فيها سنة ١٨٣٩م ثم الشيخ أبو بكر بن صاحب الكرسي الذي قُتِلَ ظلماً في طريق الحج ثم الإمام هارون بن سلطان الذي يُدْعَى بالشيخ الأكبر لأهل ابادن وكانت وفاته ١٩٣٥م.

وهؤلاء الذين تعاونوا مع أولئك الرؤساء في توطيد دعائم الإسلام وارساء رواسي العلم العربي في مدينة ابادن وما جاورها من بلاد يوربا واستقدموا المرشدين والمدرسين إلى أبادن من إلورن وغيرها من بلاد هوسا اهـ.

جولة في مدينة إبادن:

اسمها من لغة قبيلة اليوربا التي تؤلف أكثر السكان بل كل السكان الأصليين فيها وتعني بهذه اللغة: المكان القريب من البادية.

وأصل تسميتها (أباودن) خففت إلى أبادن بحذف الواو.

(١) من مذكرات الشيخ أحمد الرفاعي مفتي مدينة إبادن.

وقالوا: إنها رغم كبرها حديثة لايزيد عمرها على مائتي عام.

ولما سألتهم عن العدد التقريبي لسكانها لم أجدهم يعرفونه لأنهم اختلفوا في ذلك وأوسط التقديرات وأقربها إلى الصواب أنه في حدود أربعة ملايين، ولكن المرء الذي يدخلها لأول مرة لايتصورها تماماً ويظن أنها أقل منه لأنها مؤلفة من رواب طينية ومنخفضات بينها على هيئة وديان غير مستطيلة، ولذلك تختفي طائفة من البيوت عن العين إذا نظر إليها المرء من جهة واحدة اضافة إلى وجود مساحات من الفراغ بين أحيائها تجعلها تبدو كأنها غير مأهولة.

وقد خرجنا من الجامعة إلى شارع هام اسمه (شارع بودجا) المرور فيه كثيف ولذلك يصعب الدخول إليه بالسيارة بسرعة.

ورأينا فيه طائفة من الجنود ببنادقهم الجاهزة الاطلاق يفتشون بعض السيارات التي يشتبهون بها حذراً من أن تكون مسروقة، أو أن يكون فيها شيء مسروق. وهم غير جنود المرور لايتدخلون إلا عند اللزوم.

وفوق هذا الشارع جسر لمرور السيارات التي تقطعه حتى لاتوقف السير.

وقد رأينا جماعة يسيرون السيارات وينظمون مرورها في الشوارع أخبرنا إخواننا أنهم من المتبرعين بذلك، وليسوا من جنود المرور وإنما يساعدون على ذلك وأن الحكومة تعطيهم سلطة جنود المرور فيما يختص بتنظيم السير.

المدرسة الإسلامية العالية :

هذه هي الترجمة الحرفية لاسمها (إسلامك هاي سكول) والمراد بذلك المدرسة الإسلامية الثانوية فالعالية هنا: تعني مانسميه في بلادنا بالثانوية.

وهذه المدرسة كانت ثانوية إسلامية أنشأها المسلمون بأموالهم ليدرس فيها أولادهم مايحتاجون إليه من دراسات مدنية ودينية، ولكن الحكومة صادرتها عندما صادرت جميع المدارس النظامية الخاصة، ومن بينها مدارس نصرانية كانت تديرها هيئات وجمعيات نصرانية تأخذ التأييد والعون المادي والمعنوي من الهيئات النصرانية في الخارج.

وعندما سمعت أن الحكومة أخذتها من أصحابها المسلمين استعظمت ذلك وظهر الحزن على وجهي فسارعوا يقولون: إنه لاداعي لذلك، لأن الحكومة صادرت جميع المدارس الخاصة.

وأن الوضع التعليمي أحسن مما كان عليه قبل المصادرة ذلك بأن أولاد المسلمين لم يكونوا في السابق يجدون فرصاً كافية للتعليم، لأن التعليم يكون بمصاريف وأن أولاد المسيحيين يجدون فرصاً جيدة للتعليم في المدارس النصرانية التي تشرف عليها الارساليات الأجنبية.

فأصبح التعليم الثانوي في الوقت الحاضر مجانياً للجميع وذلك أفاد طوائف من أولاد المسلمين الذين لم يكونوا يستطيعون مواصلة تعليمهم قبل ذلك بسبب عجزهم عن دفع المصاريف.

كما أن مدارس الارساليات الأجنبية التي كانت تعتبر مدارس متميزة مقصورة على المسيحيين وإذا أراد أحد من أبناء المسلمين أن يلتحق بها فإنه لابد من أن يغيِّر اسمه، ويتعلم الديانة المسيحية وكثيراً ماكانوا يؤثرون عليه. إن تلك المدارس النصرانية السابقة أصبحت ملزمة بأن تقبل أبناء المسلمين لأنها أصبحت مدارس حكومية.

وسألتهم: هل معنى ذلك أن أبناء المسيحيين يستطيعون أن يدخلوا في مدارس المسلمين التي أخذتها منهم الحكومة فأجابوا: نعم، غير أن نسبتهم قليلة والمصلحة الراجحة مع المسلمين لأنهم الأكثرية التي كانت محرومة من فرص التعليم.

ولكن المشكلة الحاضرة هي أن معظم المدرسين من المسيحيين لأن نسبة التعليم والتأهيل للوظائف فيهم أعلى من نسبتها في المسلمين لما كانوا يحصلون عليه من فرص تعليمية في مدارس الارساليات المسماة بالتبشيرية.

ودخلنا (المدرسة الإسلامية الثانوية) واسمها لم يتغير بعد استيلاء الحكومة عليها فإذا بها في فناء واسع جداً، وذات أبنية واسعة متفرقة، فاستقبلنا مديرها الشيخ (عبدالغني آدى مولا صلاح الدين) وصلاح الدين ينطقونها (صالو) وهو متخرج من الأزهر لذلك يتكلم العربية بطلاقة وإذا تحدثت إليه خيل إليك أنك تتحدث إلى سوداني مثقف أو صومالي مقيم في البلاد العربية.

وبعد أن هلا المدير ورحب أخبرنا أن مجموع طلاب المدرسة هو (٨٣٣)، ٩٣٪ منهم مسلمون وأما المدرسون فأغلبهم من المسيحيين

وهناك مـدرسون مـسلمـون لتـعليم اللغـة العربيـة والمواد الإسـلاميـة. وقـال: إن المشـكلة الكبيـرة التي يواجـهـونهـا الآن هي نقـص الكتب المبسطة التي تعلم الأفارقة مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية. لأن اللغة العـربية لها خمس حـصص في الأسبوع في كل يوم حـصة ومع ذلك لايستفيد الطلاب الاستفادة المطلوبة بسبب صعوبة المقررات.

وقـال: إن الحكومـة تـتكفل بجـمـيـع نفـقـات المدرسـة من رواتب المدرسين وغيـرها إلا أننا عندما احـتجنا إلى بناء مـسجـد جامع داخل المدرسة يكون لـلعاملين في المدرسة وللقـريبين منها لم تعطـنا الحكومة شيئـاً. وقامت لجنة تبرعات تسمى (اللجنة الإسلامية التبشيرية) على بناء المسجد، وقـد شاهدناه قد تم بناؤه من الإسمنت المسلـح بشكل جيد فوسطه عالي السقف تحيط به أروقة ذات طابقين.

قال إن الذي ينقص المسجد الآن هو التيار الكهربائي والفراش.

مدرسة عصابة الدين :

ليس الغريـب في هذه المدرسة اسمـها فهـو مأخوذ مـن اسم جمعـية نسوية اسمها: (جمعيـة عصابة الدين) ترأسها الحاجة (أم هانئ الاقا) وهي سـيدة مـسلمة ثرية تتـبرع للمـشروعـات الخيـرية وتساعـد على أعمال الخير بمالها وجهدها.

ولكن الغـريب في هذه المدرسة أنهـا مدرسة إسـلاميـة للبنات، ومع ذلك أغلب المدرسـات فيـها هن من المسـيحـيات حتى قـبل أن تستـولى عليها الحكومة.

أما الآن وقد استولت عليها الحكومة فيما استولت عليه من المدارس الخاصة فإن مديرتها مسيحية وفيها ثلاثون مدرسة ٤ منهن فقط من المسلمات إحداهن سيلانية من سيلان تزوج بها أحد المسلمين النيجيريين.

وتقوم هؤلاء المدرسات المسلمات الأربع بتدريس المواد الإسلامية واللغة العربية. أما بقية المدرسات فيقمن بتدريس المواد الرسمية الأخرى.

وهي مدرسة معترف بها من الحكومة قبل الاستيلاء عليها بمعنى أن الحكومة تعترف بشهادات المتخرجات منها، وتقبلهن في الجامعات والوظائف الحكومية.

وقد هدف إخواننا من وضع هذه المدرسة في برنامج الزيارات هذا اليوم إلى أن يرونا كيفية حرصهم على تعليم بناتهم مع نقص الامكانات. كما أنهم يأملون المساعدة على إنشاء مسجد في هذه المدرسة لأن الحكومة لاتنشئ المساجد ولا الكنائس.

ذهب بنا إخواننا إلى مكتب المديرة وهو في مكان مرتفع نوعاً يوصل إليه بعد غرفة واسعة فيها مكاتب السكرتارية أو الإدارة وهي في غرفة واسعة فيها ست من الموظفات مابين كاتبة على الآلة وأخريات لاأعرف عملهن وكلهن بطبيعة الحال من الأفريقيات الوطنيات ورأينا المديرة على مكتبها في الإدارة واسمها (سينى أو نفارا) فلم تقم لضيوفها ولم تصافحهم، وليس ذلك حياءاً واستحياء فهي كما قلت مسيحية، وعليها لباس بعيد عن الحياء.

كانت هيئتنا عندما دخلنا المدرسة ملفتة للنظر فعلينا الملابس العربية، ونحن بينهم نعد من البيض.

وقال إخواننا المرافقون ومن بينهم الأخ (كامل ألوسو) الذي تعمل زوجته مدرسة في هذه المدرسة الثانوية للبنات: إن زيارتنا للمديرة وحديثنا معها حديثاً مناسباً هو دعوة للإسلام، فنحن نعتز بإخواننا المسلمين في البلاد العربية، ونقول للمسيحيين الإفريقيين أنهم ليسوا كالأوروبيين متعصبين ضد السود.

وبعد عبارات المجاملة، وكانت المديرة مثل كثير من أهل هذه البلاد تضحك لأدنى سبب، وأما النكته، أو الكلمة اللطيفة فإنها تجعلها تضحك ضحكاً قوياً يهتز له جميع كيانها.

وأما السكرتيرات فإننا كنا نراهن أو بعضهن من خلال باب مفتوح مابينهن وبين مكتب المديرة الذي جلسنا فيه فكان بعضهن يسارقن النظر إلى هؤلاء الغرباء في اللون واللباس، وواحدة منهن رأيتها ترقص طويلاً وهي تومىء بطرف ثوبها يميناً وشمالاً ولا أدري السبب في ذلك.

وقالت المديرة إن عدد طالبات المدرسة يبلغ سبعمائة وعشراً. ولما سألتها عن عدد المسلمات منهن سكتت قليلاً ثم هزت كتفيها بقوة وقالت وهي تضحك: إنني لا أدري إننا لانسأل الملتحقات عن دينهن، لأن هذه مدرسة حكومية لاتميز بين الأديان.

ثم نادت موظفة وطلبت منها أن توضح لنا ذلك إن كانت تعرفه فذهبت وجاءت بالسجلات ولكنها لم تجد فيها ما يفيدنا في هذا الموضوع.

وقال إخواني بالعربية عندما اشتغلت المديرة بحديث إحدى العاملات في المدرسة: إننا بهذه الزيارة والمجاملة نكون قد أفسدنا على الدعاية المسيحية ماكانت قد جعلته يستقر في ذهن هذه المرأة وأمثالها من المتعلمات من كون الإسلام يحقر المرأة وأن الرجل المسلم فظ غليظ، وبخاصة إذا كانت مثل هذه المجاملات من بلاد المسلمين الأصليين.

وكانت قد أخبرتنا أنهم سيشرعون في أول شهر إبريل بالعمل على بناء مسجد في المدرسة وأن المهم في الأمر أن يحصلوا على التبرعات اللازمة للبدء في البناء.

فقلت لها ممازحاً وأنا أودعها أرجو أن أراكم مرة ثانية في هذه المدرسة بعد أن يكون المسجد قد اكتمل وأنا أراك مرة أخرى في بلادنا السعودية فسارع أحد الإخوان معلقاً يعني تسلمين وتحجين: فقلت لها: في ذلك الوقت (حاجي دنقارا) فانفجرت بالضحك، ووجهها يطفح بالسرور، وكأنها قد سمعت شيئاً لم تسمع به في حياتها كلها.

المعهد العربي النيجيري :

من هذه المدرسة سرنا حتى عدنا إلى الشارع العام الفاخر ثم عدلنا إلى حي شعبي شارعه الرئيسي مسفلت بحيث يتسع لسيارة واحدة ولكن أسفلته محطم لاتكاد السيارة تستطيع السير عليه لأن ظهره مرتفع وماكان عنه يميناًوشمالاً منخفض انخفاضاً شديداً.



مسجد المعهد العربي النيجيري في إبادن

كان أول مارأيناه في هذا المعهد الإسلامي العربي الذي سبقت إلينا شهرته قبل أن تتاح لنا رؤيته هو بناء مسجده الجديد الذي قصد منه مثلما يكون في أمثاله أن يصلي فيه من ينتسبون إلى المعهد ومن يجاورونه فوجدناهم يبنونه بالإسمنت المسلح ولم ينتهوا من بنائه بعد وسطه عالٍ وله أروقة محيطة به من طبقتين وأما الوسط فإنه من طبقة واحدة. ووجدنا عمده مثلما هي في بعض البلدان الإفريقية مستدقة الوسط عريضة الأعلى والأسفل.

وقد وجدنا العمال يعملون في خلط الإسمنت ومعهم امرأتان تعملان فسألناهم عن أجرة العامل في اليوم؟ فأجابوا أن الرجل يأخذ عشر نيرات، وأما المرأة فتأخذ نيرة واحدة.

كان الشيخ (الحاجي مرتضى عبدالسلام) على رأس الذين يروننا أقسام المعهد وهم كثير مع أن اليوم الخميس هو يوم عطلة للمدارس والمعاهد الإسلامية إذْ هي تعطل الدراسة يومي الخميس والجمعة مثلما تعطل المدارس النصرانية يومي السبت والأحد.

قال الشيخ مرتضى: إن عدد طلاب المعهد ١٧٦٥ طالباً معظمهم من نيجيريا وعندهم ٧ من جمهورية مالي، و٩ من تشاد و٨ من النيجر، و٥ من غانا، و٥ من توقو، و٤ من السنغال، وعدد المدرسين (٢٥) مدرساً وأن من بين أولئك المدرسين اثنين من الأزهريين وواحد من المملكة العربية السعودية هو الشيخ عبدالله خلف (من غامد) وواحد من العراق فالمدرسون العرب فيه أربعة.

والشيخ الحاج مرتضى هو مؤسس هذا المعهد ومديره وهو شخصية محترمة محبوب ممن يتصلون به وكريم الخلق والسير، وهو من الجنود المجهولين في البلاد العربية الذين يعملون في خدمة هذه اللغة

الكريمة ولكنه ليس مجهولاً عند أهل بلدته وعند طلبة العلم في نيجيريا. ويعاونه في عمله الشيخ (عبدالوهاب بابو أحمد) وهو متخرج في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ومن الذين حصلوا على شهاداتهم الأولى من هذا المعهد.

وقد أسس المعهد في عام ١٩٥٨م.

وفي غرفة الإدارة أحضروا عددًا من المقاعد جلس عليها بعض المشايخ من أهل إبادن وبعض مدرسي المعهد.

ونهض الشيخ مرتضى عبدالسلام فألقى كلمة ترحيب قصيرة ثم قال أرجو أن يتم الترحيب بكم بشكل أطول الشيخ علي عبدالسلام وهو مصري من الأزهر فتكلم بكلمة مناسبة أعقبه الشيخ عبدالوهاب بكلمة مكتوبة ذكر فيها مشاريع المعهد وقال :

يسعدنا كثيراً نحن أسرة المعهد العربي النيجيري بإبادن .. أن نرحب بسماحتكم ترحيباً يليق بمقامكم الرفيع الذي يتضاءل بجانبه كل ترحيب فنقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم.

ياأصحاب الفضيلة لقد شرفتم ونَوَّرتُم المعهد بهذه الزيارة الغالية. ولاشك من أنها ستكون إكليلاً على تاجه على مر الأيّام وتجود السنوات.

ياأصحاب المعالي. يسرني أن أنتهز هذه الفرصة لتقديم أجزل الشكر وأوفر التقدير لحكومة جلالة الملك خالد المعظم لما تقوم به هذه الحكومة الرشيدة من دعم وعون للمؤسسات الإسلامية لنشر اللغة العربية وثقافتها في ربوع نيجيريا وخاصة ماتقدمه من عون مادي وفني لهذا المعهد العربي.

أيها السادة الأفاضل: إن هذه المناسبة فرصة سعيدة لاطلاع سيادتكم على بعض انجازات المعهد ومظاهر نهضته.

كان المعهد غرساً طيباً صادف أرضاً طيبة فأثمر ثمرات طيبة ولله الحمد في فترة وجيزة. فقد خرَّج المعهد مئات الشباب المسلمين الملمين الماماً جيداً باللغة العربية والدراسات الإسلامية وهم الآن يعملون في نشر ماكتسبوه من معلومات في كثير من المدارس العربية في مختلف أنحاء نيجيريا.

ولايفوتنا هنا أن نذكر بخير ذلك البطل الإسلامي والداعية الأكبر وإمام المسلمين جلالة الملك المغفور له الملك فيصل رحمه اللَّه لما له من أثر مشكور في هذه الانجازات منذ أن أصدر أمره السامي بمنح هذا المعهد مساعدة سنوية وقدرها ألف وخمسائة جنيه، تصرف للمعهد سنوياً عن طريق وزارة المعارف.

ياأصحاب المعالي: إن هناك بعض النواقص والصعوبات يعانيها المعهد وتعترض سبيل تقدمه فلذا كان المعهد في حاجة إلى:

١- المدرسين الأكفاء الذين يسدون الفراغات الكبيرة الشاغرة فيه.

٢- مساعدة مادية لتكميل النواقص الموجودة في فصوله، وبناء فصول أخرى لضيق الفصول الموجودة على الطلبة.

٣- كتب مدرسية لجميع المراحل الموجودة في المعهد من ابتدائية، واعدادية، وثانوية.

٤- سيارة لنقل المدرسين إلى المعهد وأماكنهم بعد الدوام الرسمي واستخدامها في نقل الهيئات الارشادية إلى أماكن الدعوة.

كما نأمل من حكومة جلالة الملك خالد المعظم دعم مشروع المعهد العالي للدراسات الاسلامية والعربية الذي نجد في إنشائه.

نرجو أن يكون لزيارتكم هذه اثرها الفعال في تقدم هذا المعهد.

نسأل الله تعالى أن يوفقكم لما فيه الخير وسعادة المسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

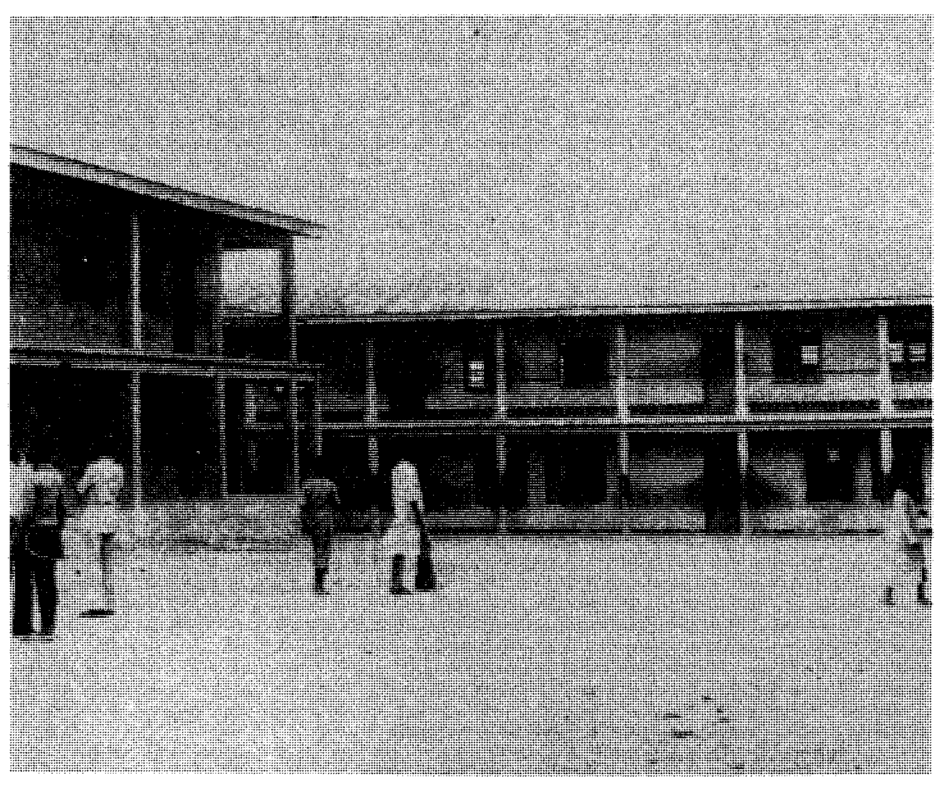
الغرض في إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية :

كان الغرض من إنشائه تعميق الوعي الديني في نفوس المسلمين وتبصيرهم بشئون دينهم وهذا لن يتم بصورة صحيحة ولن يقوم على أسس سليمة مالم يتم تعلم اللغة العربية التي هي لغة هذا الدين – ولغة القرآن الكريم دستور المسلمين .... بالإضافة إلى مقاومة جهود المبشرين المدعومة بكل الوسائل المادية والامكانات الفكرية الهائلة من أوروبا وأمريكا والتّي أخذت تشق طريقها إلى صفوف أبناء المسلمين بهدف زرع الشقاق بينهم وإضعاف عقيدتهم وتزهيدهم بدينهم وإضعاف ارتباطهم وزعزعة ثقتهم بالعالم العربي النيجيري.

وقد استغل المبشرون الظروف الحياتية الصعبة التي فرضها الاستعمار على المسلمين ليظهروا هذا الدِّين بمظهر الدِّين الذي لايساير العصر ولايتكيف مع متطلبات الحضارة والمدنية فالإسلام في نظر المبشرين دين يقود في الضرورة إلى الفقر والتخلف. ويرون المسيحية بأنها ديانة تقود إلى التطور والحصول على نعيم الحياة والمناصب العالية في الدولة والمنح الدراسية في أوروبا وأمريكا.

وقد حقق المبشرون بعض النجاح في هذا الطريق فارتدّ بعض المسلمين عن دينهم بالاغراءات المادية والمعنوية المعروضة عليهم،

فنسمع مـثلاً اسم (جون علي) و (جورج عـبدالله) وهذا يدل على أنهم من خلفـيات اسلامـية ثم تنصـروا، ولولا رعاية الله لدينه وحـفظه له، وشـهامـة الدعـاة المسلمين وانتـشـار المدارس العربيـة في طول البـلاد وعرضها ودعم البلاد الاسلاميـة ومساندتها لهذه المدارس لحققت هذه الإرساليـات المسيحـية كل أهدافـها المرسومـة ولتولدت ردَّة عنيـفة في صفوف المسلمين.



جانب من الفصول الدراسية بالمعهد العربي النيجيري في إبادن

سيدي: وبعدما أخذ المعهد العربي النيجيري على عاتقه التصدي لهذه الحملة المسعورة وقاوم جهود المبشرين وانتشر خريجوه في طول البلاد وعرضها. ونتيجة لهذا الزخم المتواصل والمستمر ولرغبة أبناء المسلمين في مواصلة دراساتهم وتحقيق طموحهم ارتأْينا في إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية يلتحق به خريجو المعهد المذكور، ويكون تحقيقاً لما نتوقع لبلادنا هذه هو أن تكون بلاداً إسلامية في القريب العاجل إن شاء الله تعالى ولقارة إفريقيا أن تكون قارة الإسلام.

كما يعقد في مسجد المعهد كل يوم في رمضان حلقة لتفسير القرآن الكريم وشرح الأحكام الفقهية وشرح أحداث العالم الإسلامي ومشاكله ويحضره المسلمون من غير طلبة المعهد. وكذا يُشرح لطلبة المعهد مرة في الأسبوع مايغرس في نفوسهم روح الإسلام.

وقد عقبت على ذلك بكلمة بينت فيها الغرض من مجيئنا، وعمق الصلات الإسلامية الوثيقة بين دور العلم في هذه البلاد، وفي بلادنا، وذلك من واقع وحدة الموضوعات التي تدرس فيها أو تقاربها.

وقبل انتهاء الزيارة قدموا لنا أحد الطلبة يريدون أن تتاح له فرصة اكمال دراسته في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقال أن اسمه (محمد دامبو عمر) وأن هذا هو اسمه الإسلامي لأنه أسلم رغماً عن أهله وكان أبوه رئيس الوثنيين في منطقة (جوس) وقد خاصمه والده وطرده من بيته، ولكنه لم يبال بذلك لأن المسلمين احتضنوه ووجد عندهم ما عوضه عن ذلك خصوصاً وأنه كان حسن الإسلام. وقد رأينا تطيباً لخاطره أن نلتقط لنا صورة معه. وهي هذه:

كما رأينا أن نحرص على الحاقه بالجامعة الاسلامية حتى يكمل دراسته رجاء أن ينفع الله به قومه وأهله من الوثنيين فيهديهم بسببه.

عيد الوثنيين :

لاأدري لماذا تكررت على أسماعنا كلمة الوثنيين هذا الصباح وليس ذلك من كتاب أوفي حديث عابر ولكنه من واقع حي أولاه ماذكرته عن هذا الفتى الذي أسلم رغم معارضة والده كبير الوثنيين والثاني: أننا عندما خرجنا من المعهد العربي النيجيري وكنا نسير في سوق شعبي مزدحم بالسيارات رأينا طائفة من الناس راكبين سيارات من الحافلات الصغيرة على هيئة خاصة وهم يسيرون الهوينا حتى أنهم حجزوا بعض السيارات الأخرى خلفهم. وهم ينادون، ولكن بطريقة غير منسقة ويرددون كلمة (اوبو اوبو) وهناك طوائف منهم راجلون أي يركضون على أرجلهم ومعهم العصي وهم يحاولون أن يضرب بعضهم بعضاً ومن جرؤا على ضربه مع الناس وهم جميعاً يقولون منفردين وجماعات (اوبو) (اوبو) وقد زاد جمهورهم بمن انضم إليه من الصبية والجهال من غيرهم حتى كادوا يعطلون المرور لولا أن موكبهم هم من شأنه أن يسير ولايقف.

وقال الأخ كامل الوسو : إن هذا اليوم هو يوم عيد للوثنيين يسمى (اوكى ابادون) وإنه عيد إنشاء مدينة إبادن عند الوثنيين، وإن عددهم يبلغ ١٠٪ من سكان المدينة.

ولما سألته عن معنى (اوبو) التي يرددونها ظهر الخجل على وجهه وقال: هذه كلمة شتم قبيحة المعنى لاينبغي أن أذكرها.

فقلت له: أمعنى هذا أنهم يشتمون أنفسهم؟ قال: لا أنهم يشتموننا نحن، وأن أصل الكلمة شتم النساء. وأنه كان فيما مضى لهم احتفال

بهذا العيد أكبر من هذا يكون من أهم ما فيه أن يخرج رجل معين منهم بلباس قبيح ويضع على رأسه جمجمة امرأة ويسير في الشارع فلا تجرؤ امرأة على الخروج من بيتها أو الظهور أمامه في ذلك اليوم لأنهم يعتقدن أنه إذا وقعت أعينهن عليه حصل لهن مكروه.

وإن من أهم مافي ذلك اليوم هو شتم النساء ولعنهن، وضرب بعضهم بعضاً بالعصي.

وسرنا مع شوارع هذا الحي من أحياء مدينة (إبادن) الكبيرة التي لايظهر كبرها لمن يمر بها مروراً عابراً لأن بعض أحيائها داخل في أماكن منخفضة فلا يرى من البعد. وقد وقف المرور بسبب ضيق الشوارع التي لابد من وجود ممر للمجاري بمنظرها البشع ورائحتها الكريهة على جانبي الشارع، وبسبب كثرة السيارات.

وفي مفرق من المفارق كانت السيارات قد تشابكت ووقفت لولا أن جندي المرور حَلَّ الإشكال ونظم السير. وقال إخواننا: إنه يحدث أحياناً أن يتعاند السائقون فيقف المرور مدة طويلة. ويتعطل ركاب السيارات عن مصالحهم.

وفي هذه الشوارع التي توجد المجاري في جوانبها والتي إذا سارع المرء بلوم الحكومة على تركها هكذا ربما يجد من يرد عليه بأن ذلك يحتاج إلى جهد ومال ووقت طويل فإن المرء يرى أكوام القمامة مجتمعة ومتفرقة مهملة اهمالاً شنيعاً فلا يستطيع أن يجد لهذه الحكومة عذراً في تركها هكذا وهو أمر لايحتاج إلى عناية، ولا لجهد

خارق لاسيما مع وجود جيوش من الأيدي العاملة المعطلة من الرجال والنساء.

وقل مثل ذلك عن سوء حالة الشوارع وبخاصة الجانبية منها فهي ليست مسفلتة وهذا قد يكون له سبب من غلاء الأسفلت مع أنه موجود في نيجيريا وهي بلاد تصدر النفط (البترول) للعالم فإنه لاعذر للبلدية لبقاء الأخاديد والحفر والأماكن المرتفعة بجانب الأماكن المنخفضة في الشارع وذلك أمر بيدها أن تستطيع أن تقوم به إذا أرادت ذلك وصدقت في الإرادة.

شمس السعود :

في هذه الأحياء التي لايتبادر إلى ذهن الزائر الأجنبي فيها إلا مايراه من وحي المظاهر التي تنطبع في ذهنه بسرعة وأغلبها مظاهر غير بهيجة كما قدمت فإنك تسمع اسماً لا يتفق معها.

من ذلك أنني سألت الإخوان المرافقين عن الجهة التي نقصدها في هذا الحي؟ فسمعتهم يقولون جملة كان أظهر مافيها (شمس السعود) وفوجئت فالسعود نفسه أمر مفرح والشمس في غير هذه البلاد الاستوائية مفرحة أيضاً. وإذا اجتمعا فالذي يفترضه الذهن أن يكون الأمر سروراً على سرور.



مسجد جمعية شمس سعود الإسلام في إبادن في نيجيريا (تحت الإنشاء)

وصلنا بعد معاناة من سوء الأزقة وغبار فيها إلى (معهد شمس سعود الإسلام) وهو تابع لجمعية شمس السعود الإسلامية.

استقبلنا في المعهد مديره ومؤسسه ومعه بعض الإخوة الموريتانيين قالوا: إن الرابطة في مكة المكرمة أرسلتهم من موريتانيا إلى بعض المدارس العربية في إفريقية الغربية على نفقتها ليدرسوا القرآن الكريم لأهل تلك المدارس كما وجدنا رجلاً مبعوثاً من الأزهر للتدريس في المعهد المذكور.

ولم نر في المعهد طلاباً لأن اليوم الخميس هو يوم عطلة لهم غير أن المدير قال: إن عدد الطلبة (٥٢٥) طالباً وأن المدرسين اثنا عشر، وأن البناء يملكه المعهد.

وتركنا شمس السعود وربما يكون القول أدق إذا قلنا أن (شمس السعود) غابت عنا أو غبنا عنها وإذا كان الأمر كذلك فإن مغيبها كان بين بيوت غير بهيجة وأزقة مهملة الشوارع ضيقة أهم مظهر فيها من مظاهر المدنية هو كثرة السيارات التي كان عدد منها جديداً في ذاته.

وخرجنا إلى حي آخر لم أعرف اسمه ولكنه كان - بلا شك - حَيًّا جيداً إذ فيه منازل نظيفة لا أثر للأكواخ فيها.

ومررنا بكنيسة كبيرة ظاهرة وغير بعيد منها مدرسة واسعة قالوا: إنها كانت مدرسة مسيحية ولكنها صادرتها الحكومة فأصبح الطلاب المسلمون فيها كثيري العدد وربما يصبحون الأكثرية في المستقبل ولذلك تدرس فيها مواد إسلامية.

وقال الأخ كامل: إن الذي أسس الكنيسة والمدرسة هي امرأة اسكتلندية مبشرة كانت أول من ترجم الإنجيل إلى لغة اليوربا.

المدرسة الخراشية:

عطفنا من شارع عام إلى جهة اليسار فوصلنا إلى شارع ضيق سيء الوضع لنصل إلى المدرسة العربية الثانوية الخراشية (نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد الخراشي الثاني) من أهل هذه المدينة إبادن وقد توفي رحمه الله وخلفه ابنه وكان تأسيسها في عام ١٩٤٥م وقال لي

عدد من الإخوان: إنها تعتبر أول مدرسة إسلامية في إبادن ولا أدري صحة هذا الأمر غير أن أخانا (كامل ألوسو) أحد زعماء الطلبة المسلمين والعاملين في الحقل الإسلامي ذكر أنه كان قد تخرج فيها وأن الحكومة تعترف بشهاداتها.

واستقبلنا فيها عميد المدرسة كما أسموه لنا وهو يبدو مضطرباً مرتبكاً عرفنا سر اضطرابه وهو أن الطلبة في الامتحانات وذلك لايمكننا من زيارتهم في فصولهم. كما أنه قد يسبب ارتباكهم لأنهم يحبون أن يروا هؤلاء الضيوف الأجانب، وبخاصة أنه كان معنا موكب مؤلف من عدة سيارات واسم العميد (عبدالرحيم صلاح الدين) وهو يعرف العربية جيداً.

إن المدرسة تأسست في عام ١٩٤٥م على يد الشيخين المرحومين: خراشي محمد الثاني، والحاج عيسى عثمان (مغاجي) والهدف من إنشائها تنمية المعرفة باللغة العربية والدين وهي إعدادية وثانوية وفيها (٣٥٠) طالباً وسبعة مدرسين.

والنظافة فيها ليست بالغة ... وقد أكد لنا إخواننا العارفون بأمرها ذلك وقالوا : إن الأمر تغير بعد وفاة مؤسسها وقالوا: إنها تعاني الآن نقصاً في الفصول.

وهي تتألف من عدة مبان من دور واحد مبنية بلبن الإسمنت ومسقفة بالزنك وقد كان من بين المدرسين فيها رجل غريب اللون والثوب والقامة أيضاً في هذه البلاد وهو موريتاني أو شنقيطي كما كنا نسمي أمثاله في بلادنا قال: إنه مرسل من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لتدريس القرآن الكريم في هذه المدرسة وإنه هو وعدد من

زملائه من الذين نجحوا في مسابقة القرآن الكريم في موريتانيا فتعاقدت معهم الرابطة.

ثم دخلنا قاعة في المدرسة اجتمعنا فيها ببعض المدرسين والموظفين وألقى أحدهم هذه الكلمة في الترحيب بوفدنا :

كل هذه المدرسة ترحب بكم ترحيباً ممتزجاً بالغبطة من لقائكم ورؤية محياكم الكريمة في هذا اليوم النير. وتقول: أهلاً ياعباد الله وسهلاً ياجنود الله ومرحباً بكم ياضيوف المسلمين، فبشرى لنا بقدومكم إلينا في وقت كنا في غاية الاشتياق إلى حضرتكم فحمداً لله الذي وفقنا لهذا ونرجو أن ترسم لنا زيارتكم هذه معالم السعادة تطمئن هذه المدرسة بها على نيل المرام نحو المملكة العربية السعودية ماشاء الله. شَكَرَ الله سعيكم وجعلكم في كنفه عند كل جولاتكم حتى تعودوا إلى مشعركم بسلام آمنين.

ولاتزال تلقى تحية طيبة تتضمن أصفى وأسمى معاني الثناء للمملكة العربية السعودية لانتشار أياديها في أقطار العالم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (مدير المدرسة).

مواصلة الجولة :

وعدنا إلى مواصلة السير. ومن لطيف ماشاهدناه سيارة كتب عليها اسمها (أوكونوا) ومعناه: (سفينة نوح) فأوكو: عربة أو سيارة، ونوا: هو نوح عليه السلام وقد سماها صاحبها بهذا الاسم وهو من المسلمين تفاؤلاً بأنها لاتغرق ولا تعطب كسفينة نوح عليه السلام أما عدم

غرقها فربما كان حقيقيًا إذا قدرت لها السلامة ولكن المؤكد أنها لم تسلم من الغبار الأحمر الذي ركبها وركب أشياء كثيرة في بعض الأحياء الشعبية ذات الشوارع غير المسفلته بل إنك تشاهد الغبار الأحمر وقد علا بعض سطوح المنازل في هذه الأماكن.

عمل فردي مجيد :

كان التوجه لمشاهدة عمل فردي مجيد في هذه البلاد ألا وهو مدرسة إسلامية حديثة البناء جداً حتى تتفوق في بنائها على المدارس الحكومية والمدارس التي كانت نصرانية.

وقد بناها رجل واحد من ماله هو (الحاجي بيللو علي ادليلاني) وهو تاجر قال: أنه أنفق على هذه المدرسة نفقة كثيرة غير أنه شعر أنه كلما انفق عليها شيئاً أخلفه الله عليه بأكثر حتى أتم البناء الأول من ثلاث طبقات بناء من النوع الحديث الإسمنتي الجيد.

فسألناه عن السبب الذي حمله على التفكير في هذا العمل فقال: قول الله تعالى ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعَمِلَ صالحاً﴾(١) فهذا هو العمل الأحسن والأصلح.

وتجولنا بصحبته وصحبة الموكب الذي كان معنا في المدرسة فوجدناها بنائين جميلين متقابلين بينهما ساحة واسعة وفيها مسجد صغير جميل البناء نظيف.

ووجدناهم كتبوا لوحات ونصوصاً باللغة العربية علقوها في حوائط المدرسة ليس معها أية لغة أخرى ومن ذلك لوحة تضم حيوات القراء

---

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت.

السبعة وقصة المرأة المتكلمة بالقرآن، وكذلك برنامج الدراسة بالعربية قالوا: إن ذلك من إعداد هذا الشيخ وأشاروا إلى رجل موريتاني واضح ذلك من لباسه ولهجته بالعربية وقال الرجل: إنني من موريتانيا وإن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة قد تعاقدت معي لكي أقوم بتدريس القراءات وتجويد القرآن في هذه المدرسة، وقال: إنني أسكن في المدرسة نفسها .. ماذا أعمل؟ إن الغلاء هنا فاحش، وإن الراتب الذي تعطيني إياه الرابطة ليس كافياً.. وقال: اسمي محمد جابر.

وقال (الحاجي بيللو علي دليلاني) إنني أدفع رواتب المدرسين وإنني أسكن بعض الطلبة الغرباء في المدرسة وأطعمهم. وقال: إن عدد الطلبة (٢٥٠) والمدرسين (١١). وقال: كل ذلك من الله.

وإسم هذا الحي (أولومسوقو)

الأزهر والمنح الدراسية :

استأنفنا السير في أحياء إبادن وكان معنا في السيارة هذه المرة أحد الأزهريين المبتعثين للتدريس في هذه البلاد. فكان مما قاله لنا: إنه ينبغي على السعودية أن تكثر من المنح لأبناء المسلمين في هذه البلاد. فقلت له: إن هذا صحيح بل واجب. ولكن ألا ترى أن ذلك لايعفي الجهات الإسلامية القادرة في البلاد العربية والإسلامية. وعلى رأسها الأزهر الذي كان له فضل السبق في هذا الميدان وأنه مايزال عليه أن يواصل هذا الفضل الذي سبق بقية العرب إليه وهو توفير المنح الدراسية لأبناء المسلمين.

فقال: إن ذلك يتم الآن على نطاق ضيق جداً. وليته لايتم فخير للمسلمين في هذه البلاد وللأزهر ألا يخصص الآن أي منح؟

فسألته مستنكراً عن إيضاح ذلك فقال: إن الطلبة الذين يذهبون إلى هناك يعانون مشكلات كثيرة منها المشكلات المالية فالأزهر يعطيهم المسكن والطعام وثمانية جنيهات مصرية في الشهر ولكن الطعام في بعض الأحيان لايناسبهم، والجنيهات الثمانية ليست مصرفاً كافياً مع الغلاء الذي استشرى في مصر. ثم أضاف: إنه ينبغي أن يذهب طلاب المنح إلى البلاد التي توفر لهم حياة مناسبة خلال الدراسة مثل السعودية. ثم حدثني عن وقائع جرت عليه في كونه رشح طلاباً لقوا من المشكلات والصعوبات الإدارية ابتداء من التأشيرة في السفارة المصرية إلى أن دخلوا الأزهر.

وقد أبديت أسفي لذلك، ولم أوافقه على كون الأزهر لايقبل طلاب المنح الآن، ولم يكن الحديث يسمح بأكثر من ذلك لأننا كنا قد توقفنا ثم ركبنا ثم افترق عنا في سيارة أخرى من السيارات التي معنا إلا أنه كان – جزاه الله خيراً – ملازماً لنا طول هذه الفترة من هذا اليوم من قبل الظهر إلى أن افترقنا عنه في الساعة الخامسة إلا ربعاً عصراً وكان ينتقد إخواننا المسلمين الأفارقة ويصفهم بقلة الفهم حتى من كان يعرف العربية منهم، وكان مما قاله لنا وهو يصف هذه البلاد: إن الإسلام ضعيف في إفريقية وإنه ضعيف في كل هذه الأقطار وقال ما يعني أن أهله وإن كانوا مسلمين فإنهم لايفهمون الإسلام ولايعملون به. ولم أرد عليه بسبب وجود أحد الإخوة من المسلمين الأفارقة لم أشأ

أن يسمع خصامنا أو اختلافنا معه في هذه النقطةلأن إسلامهم أقوى من إسلام كثير من الناس حتى في البلدان العربية الذين ورثوا الإسلام وراثة، وتهيأت لهم سبل الأخذ به.

ولولا ذلك لذكرته أن إسلام بعض الناس في بلاد الاكثريات المسلمة هو الضعيف لا إسلام هؤلاء الإخوة الافريقيين المجاهدين.

إلى حي ماناتا :

ومعنى (ماناتا) لاتتمدد فكأنه يقول (مد لحافك على قدر رجليك) إلا أنه والحق يقال متسع لم تشمله العمارة لأنه في ضاحية جديدة أكثرها معشب ذو أشجار متفرقة وحشية أي غير مغروسة وكان سيرنا إليه مخترقين بيوتاً جميلة نظيفة من الخارج على هيئة دارات (فيللات) إذا رأيتها خيل إليك أنك في بعض البلدان العربية الغنية غير أن السيارة ماتلبث أن تعيدك إلى رشدك إذ تصل بك إلى بيوت إفريقية أصيلة هي بالأكواخ أشبه منها بالبيوت المعتادة ذلك بأنها من طابق واحد من لبن الإسمنت ومسقفة بالزنك على الطراز الإفريقي التقليدي في البلاد الإفريقية وهي الطراز المحسّن الذي لايكون فيه السقف هرمياً مبنياً من القش، وإنما هو على هيئة سنام.

وفي بعض الباحات وعلى حواشي بعض الشوارع تشاهد ماتشاهده في بعض البلدان المتخلفة القادرة على الاستيراد من وجود حطام كثير من السيارات التي حمل غلاء إصلاحها وقدرة أهلها على شراء غيرها على تركها، وحمل اهمال المسئولين في البلديات على تركها في مكانها.

وكان القصد من رؤية هذا المكان (ماناتا) هو زيارة مدرسة إسلامية لم تتم بناء قام على بنائها الشيخ عبدالكريم الرفاعي وأسماها على اسم مدرسة له تعمل الآن اسمها (مدرسة التعليم العربي الإسلامي) يريد أن ينقلها إلى هذا المكان لكون الأول ضيقاً غير مناسب وقال إخواننا: إنه أنفق عليها مبالغ كبيرة.

والحق أن الأمر فيما يبدو لنا كذلك فبناؤها من الإسمنت المسلح الجيد، ولكنه لم يكتمل بعد وشاهدنا العمال يعملون في البناء وشاهدنا هنا ماشاهدناه عدة مرات في هذه البلاد من خضوع العامة لكبرائهم وتعظيمهم إياهم تعظيماً مفرطاً إذ رأينا العمال قد ركعوا ثم جلسوا على رجل واحدة على الأرض تعظيماً وإجلالاً. وهكذا تفعل عامتهم مع شيوخهم وكبرائهم.

والمؤسف في الأمر أن المشايخ لاينهونهم عن هذا التعظيم الذي لايجوز، بل إنهم يقرونهم على ذلك. وربما كان هذا لأنهم أي المشايخ يخضعون لمن هم أكبر منزلة وأعلى مقاماً من العلماء مثل ماتخضع العامة لهم فيركع الواحد منهم منحنياً. وإن كان لايقصد الركوع بذلك أو لايعتبره ركوعاً وإنما يعتبره تعظيماً فذلك لايغيِّر من الأمر شيئاً.

وهذا الانحناء - كما قلت - يبلغ إلى حد الجلوس على الأرض على رجل واحدة أمام الشيخ الواقف. ولو كان العلماء ينهون العامة عنه لكانوا قدوة. وأذكر بهذه المناسبة مسألة صغيرة وهي أن أحد المتعلمين في مصر من إخواننا الأفارقة كان يخاطبني بقوله: يامولانا، كما كان الأزهريون يخاطبون بعض من يظهرون احترامهم. فنهيته عن ذلك وقلت له: ياأخي إنه يقال في الأثر: (اكْرم أخاك بما يحب) وأنا لاأحب أن تقول لي هذه الكلمة (مولانا) فقال لي: إذًا أقول لك؟

قلت: قل ياأخي أوقل: يامحمد.

قال: وإذا قلت ياشيخ محمد؟ قلت: لامانع.

فلم اسمعه بعد ذلك يدعوني بكلمة (مولانا).

وقال الأخ الشيخ عبدالكريم صاحب المدرسة: إنني ابني سكناً للمدرسين وأرانا أساس البناء وكذلك أساس المسجد.

الغداء في كوكو دوم :

قالوا لنا: إن الشيخ مرتضى عبدالسلام سيغدينا مع مرافقينا في (كوكو دوم) فإلى (كوكو دوم) وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة ظهراً، وكان اهتمامي بمعرفة هذا (الكوكو دوم) أهم من اهتمامي بالغداء الذي فات موعده فسألتهم عنه؟ فقالوا: إنه مطعم لبناني فقلت: من أية لغة هذا الاسم وماهو معناه؟

فأجابوا إنه من الانكليزية، ويعني (قبة الكاكاو) وقد اتت تسميته من بناء شاهق مجاور له في هذه المنطقة من وسط مدينة (إبادن الحديث) اسمه (كوكو هاوس) أي: بيت الكاكاو وهو بناء عال بل معلم من المعالم الحديثة في وسط المدينة يبلغ ارتفاعه ٢٢ طابقاً ويُرَى من جهات متعددة من المدينة. ويقع في منطقة من المدينة تسمى (دبي).

فجعل اللبناني مطعمه في قبة مرتفعة وأسماه (قبة الكاكاو).

كان هذا الكلام والسيارة تسير في شوارع إبادن التي لاتنتهي من السير في شارع منها حتى يسلمك إلى شارع طويل آخر.

والمناظر في هذه الشوارع ليست على نسق، بل هي متفاوتة تفاوت مستوى المعيشة في هذه البلاد التي يوجد فيها ثراء فاحش، وفقر مدقع عند طوائف أخرى كثيرة العدد.

فمررنا ببيوت جيدة، ذات طبقات محدودة، وبمنطقة ذات عمارات عالية، إلا أن الذي يكاد يجمع بين هذه البيوت في صفة واحدة هو اهمال البلدية، وعدم عنايتها بنظافة البلدة. وبصحة الناس.

وأكبر شاهد على ذلك في شيئين ظاهرين يراهما كل شخص دون بذل أي جهد في التفكير أولهما المجاري المتعفنة المتغيرة اللون في جوانب الشوارع، والثاني أكوام القمامة المتروكة في جوانب بعض الشوارع المتسعة أو في بعض الميادين حتى الصغيرة منها، بعضها قد أحرقه الأهالي يكافحون بذلك تضخمه ونتنه، وبعضها متروك على حالته.

وهناك شيء مشترك تقريباً في أكثر الأحياء هنا ألا وهو وجود الأسواق الشعبية التي يبيع أربابها بضائع صغيرة وقد اتخذوا من جوانب الشوارع كما هو الأغلب أو من الميادين والأسواق المعدة لذلك حوانيت ليس لها أبواب، بل ليست هي الحوانيت بالمعنى المفهوم.

وللإفريقيين في كل إفريقية تقريباً وليس في نيجيريا وحدها غرام بهذه الطريقة المبسطة من طرق عرض البضائع، فهم ليسوا من هواة الشراء من الحوانيت الكبيرة.

وفي شارع هو في الوقت نفسه سوق عظيم ممتد من هذه الأسواق كثرت السيارات ووقف المرور، وتعطل السير، فتحيرت سيارتنا في

هذه الساعة الشديدة الرطوبة مع حرارة معتدلة من النهار ورائحة الوقود من السيارات الواقفة المزدحمة إلى جانب ماكنا نحس به من تعب من التجول في الشمس، فزاد ذلك من عدم الراحة.

وتحرك المرور بعد فترة فعرفنا أن سبب تأخره هو تعطل سيارة في طريقنا طريق الذاهب من الشارع ولكن الصف الطويل من السيارات الآيبة أي المقابلة لم تترك أية فرصة لسير السيارات من جهتها.

حتى وصلنا ساحة قريبة من المطعم مليئة بالحافلات الصغيرة التي لونوها بلون أصفر وأحمر مثل لون سيارات الأجرة لأنها حافلات للأجرة أيضاً.

وبعد ذلك دخلنا المطعم اللبناني فإذا هو مكيف تكييفاً جيداً. وكل مافيه نظيف إلا أننا عندما ذهبنا لنغسل أيدينا من الحمام لم نجد فيه ماءً وتبرع العامل الإفريقي وجميع العمال فيه من الإفريقيين بأن أحضر ماءً قليلاً في إناء وقال: اغسلوا أيديكم. وغسل بعض المرافقين أيديهم في وسطه واحداً بعد الآخر ولم أفعل ذلك وقلت في نفسي (يابس أطهر).

وكان الطعام لبنانياً جيداً أهم مافيه الشواء العربي والخبز اللبناني الذي لايوجد نظيره ولا مايقرب منه في الجودة في فنادق الدرجة الأولى.

وأما السعر فإنه لاعلم لي به، ولكنني أظنه غالياً. وكان عدد الآكلين حوالي العشرة.

يوم الجمعة : ١٤٠١/٥/٢١هـ - ١٩٨١/٣/٢٧م.

كان أول هذا الصباح للزيارات حيث زارنا الأخ عيسى ياقويادا وهو أحد التجار الأثرياء النيجيريين الذين يكثرون التبرع بأموالهم للمشروعات الاسلامية.

وكان بصحبة الأخ (كامل ألوسو) كما كان معهما الأخت (رشدة سولاجا الاقاقو) نائبة رئيس منظمة الطلبة المسلمين في جامعة إبادان وكان والدها رئيس اتحاد الطلبة وقال الأخ كامل: إن الأخت رشدة قد أتمت دراستها وهي الآن تعمل في خدمة الوطن وهي ضريبة جعلتها الحكومة النيجيرية على الطلاب الجامعيين الذين يتمون دراستهم وعليهم أن يخدموا لمدة سنة في أي ميدان للخدمة دون مقابل إلا الإعاشة.

وكانت الجلسة مفيدة جرى البحث فيها حول الأوضاع الإسلامية الحاضرة في هذه البلاد وبخاصة في منطقة قبيلة (اليوربا) إلا أن الأخ الحاج عيسى حمل بشدة على بعض العرب الذين يذهبون إلى لندن ويفعلون أفعالاً تسيئ إلى سمعة المسلمين وينفقون أموالاً طائلة في غير سبيل الله، وهم بذلك يعطون أمثلة سيئة تصد ضعيفي البصيرة عن اعتناق الإسلام لأنه قد يرى الإسلام من خلال أفعالهم وكان يتحمس لذلك، ويشدد عليه، وكأنه بذلك يعتقد أني وأمثالي من الذين يملكون أن يقفوا مثل هذه الأمور إذا شاؤوا.

جولة في جامعة إبادن :

كانت هذه الجولة مع الأخ علوي عليّ آدم وهو مدرس في قسم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة ومن الساكنين فيها. ومن

أولى منه بأن يرينا أقسام هذه الجامعة ويطوف بنا بسيارته أرجاءها الواسعة.

وكان أول شيء بدأ به هو (قسم الدراسات العربية والإسلامية) وقال الأخ علوي بعد أن أرانا مكتبه في القسم ومكاتب بعض زملائه الذين يعرفون العربية لأنهم متخرجون من البلاد العربية ومنهم واحد من جامعة المدينة المنورة. وآخر من الأزهر: إن جميع الطلبة في هذا القسم مسلمون وأن بعض الحاضرين مسلمون ولكن السكرتير مسيحي وقال: إن المملكة العربية السعودية تدعم هذا القسم سنوياً بمبلغ عشرين ألف ريال.

ولكن القسم والحق يقال ضعيف المظهر، مكتبته ليست بالتي تنبغي أن تكون عليه مكتبة قسم يبحث في موضوع هام كهذا في جامعة مشهورة كجامعة إبادن.

أما التحرير والإدارة فإنها في غرفة كبيرة هي في الوقت نفسه خزانة كتب (مكتبة) فيها موظفتان وموظف.

وأما السكرتير وهو فعال في القسم فاسمه (اكيب وادي) وهو مسيحي كما قدمت ولكنه خاطبنا بالعربية ويعرفهامعرفة جيدة جداً، وقد عرفت سبب معرفته اللغة وذلك أنه كان قد أتم دورة في دراسة اللغة العربية استمرت مدة سنة في جامعة الرياض وانتهت قبل أشهر.

قال: إنني لم أجد أية صعوبة في العيش في الرياض، وأنني أذهب إلى الأسواق الشعبية مثل (البطحا) بنفسي دون أن ألاقي أي صعوبة.

ومن لطيف ما رأينا في القسم مجموعة جديدة من الأباريق المصنوعة من اللدائن كان قد اشتراها أحدهم لأجل أن تستعمل في الوضوء وجعلها هنا لتوضع في مسجد الجامعة وقد رسم عليها مايدل على ذلك وأنها صنعت لكي تكون للوضوء في الجامع خاصة.

أما الجامعة فإن عدد سكانها من طلاب ومدرسين ومن أفراد أسر العاملين والموظفين والمدرسين هو (٣٥) ألف نسمة. لأن موظفيها ومدرسيها وطلابها كلهم قد هيئت لهم فيها مساكن.

وأما مساحتها فإنها أزيد قليلاً من خمسة أميال مربعة.

ورئيس الجامعة مسيحي، ولكن نائبه مسلم. ورئيس الشرف للجامعة مسلم أيضاً ومعظم الأساتذة والمحاضرين من المسيحيين. وكذلك أغلبية الطلبة من المسيحيين غير أن عدد المسلمين يتزايد باضطراد نظراً لسهولة حصول المسلمين على الشهادة الثانوية في الوقت الحاضر أكثر مما كان عليه الحال في الماضي وذلك بعد أن أممت الدولة المدارس الخاصة بالهيئات واخضعتها لإشرافها وفتحت أبوابها للناس من جميع الأديان.

ومررنا مروراً سريعاً على مباني الجامعة ومنها مجلس الجامعة الذي له أثر كبير عليها منذ تأسيسها في عام ١٩٤٨م.

وبيوت متفرقة للأساتذة والمدرسين وهي عندهم على درجات مثلما أن الأساتذة والمدرسين هم أنفسهم في الجامعة على درجات.

ثم مساكن للطلبة على هيئة وحدات سكنية وأخرى مثلها منفصلة عنها للطالبات ثم سكن طلاب الدراسات العليا. ومساكن الموظفين من غير المدرسين.

ومررنا على سد على وادٍ يخترق أرض الجامعة غير أنهم بنوا هذا السد الذي حجز طائفة من مياة اتخذوه بمثابة مياه احتياطية في حالة ما إذا توقفت المياه العامة التي تأتي إلى الجامعة لأي سبب من الأسباب فيلجؤن إليه، وتكفي مياهه لإمداد الجامعة بالماء.

وقد رأيت السد قد حجز بالفعل مياهاً كثيرة من مياه النهر ولكنه لم يوقف تدفق مياه النهر مع مجراه الطبيعي القديم.

ومررنا ببناء على حائط قد ضم أراضي كبيرة واسعة من الحدائق والأشجار قال الأخ الشيخ علوي: إن هذا هو مسكن مدير الجامعة وهو ذو مكانة كبيرة وسلطة نافذة فيها.

والحقيقة أن منزله هو بالقصر أشبه منه بالمنزل المعتاد.

وقال الأخ علوي: إن ذلك وأشار إلى بيت أقل من بيت المدير هو لنائب الرئيس وهو مسلم وكان غائباً عن إبادن الآن، وإلا لكنا سلمنا عليه.

وختمنا هذه الجولة بالمرور على منزل أستاذ عراقي يدرس فيها اسمه (حازم) كان ملازماً لنا من أول قدومنا إلى إبادن جزاه الله خيراً. وكانت جولة شفت النفس من هذه الجامعة التي كنت قد سمعت مبالغات كثيرة عن كبرها واتساعها من قبل.

جمعة إبادن :

قد يتساءل القارئ الكريم عن السبب في التنويه بجمعة مدينة (إبادن) على حين أن الجمع في كل البلاد وأنها تتكرر في كل أسبوع.

وأقول: إن السبب في ذلك هو غرابة أداء الجمعة المذكورة في ذهني وغرابة ما أحاط بها وأن يكن ذلك مألوفاً لغيري.

كان الذهاب إلى صلاة الجمعة مع الأخ الشيخ علوي علي آدم بسيارته التي يسوقها بنفسه. وقال لي وهو يمضي إلى المسجد إننا سنضطر إلى الوقوف بعيداً عن موقع الجامع لأنه لا توجد مواقف ميسرة حوله ولو وجدت فإن كثرة المنصرفين من الجامع يجعل الزحام شديداً يتعذر معه سير السيارة. وأوقف السيارة في مكان مرتفع هو تلة أرضية فيها قاعة عالية تسمى قاعة البلدية ذات ٥ مداخل رومانية فخمة وكنت ظننتها المسجد الجامع في أول الأمر وهي مع بناء (كوكو هاوس) الذي تقدم ذكره من أهم معالم وسط المدينة في إبادن.

وانحدرنا راجلين من هذه التلة مع أزقة غير منتظمة تفوح منها روائح المياه المستعملة. ومع ذلك كنا نرى من هذا المكان بيت أمير إبادن يبنى بالإسمنت المسلح بناءً قوياً، ويقولون: إن الأهالي هم الذين يدفعون نفقات بنائه وإنهم يعظمون شأن الأمير هذا وفي هذه الأزقة غير النظيفة مظهراً ورائحة يوجد سوق شعبية، وأناس كثيرون يتوضؤن للصلاة في الشارع من أكواب فيها الماء ولا أدري أهم يحصلون عليها بالشراء أم ذلك بطريق التبرع والاحتساب ممن يحضر ذلك الماء.

وبين المتوضئين توجد مطابخ شعبية كل العاملين فيها من النساء وهن يبعن الطعام على الناس. وكأنما كان الاجتماع لصلاة الجمعة مناسبة أو موسماً لهن.

ومن لطيف مارأيته في هذا الشارع أو على الأدق في هذه الأزقة المتعرجة فتاة واقفة في الشمس تبيع قطعاً من الورق على المصلين الذي تبين أن المسجد المفروش لايتسع إلا لعدد قليل منهم لذلك تصلي طائفة كبيرة من الناس على الأرض ويحتاجون إلى فراش رخيص مؤقت فيشترون هذا الورق إذا لم يكونوا قد احضروا معهم فراشاً من قبل.

كما أن من غرائب المعروضات التي رأيتها في هذا السوق حصالة من النقود من الطين المطبوخ أو على الأدق من الفخار عند امرأة جالسة بجانب الشارع تبيع أواني فخارية غير متقنة الصنع تعاونها في البيع بنية لها صغيرة. والأواني تشمل أنواعاً منها هذه الحصالة التي يجعلوها تفتح فتحاً وربما كانت تكسر إذا امتلأت لأنها ليست ثمينة القيمة.

ومن الأشياء غير المحببة هنا وإن كانت موجودة في أماكن عدة من العالم وبخاصة حول المساجد الجامعة منظر طوائف من السائلين المستجدين (الشحاذين) من رجال ونساء وبعضهم في مظهر غير زري مما يدل على أن حالتهم المادية حسنة وأنهم يتخذون السؤال والاستجداء حرفة.

ثم نفذنا من هذا الزقاق إلى شارع واسع مستقيم نوعاً ما. وجدنا على جوانبه (بسطات) من البضائع أكثرها لمناسبة صلاة الجمعة ومرور المسلمين إلى الجامع لأنها تتعلق هنا بأمور دينية مثل بائعي

السبح – جمع: سبحة – وبائعي المصاحف الكريمة والكتب الدينية العربية والأوراد والصلوات باللغة العربية. وطواقي – جمع طاقية – وعطور. وقد اشتد زحام الناس في الشارع وكثر الشحاذون.

تشحذ لأنها ولدت توأماً :

رأيت أكثر من امرأة تحمل طفلاً على يدها وهي في حالة جيدة من حيث مظهر بدنها وثيابها فعجبت من كونها تسأل الناس وتستجديهم وهي في مثل هذه الحالة من المظهر الجيد.

فأخبروني أن السبب في ذلك أنها تكون قد ولدت توأما. وأن العرف عندهم يجيز لمن تلد توأما أن تقف وتسأل الناس ولا يكون ذلك معيباً منها.

وهم يعرفون مثل تلك المرأة بعلامات معينة ويمنحونها بعض النقود الصغيرة لهذا الغرض.

ثم قربنا ونحن نسير على أقدامنا من المسجد. وقد تكاثف زحام الناس حتى صار شديداً وزادت أيضاً معه أفواج الشحاذين الذين كانوا قد افترشوا الأرض ووضعوا نقوداً معدنية أمامهم علامة على الاستجداء إذا لم تكن المناداة بذلك كافية.

في انتظار موكب الإمام :

والمراد بالإمام هنا هو إمام المسجد الجامع الذي يؤم الناس في صلاة الجمعة. ويكون له موكب مهيب عندما يسير في طريقه إلى إمامة الناس وليس ذلك في الطريق وحده وإنما في داخل المسجد أيضاً.

وكنا رغم أننا حضرنا إلى المسجد مبكرين لأن الأخ الشيخ علوي أخبرني أننا لانستطيع أن نجد لنا مكاناً في المسجد إذا لم نبكر ورغم كوني ارتدي الملابس العربية مما يجعل الإخوة النيجيريين يؤثرونني بمكان فإننا وجدنا المسجد كله على سعته مملوءًا بالناس حتى لايجد المرء فيه موضعاً يجلس فيه ولابين الصفوف.

وقد أبصرنا ونحن متحيرون بعض الذين يعرفوننا فقال: الأفضل أن تنتظروا موكب الإمام فتسيروا فيه حتى يمكنكم أن تجدوا طريقاً للتقدم إلى مقدمة المسجد.

وجلسنا ننتظر مع المنتظرين قدوم الامام ونحن جالسون على درج يصعد منه إلى داخل المسجد المسقوف إذْ لم نجد مكاناً في غيره.

وكان من بين المنتظرين شخص مسئول عن مرور موكب الإمام وآخرون.

وكان كل من في المسجد أثناء ذلك صامتين إلا شخص واحد يتكلم من مكبر للصوت يقرأ أحياناً، ويفسر نصوصاً دينية أحياناً أخرى ولكننا لانفهم مما يقوله شيئاً لشدة الزحام ولأنه يخرج بعض الحروف من مخارج لم تألفها آذاننا.

وكنت أتأمل هذه الجموع المتراصة الموجودة في المسجد، والساحة المكشوفة التي بدأ الناس بالجلوس للصلاة فيها حتى إن بيتاً كبيراً من البيوت المجاورة وهو سكن خاص أخذت طائفة من الناس تصلي فيه نراهم في الطابقين الأعلى والأسفل فيه. وأخبرنا إخواننا أن صاحب هذا البيت يترك الناس يصلون في بيته يوم الجمعة احتساباً للأجر، ولكنه لايسمح إلا لعدد محدود.

وحاولت أن أعرف مقدار جميع الذين يتسع لهم المسجد فلم استطع لأن جمعهم لم يكتمل بعد وسألت الشيخ علوي علي آدم وبعض الإخوة الموجودين فقالوا: إنهم في حدود عشرين ألف مصلٍ.

ولكن ربما كانوا لم يلاحظوا الذين يصلون في الشارع خارج الجامع وساحته.

وبينما كنا ننتظر ذلك رأيت أحد الأشخاص يقرأ مدائح نبوية قالوا إنه يفعل ذلك استدراراً لعطف الناس حتى يعطوه شيئاً.

وتأملت الثياب التي حضر بها أكثر القوم إلى المسجد وإذا بها الثياب اليورباوية التقليدية التي هي واسعة ولكنها أقل سعة من ثياب السنغاليين، لأنها قميص واسع أطول من القميص الأفرنجي قليلاً، وأقصر كثيراً من القميص العربي وفي طول القميص الباكستاني تقريباً وتحته سروال مثله في اللون والقماش، ويكونان في الغالب من قماش ملون. وأثوابهم كلهم نظيفة وأبدانهم كذلك ويبدو أن أكثرهم بالفعل يأخذ زينته عند الذهاب لصلاة الجمعة هذا وقد أخذ المكبر يذيع بلغة اليوربا أحاديث فهمت من فحواها أنها موعظة وتذكير، ولكنها بلفظ دقيق وصوت مرتفع.

واستمر انتظارنا لحضور الإمام والناس يدخلون، والنساء يدخلن أيضاً إلى مكان مخصص لهن في المسجد. وكلهن بلباس ساتر وقد سترن رؤسهن بالذات بمناديل رقيقة بيضاء كأنها (الغترة) فوق رؤس الرجال العرب، وأما الحجاب فإنه لاوجود له.

السيارات بين المصلين :

لاحظت وجـود عـدد من السـيـارات واقـفـة في الفناء الخـارجي المكشوف التابع للمسجد وهي واقفة وقوفـاً غير منتظم، والناس الذين جـاؤا أخـيـراً بدأوا يجلسـون حـولهـا لـلصـلاة، وعـرفت أنهـا لبـعض المصلين الذين يأتون مبكرين قبل أن يكون في هذا الفناء الخارجي أحد من المصلين فيـوقفون سيـاراتهم وقال لي أحد الذين كـانوا بجانبي انهم يفعلون ذلك لأن هذا المكان آمن بالنسبة للسيارات.

ولكـنـنـي عندمـا أثرت هذا الموضـوع مع الشـيخ الحـاج مـرتضى عبدالسـلام بعد الصلاة قال: ياليتكم تكلمتم معـهم في هذا الأمر لعلهم يسمـعون لكم إنهـم بهذا يضيـقون على المصـلين. فقلت: هذا صـحيح، ولو عرفت هذا لنبهتهم عليه.

موكب الإمام :

كـان أول علامـات وصـول موكب الإمـام هو التـحفـز والتـهيـؤ من الجـمـيع إذ هو يدخل من آخـر المسـجـد مع الفناء الخـارجي فـيـخـتـرق صفوف المصلين حتى المحراب.

وعلامة أخرى وهو أن أحد الموجودين في موكبه كان يقرأ أبياتـاً من البـردة يرفع بها صـوته. وعلامـة أهم من ذلك وهي أنك ترى طوائف من الناس الذين يمر بهم الموكب مـباشرة يخضـعون له بأن ينحنوا إلى الأرض ثم يجلسوا على رجل واحدة علامة الاحترام.

وأما المرافقون فإنهم عدد كبـير وقد انضممنا إلى الموكب وكانت هذه طريقة ممتازة للوصول إلى مقدمة المسجد.

وقال لي أحدهم وهو يشير إلى الموكب إن هذا الإمام وانا لم أستطع رؤيته من كثرة المحيطين به ولأن موكبه لاينظر من فيه إلى الآخرين: إن الإمام يزيد عمره على المائة سنة.

ولم آبه لهذا الأمر فذلك ليس بمهم، إنما المهم أن نشهد كل هذا الموكب العجيب الذي نحن في الحقيقة نمشي في أذياله رغم الاحتفاء الكبير بنا، ولكن محافظتهم على التقاليد المرعية تجعلهم لاينظرون إلا إلى أن يكون الموكب تقليدياً صِرْفاً.

وفي داخل المسجد المسقوف المزدحم لم يكن الموكب يمر على الناس إلا خضع الذين يلونه مباشرة وانحنوا إلى الأرض حتى قرب الجلوس.

وصل موكب الإمام إلى دكة مرتفعة متصلة بالمحراب في مقدمة المسجد فجلس فيه وشخص واحد ممن كانوا معه مستقبلين الناس. وأما أنا والشيخ علوي عليّ آدم فقد أجلسونا في الصف الأول بعد أن طلبوا من الذين كانوا جالسين فيه أن يتفسحوا لي.

ولما أتممت الركعتين تحية المسجد أشاروا إليّ أن أسلم على الإمام، وكان لايزال في المحراب الذي كان مرتفعاً عن المسجد قليلاً حتى كأنّ أرضه دكة مرتفعة كما قدمت. فسلمت عليه وهو رجل مسن لم يبالغ الذين قالوا لي : أن عمره يبلغ مائة سنة. ولكنه قوي الجسم بالنسبة إلى هذه السن. وكان سليم الحواس ماعدا ضعفاً قليلا في سمعه وقدمني إليه الشيخ مرتضى عبدالسلام مدير المعهد العربي النيجيري فهش وبش ورحب ترحيباً زائداً.

وقال لي الشيخ مرتضى وطائفة من الموجودين إننا نريدك أن تلقي كلمة في المصلين بعد الصلاة فجمعهم كما ترى كثير. فقلت: هذا مناسب إن شاء الله. ولكن لابد من اختيار المترجم، فقال الشيخ مرتضى سوف أتولى ذلك بنفسي.

والمراد بذلك الترجمة إلى لغة اليوربا التي هي لغة الحاضرين في المسجد ولغة أهل هذه المدينة بل أهل هذه المنطقة من غرب نيجيريا وباقي الأجناس أو القبائل الإفريقية الموجودين فيها هم من الطارئين كالهوسا ولهم مساجد جامعة بنوها بأنفسهم ويصلون فيها.

وبعض الهوساويين تبلغ بهم عدم ثقتهم بدين اليورباويين إلى درجة أنهم لايصلون وراءهم، يزعمون أن دينهم الإسلامي لايزال مختلطاً في أذهانهم ببعض العادات القديمة التي كانت لهم قبل الإسلام.

المخاطبة غير المباشرة، أو رفع الصوت من أمام الحجرات.

كل هذا السلام. وذلك الكلام كان يتم بصوت مرتفع في المحراب لأنه كانت هناك موعظة للناس باللغة المحلية لغة اليوربا ويعتبرونها ضرورية لأنها هي اللغة التي يفهمونها ولكنها كانت تتم بطريقة عجيبة.

كان هناك شيخ مُسنٌّ عرفت فيما بعد أنه المفتي مفتي منطقة إبادن وكان مثل الإمام شيخاً هرماً لاأظن أن عمره ينقص عن التسعين.

وكان هو الذي يلقي الموعظة لكنه لا يلقيها إلى المستمعين الذين اكتظ بهم المسجد على سعته مباشرة. وإنما كان يقول الجملة بصوت مرتفع. فيرددها شخص آخر بصوت مرتفع أمام مكبر للصوت قد

أمسكه بيده، لايزيد على ذلك جملة واحدة، وكثير من المستمعين الموجودين في مقدمة الصفوف يسمعون الإمام مباشرة، ولاحاجة بهم إلى هذا الرجل يعيد كل جملة يقولها الإمام فهو كالمُبلِّغ عندنا خلف الإمام اذا قال: الله أكبر، قال الله أكبر، إلا أن الفارق أن الموعظة كلها على طولها تنقل إلى الناس بهذه الطريقة يقول الشيخ الجملة وليس مع الشيخ مكبر للصوت وإنما هو واقف بجانب الرجل الذي معه المكبر غير أن الشيخ يتكلم بصوت مرتفع إلا أن طبقة صوته رقيقة.

وكان الواعظ الذي هو المفتي يلبس ثياباً داخلية نيجيرية وفوقها برنس مغربي تماماً أرجواني اللون وهو ذلك اللباس الذي يلبسه المغاربة يشبه العباءة إلا أنه له في أعلاه من جهة الظهر جزء متصل به يوضع على الرأس.

وهذا اللباس المغربي الثقيل ليس مناسباً لهذه البلاد الحارة ولكنه يدل على أن المسلمين في هذه البلاد قد تلقوا الاسلام والهيئة التي ينبغي أن يكون عليها الخطيب والامام أثناء أداء الشعائر الدينية من قوم من المغاربة أو من لهم صلة قوية بالمغاربة كالتكرور.

وقد لبس الإمام أيضاً عمامة كبيرة محنكة أي لها قسم موضوع تحت حنكه مغطياً حلقه وجزءاً من لحيته.

أقصر خطبة وصلاة :

أنهى الواعظ موعظته العجيبة التي لايلقيها إلى الناس مباشرة والتي يترتب على ذلك أن تستغرق من الوقت ضعف مايستغرقه مثلها في العادة إذا كانت تلقى للناس مباشرة من فم الواعظ. فنهض

المؤذن وكان يرتدي الملابس النيجيرية الفضفاضة وعلى رأسه طاقية قد أدار حولها عمامة ووضع على رأسه أيضاً (شماغاً) سعودياً أحمر.

فأذن للجمعة أذاناً سريعاً إلا أنه كان يقول: اشهد .. ثم يسكت حتى نظن أنه قد أصابه مكروه ثم يقول: أن لا إله الا الله. وهكذا في الصلاة على النبي: أشهد .. ثم سكتة .. ثم: أن محمداً رسول الله.

ولم يكن لفظه فصيحاً بالنسبة إلى مانعتبره نحن مقاييس للفصاحة إذ كانت بعض الحروف لاتخرج من فمه كما تخرج من أفواهنا.

وعندما سكت سمعنا من خلفنا من بعيد رجلاً آخر يؤذن وخيل إليّ أن هناك من بعيد أيضاً رجلاً ثالثاً يؤذن.

ثم نهض الإمام بسرعة رغم كبر سنه وألقى خطبته بالعربية كان يقرأها من ورقة موضوعة على منصة أمامه وقد حمل معه عصا طويلة قد تجاوزت قمة رأسه إذا اتكأ عليها.

واستغرقت هذه الخطبة وهي الأولى بالعربية وحدها حوالي دقيقتين اثنتين وجلس فترة لاتتجاوز نصف دقيقة ثم قام والقى الخطبة الثانية التي لاتتجاوز مدتها دقيقة واحدة بالعربية أيضاً.

ثم أقام المؤذن للصلاة، فلما انتهى من الإقامة كبر الإمام بسرعة وبصوت عالٍ رقيق الطبقة فبلغ المؤذن ذلك التكبير فشرع الامام مباشرة بقراءة الفاتحة، ولم يدع دعاء الاستفتاح، ولما أتم الفاتحة لم يرفعوا أصواتهم بالتأمين، وإنما قرأ الإمام بعدها مباشرة دون أن يكون

بين الفاتحة والسورة القصيرة التي قرأها اية سكتة. وبعدها كبر للركوع كذلك فكبر المؤذن خلفه يبلغ ولكن ما أن انتهى المؤذن من تكبيرة التبليغ حتى كبر الإمام بصوت يشبه صوته وبسرعة للسجود فكبر المؤذن خلفه وتبع ذلك مباشرة تكبير الإمام للرفع من السجود.

وهكذا حتى اشتبه عليّ تكبير الإمام بتكبير المؤذن المُبَلِّغ لولا أنني حرصت على معرفة ما أصليه بنفسي لكدت لا أميز بين تكبيرة السجود وتكبيرة الرفع منه فصوتا الإمام والمبلِّغ متقاربان وهما متلاحقان حتى يكادا يلتصقان. وقد كان الأحرى بهم أن يطمئنوا في الصلاة فذلك أدعى للخشوع وأقرب إلى أن لا يختلط على المأمومين صوت الإمام بصوت المبلِّغ.

وعندما أراد الإمام أن يفرغ من الصلاة قال وهو يلتفت عن يمينه: السلام عليكم، ولم يزد على ذلك فقالوا كلهم بصوت مرتفع اهتزت له جنبات المسجد: السلام عليكم.

وانتهت بذلك هذه الصلاة الموجزة التي اجزم أنها مع خطبتيها لاتتجاوز من الوقت خمس دقائق.

وأخذوا يتحدثون بعد الصلاة وكأنهم مثل السنغاليين لم يتعودوا على صلاة النافلة الراتبة ركعتين فهم عكس الأتراك تماماً الذين كانوا يصلون بعد الجمعة ٨ ركعات من النوافل دون أن يخرج منهم أحد، أو يتحرك عن مكانه حتى يمل الغريب عنهم من ذلك. وأسرعت أسلم على المفتي الذي كان مشغولاً بالموعظة عندما سلمت على الإمام.

واسم المفتي (شيخ محمد صادق) أما الإمام فهو (الإمام الأكبر أحمد محلي عبدالله).

الترجمة غير المباشرة :

أشاروا إلي أن أسرع في البدء بالقاء الخطبة قبل أن يخرج الناس من المسجد ويتفرقوا، وذلك أن من عادتهم الانصراف بسرعة كما سبق.

فتقدمت من مكبر الصوت الذي كان قد أمسك به المُبَلِّغ وأردت أخذه منه فتمنع قليلاً غير أنني أخذته بيدي وبدأت، ولما كان من العادة أن تترجم كلماتي جملة جملة فقد وقفت أنتظر المترجم الذي هو الشيخ مرتضى عبدالسلام نفسه وناولته المكبر بيده فلم يأخذه وإنما أشار -بلطف- إلى المُبَلِّغ الذي انتزع مني المكبر، ولم يعده لي مرة أخرى.

فكان الشيخ مرتضى يترجم الجملة وهو على يميني فيلقيها المُبَلِّغ بنصها أمام المكبر وهو على يساري فأنا بينهما ألقي جملة جديدة بالعربية فيبادر الشيخ مرتضى بترجمها إلى لغة اليوربا فإذا انتهى بادر المُبَلِّغ باعادة ماقاله الشيخ مرتضى نفسه حرفياً، وكل واحد من الاثنين يرفع صوته بالكلام من طبقة واحدة.

وقد عجبت من ذلك وحاولت بطريقة هادئة أن أجعل الشيخ مرتضى يمسك المكبر بيده ويلقي بترجمة كلامي إلى الجمهور مباشرة فلم أفلح.

لقد ذكرت هؤلاء الإخوة في كلامي برابطة الإسلام القوية التي تربط بين المسلمين وعما يجب أن يكون عليه المسلم من خُلُق رفيع. وأكدت على أن الإسلام ليس دين العرب وحدهم بل هو دين الله الذي

بلغه رسوله ﷺ إلى الناس جميعاً فمن أخذ به سعد ونجا، وكان من اهله المقربين سواء أكان عربياً أم أعجمياً أم أبيض أم أسود. ومن تركه ضل وهلك سواء أكان عربياً أو أعجمياً أو أبيض أو أسود.

وبان السرور والاهتمام على وجوه الجمهور.

إلا أنني لم أزل مشتغل الذهن في مسئلة هذا التكرار الذي لافائدة له في رأيي أمام مكبر الصوت، فسألت عنه بعد ذلك خبيراً ومقيماً في هذه البلاد منذ مدة، فقال: إن هذا نابع من الطريقة التقليدية في هذه البلاد من كون الرئيس أو الرجل الكبير لايجيز له مقامه أن يتعامل مباشرة مع سائر الناس الذين هم من الطبقات غير العالية.

وأن العلماء في هذا الأمر يتشبهون بالأمراء بإبقائهم في مراكز التعظيم، ومن ذلك الانحناء الشديد حتى قرب السجود، والخضوع لهم، ومن ذلك هذا الذي رأيته من كون الشيخ منهم لايسمح له مقامه الرفيع أن يخاطب عامة الناس مباشرة، بل لا بد من واسطة للحديث معهم يكون ذلك الواسطة شخصاً مقامه في النفوس دون ذلك الشيخ في المقام. بل يسمح له مقامه بمخاطبة سائر الناس.

وقد لاحظت ذلك فيما بعد من حال رؤسائهم وعلمائهم.

وهو أمر شكا منه طائفة من ذوي البصيرة من طلبة العلم وإن كانوا لايستطيعون هم أن يتخلصوا منه لأنه هو السائد في المعاملة.

وممن شكا منه الشيخ آدم عبدالله الألوري ذكر ذلك في كتاب له أهداه إلينا عند زيارة معهده (المعهد العربي النيجيري) فكان من ذلك قوله:

لايزال في نيجيريا وما حولها من رواسب الجاهلية مايسمونه بالتواضع، منها خلع النعال، والانبطاح، والسجود للتحية ونحوها من عادات ممقوتة في دين الله، بالية مهجورة في دنيا الناس، ولكنها باقية محببة إلى الأمراء والملوك والكبراء في نيجيريا إلى اليوم.

ولايستطيع أي واعظ أن يعلن إنكار ذلك على مسمع الأمراء ومرآهم إلا إذا رضي بأن يهتكوا عرضه، أو يفتوا بكفره، أو يهدروا دمه. ثم استنزال لعنات الله والملائكة والناس على حياته أو موته، وهم يحسبون أنهم يحسنون للأدب والتواضع والإسلام صنعاً.

ومن العلماء من يستحسن تلك التقاليد عن جهالة وعماية، ومنهم من يستحسنها عن بصيرة ودراية، ممالأة لتمادي الدهماء على تكريمهم وتمادياً مع الأمراء في كبريائهم.

وإذا ضلت العقول على علم، فماذا تقوله النُّصحَاء لقد وجدنا من العلماء من يختلقون لهذه التقاليد حديثاً مكذوباً على النبي ﷺ وغير معروف عند أهل الحديث، هو قولهم: «عادة أهل البلد كالسنة».

أو يقولون بتأويل الحديث «مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حَسَنٌ» أو يذهبون إلى تأويل السجود لغير الله بأنهم لايقصدون التقديس والعبادة، وإنما يقصدون التواضع والاحترام، ويقولون: إنما الأعمال بالنيات[١].

قال الشيخ آدم عبدالله الألوري من قبيلة يوربا من قصيدة:

---

(١) الإسلام وتقاليد الجاهلية ص ١٦٠ – ١٦٢.

خلع نعل جعلوه واجباً
لهُمُ قبل وصول للفِناء

وانبطاحٍ لَهُمُ عند السلام
وبروك لَهُمُ عند اللقاء

عندما انهيت كلمتي عدت إلى مكاني في المحراب الذي هو مرفوع عن الأرض قليلاً وفيه الامام والمفتي وطائفة قليلة من كبار القوم ورؤسائهم الذين كانوا يسلمون على الامام والمفتي وينصرفون وكان يظهر من لباسهم الفضفاض الغالي القماش في اكثر الأحيان، ومن كثرته واحياناً يمكن القول بأنه أيضاً من (تكويمه) على الجسم أنهم من الأغنياء، أو من ذوي المقامات العالية.

وقال لي الامام وبعض الحاضرين بلسان الشيخ مرتضى عبدالسلام: لماذا لم تطل الكلام فالناس يريدون ذلك. وأنت تراهم مجتمعين في المسجد وشرفاته العالية؟

فقلت لهم: إن خير الكلام ماقل ودل، واخشى أن أحبسكم أنتم في المسجد وأنتم ربما كنتم تريدون الانصراف والله سبحانه وتعالى يقول ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾(١) وقد قضيت الصلاة قبل فترة.

وكان الإمام والمفتي يعرفان العربية ويتكلمان بها.

وكنت ألاحظ جمهوراً ضخماً من الناس قد حضر هذه الجمعة العظيمة في هذا المسجد الكبير الحافل المؤلف من مسجد رئيسي مسقوف عالي السقف جداً في الوسط تحيط به أروقة داخلية من

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة.

الجهات الأربع أربع طبقات وسقفه في مستوي الطبقة الرابعة من هذه الأروقة ومن غير المألوف لدينا أن الناس يصلون حتى في الرواق الرابع الواقع في قبلة المسجد فيصير بعضهم في مستوى متقدم على الإمام من جهة القبلة إلا أن الذي يلي المحراب مباشرة من جهة القبلة من هذه الأروقة قد جعلوه غير صالح للصلاة.

وهذه الأروقة والمسجد على سعته وجميع الساحات المكشوفة المعرضة لأشعة الشمس والبيوت المجاورة كل ذلك يمتلئ مع أطراف الشوارع القريبة من المسجد.

والحقيقة أنني لم أر خارج الحرمين الشريفين في الجمع المعتادة مثل هذا الجمع إلا في مدينة داكا عاصمة بنغلاديش.

ويقولون إن هذا المسجد أقدم وأكبر مسجد في (إبادن) وأنه قد بني هذا البناء الحالي بمساعدة من المملكة العربية السعودية أمر بها الملك فيصل رحمه الله. وأن الشيخ عبدالعزيز بن صالح إمام المسجد الشريف المدني قد وضع الحجر الأساسي له وقالوا: إن عدد المساجد في مدينة إبادن يبلغ ٣٢٠ مسجداً منها (٤٠) مسجداً تقام فيها الجمعة.

وخرجنا من المسجد الجامع وتجمهر الناس للسلام والمصافحة وهم من مختلف الأعمار حتى الفتيات والصبيان وكان يرافقني الحاج مرتضى عبدالسلام والأستاذ علوي آدم فكان الحاج مرتضى يمنع الناس من استمرار مصافحتي. وأنا لا أفعل ذلك بل إنني أنا أصافحهم لأنهم يريدون شيئاً يسرهم ولا يضرني بشيء بل إنه يسرني، إذْ

مصافحة هؤلاء الإخوة في الاسلام والسلام عليهم أمر يهمني مثلما يهمهم أو أكثر.

ورأيت بعضهم ينحنون للشيخ مرتضى عبدالسلام انحناء التعظيم المعتاد الذي يبلغ حد الجلوس في الأرض، ولم أره ينهاهم عن ذلك.

أما أنا فإن بعض الشحاذين كانوا يسألونني ويستجدون والمرافقون يمنعونهم فلايكادون يمتنعون.

وقد تحول الفناء الخارجي المكشوف للمسجد الذي كان قد امتلأ بالمصلين إلى ساحة بيع وشراء وعرض وطلب حيث انتهز الباعة حضور هذا الجمع العظيم للصلاة فأخذوا يعرضون بضائعهم، وبعضهم يفعلون ذلك وهم واقفون، وبعضهم وهم جالسون على الأرض.

ووصلت سيارتنا في التلة المرتفعة وكان الشيخ الحاج مرتضى عبدالسلام قد ألح عليَّ في أن يأخذني بسيارته فأبيت ذلك وقلت له: إنني أعود مع الشيخ علوي آدم الذي حضر بي فما كان من الشيخ مرتضى الا أن صرف سائقه وركب معنا حتى الغرفة في الفندق.

وقد مررنا في طريق العودة إلى الفندق بمسجد جميل البناء عربي الطراز قد بني بالحجارة والإسمنت فقالوا: إن الذي بناه بهذا الشكل الجيد رجل واحد بناه من ماله الخاص وهو الأمير صلاح الدين أمين.

وحدثونا عن ازدحام المساجد بالمصلين يوم الجمعة فقالوا: إن مسجدًا للهوسا في سايو في إبادن كان قد امتلأ بالمصلين وامتلأ الشارع الذي يليه بهم حتى أوقفوا المرور وقد صادف ذلك مرور حاكم

ولاية إبادن وهو مسيحي فلم يستطع أو لم يرد اختراق هؤلاء المصلين في الشارع وانتظر حتى فرغوا من الصلاة.

توزيع المساعدات المالية :

لقد اتفقنا مع زميلنا الشيخ إسماعيل بن عتيق على أن يتخلف في (لاجوس) العاصمة لانهاء بعض أعمال الوفد بينما نحن نقوم بزيارة مدينة إبادن على أن يحجز لنا جميعًا إلى مدينة (كادونا) في الشمال ظهر غد السبت.

لذلك رأينا أن نتم توزيع المساعدات المالية على المدارس والمشروعات الإسلامية في هذا الليل إبتداء من الساعة التاسعة وإن بقي أحد يكون اعطاء نصيبه قبل التاسعة من صباح الغد وذلك جريًا على عادتنا في توزيع المساعدات أن تكون عند انتهاء زيارتنا في البلد لأن كوننا نعطي نقودًا كثيرة وربما يعلم بذلك من هم من اللصوص أو المحتالين ونبقى في البلد نفسه فيه خطر كبير.

وقد قمنا بذلك بالفعل وفقًا لما رسمناه في هذا اليوم إلا أن:

أول مطر في هذا الموسم :

منع بعض الناس من الحضور إلينا في فندق جامعة إبادن.

فقد بدأ المطر في الساعة السابعة مساءً من هذا اليوم الذي هو آخر أيام العمل في الأسبوع وغدًا أول يومي العطلة ومعنى ذلك أن بعض الموظفين والعاملين في المؤسسات التعليمية وبخاصة من المنتسبين إلى جامعة إبادن قد بادروا بالحضور إلى النادي الذي يقع قرب الفندق في الجامعة، ويحظر دخوله على غير الأعضاء الذين هم من

المنتسبين للجامعة وضيوفهم من الساكنين في الفندق. وكانت هذه المطرة أول موسم الأمطار في غرب نيجيريا الذي اعتادوا على أن يقولوا إن موسمها يبدأ في آخر شهر مارس الحالي أو أول شهر إبريل.

وخرجت إلى النادي أعدو فجلست في كرسي أمام الفناء الداخلي الذي فيه نافورة وجلست استمتع بمنظر تساقط المطر في الأضواء لمدة تزيد على ساعة.

بريطاني لا انكليزي :

عندما كنت جالساً في الكرسي، وقد ذهب زميلي الشيخ عبدالعزيز الربيعان لالقاء موعظة في المسجد الجامع بعد صلاة المغرب وكنت وحدي جلس على الكرسي الذي بجانبي رجل أوربي وطلب كأساً من الجعة لنفسه أخذ يحتسي منه على مهل ويقرأ في كتاب معه.

إلا أنه بعد فترة أراد أن يتحدث إلي فقال: هذا المطر يجعل الجو بارداً. ولما قال ذلك استنتجت منه أنه انكليزي لأن طريقة الانكليز في استدعاء الحديث من الآخرين هو أن يتحدثوا عن الطقس لأن الطقس مهم عندهم بسبب تطرف البرد في بلادهم وتكاثف الضباب والغيوم فيها.

فسألته: أأنت انكليزي؟

فأجاب: لا، أنا بريطاني.

فسألته عن الفرق عن ذلك فقال: أنا من اسكتلندا وكلمة انكليزي تعني جنساً أما كلمة بريطاني فإنها تعني جنسية أي شخصاً من

المملكة المتحدة وقال: إنه يعرف هذه البلاد من قبل، ولكن ابنته التي قدمت منذ يومين لأول مرة في حياتها دهشت لما رأته في إفريقية، ثم أضاف قائلاً: لقد تركتها في الغرفة وسوف تأتي إلى هنا.

وسألني: أدخلت إبادن؟

فقلت: نعم، فقال: أوجدت أنك لاتستطيع أن تسير فيها إلا وقد سددت أنفك من الرائحة العفنة؟

ثم قال: إنني عالم وإن لدي عملاً في قطر سأصل إليها بعد شهر فأرجو أن تعطيني نصيحة قيمة فيما ينبغي لي أن أفعله فيها.

ثم أطال الحديث وفي آخره حضرت ابنته عندما أخذ المطر يخف وإذا بها فتاة شابة في حدود السابعة عشرة، ولكنها قد لبست لباساً فاضحاً منتهزة فرصة الدفء بل الحر في هذه البلاد عكس بلادها التي قدمت منها وحيت فقدمني إليها ثم جلست. ولم أجد أنه من اللائق أن أستمر في الجلوس معهما وهي بهذه الحالة وإلا لكنت على الأقل عرفت مشاعر فتاة أوروبية شبه مراهقة عندما وصلت إلى إفريقية لأول مرة.

وانصرفت إلى فندق الجامعة فوجدت بعض الناس قد حضروا فاعطيناهم ماكنا قررنا لهم من مساعدات مالية.

يوم السبت ٢٢/٥/١٤٠١هـ - ٢٨ مارس ١٩٨١م

أسبوع الجهاد:

هذا الأسبوع يبدأ هذا اليوم والقصد منه إلقاء محاضرات إسلامية وإقامة ندوات وحضور دعوات ومناقشات يتم فيها شرح أهداف الدين

الإسلامي ونتائج الأخذ به. ومحاولة المسيحيين ويتضمن إحصاء من دخل في الدين الإسلامي خلال الفترة التي تكون قد سبقت إقامة هذا الأسبوع ولحقت الأسبوع الذي قبله.

وكذلك قد يفعل النصارى من بيان من دخل في دينهم خلال تلك المدة وذلك في ميدان المناقشة مع المسلمين. وغالباً مايكون الداخلون في المسيحية هم من الوثنيين. ومن أندر النادر أن يتنصر مسلم.

إلا أن إخواننا المسلمين إذا أحصوا في هذه المناسبة من دخلوا في الدين الإسلامي فإنهم يجدون في الغالب أرقاماً عجيبة وطائفة منهم يكونون من المسيحيين الذين اختاروا الدخول في الإسلام.

وقد قدمنا تبرعاً قليلاً مساهمة من المملكة في نفقات إقامة هذا الأسبوع.

والحقيقة إننا في هذا اليوم منعنا السفر من مناسبتين هامتين أولاهما حضور افتتاح هذا الأسبوع أسبوع الجهاد الذي يكون في المساء، وثانيهما: حضور اجتماع الجامع المركزي الجديد في لاجوس، وقد كانوا دعونا لحضور الاحتفال، وهو جامع هام جديد أسهمت المملكة العربية السعودية في نفقات بنائه بنصيب جيد.

ولذلك كان ضيف الشرف في حفل الافتتاح هو الأستاذ (علي محمد مختار) الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد في الرابطة، وقد قدم من مكة لهذا الغرض. وكنت حريصاً على الاجتماع به خاصة لأنه قد تقرر أن نقوم معاً بمهمة رسمية إلى كشمير في الهند في أول رجب القادم.

العودة إلى لاجوس :

والعودة إلى لاجوس معناها لنا العودة مع طريق لاجوس إلى مطار لاجوس، وليس إلى لاجوس نفسها إذ الحجز قد تم لنا ظهر هذا اليوم إلى مدينة كادونا في الشمال.

بدأنا الخروج من مدينة إبادن في الساعة العاشرة من ضحى هذا اليوم.

وكان الخروج مع ضواح متباعدة حتى وصلنا الطريق الرئيسي الجيد وفي تلك الضواحي التي سبقته يلاحظ المرء ما يلاحظه في معظم أنحاء مدينة إبادن من ازدحام الشوارع بالسيارات، ومن وجود المجاري على جانبي الشارع أو الزقاق الذي يمر به.

الكرامة الإنسانية المهدورة :

عندما أردت السفر إلى إبادن سألني أحد موظفي سفارتنا في لاجوس قائلاً: هل ستلتقي بفلان؟ قلت: إنني سأسعى إلى اللقاء به.

قال: إذا لقيته فقل له: يقول لك فلان من لاجوس ينبغي أن تريه العظام على الطريق!

فلم أفهم مايرمي إليه. ولم يوضح لي مقصده، وانما كرر تلك العبارة.

ونسيت هذه المسئلة غير الواضحة، إلا أنني لسبب لا أذكره فطنت إليها أمس، فسألت الرجل المعنى عنها.

فقال وهو يتنهد تنهد أسف: إن ذلك غير ممكن الآن.

فسألته وأنا مشفق ألا أعرف شيئاً عن فحوى هذا اللغز؟

فقال: ذلك رجل أصيب بحادث على جانب الطريق العام. فبقيت جثته لم ترفع حتى تعفنت وتفسخت. ثم بقيت عظامه وهي التي رآها موظف السفارة، ولكنها الآن ذهبت شيئاً فشيئاً بسبب جفافها وتحطيمها بمرور السيارات عليها.

فاستفظعت هذا الأمر واستعظمته وقلت: أيمكن أن يترك الإنسان مصاباً على قارعة طريق تمر به مئات السيارات في الدقيقة الواحدة؟

ولماذا لايسعف في وقت الإسعاف وربما يكون في ذلك إنقاذ حياته، وإذا فرض أنه مات من الصدمة الأولى كيف تترك جثته ملقاة على الطريق لايهتم بها أحد، أو لايهتم برفعها أحد؟.

ولو وجدت في الطريق جثة حيوان كالكلب مثلاً فإنه من مقتضيات الذوق والأدب في احترام الحياة وفيما بعد الحياة أن تبعد عن الطريق إلى حيث تدفن أو تحرق.

فكيف بالآدمي؟

وسكتّ بين مصدق وبين مكذب.

ولكن :

في هذا الصباح رأيت ويالهول مارأيت.

لقد رأيت في مدينة إبادن الجديدة، وقبل الخروج من حدود المدينة بمسافة طويلة رجلاً مصاباً ممدداً على حافة الأسفلت الذي ليس فيه

أرصفة والسيارات المتواصلة السير تمر به ولاتبالي، وبعضها كان يتفادى إعادة دهسه بصعوبة مع أنه ليس في وسط الطريق.

وحالته الظاهرية كما تبدو لنا ونحن سائرون تدل على أنه لم يمض على إصابته وقت طويل، وربما كان به رمق من حياة. أو ربما كان يمكن إسعافه إلا أن السيارات لاتلقي له اهتماماً بل ولا أن تتأنى في السير. كما لو كان مثل هذا المنظر مألوفاً لعيون سائقيها.

وسائق سيارتنا وهو نيجيري من أهل إبادن يسوق سيارة الشيخ الحاج مرتضى عبدالسلام مدير المعهد العربي النيجيري واسم السائق (علم اليقين بن محمد عالم). وقد أبى الحاج مرتضى جزاه الله خيراً إلا يرسل معنا سيارته لتوصلنا إلى مطار لاجوس.

قلت للسائق بسرعة: قف ، قف ، فقال الشيخ علوي علي آدم قبل أن يقول السائق شيئاً: إن الناس لايقفون كما تراهم.

فقلت له: إذا كانت قد نزعت الرحمة والإنسانية من قلوبهم أنكون مثلهم؟

فقال: إن الرحمة والإنسانية في مكانهما من قلوبهم، ولكنهم يقولون: إنهم إذا أبلغوا الشرطة عن موقعه فإنهم يوقعون أنفسهم في ورطة من التساؤل والإعاقة عن أعمالهم، أما إذا حملوه وهو مصاب فإن الأمر يكون أصعب. لأن الشرطة قد تعتقد أن الرجل لم يحمله إلا لكونه قد أصابه وأن ضميره قد أنبه على تركه.

وطبيعي أن هذه وجهة نظر لايمكن قبولها غير أن الشيخ علوي أضاف قائلاً: أن الناس يقولون مادام أن الشرطة ترى الجثة

ولاتحركها لعدة أيام وأحياناً تتحلل وتتبدد في الطريق فإن الرجل العادي قد يجيز له تفكيره أن يتركها وشأنها.

وكانت السيارة قد قطعت في هذه الأثناء مسافة طويلة فالتفت إلى السائق (علم اليقين) أقول له بحدة: لماذا لم تقف؟

فقال: الناس كلهم لايقفون.

قلت له: إذًا لنبلغ الشرطة، فقال: إنهم يرونه وأمثاله، وأنهم لايريدونه أن يرفع لأنهم كانوا قد أمروا الناس ألا يقتربوا من هذه الطرق الرئيسية العامة وألا يحاولوا قطعها.

فقلت له: ولكن الرجل فيما يظهر من وضع جثته التي رأيته عليها لم يكن يحاول أن يقطع الطريق لأنه على حاشية الطريق.

وهنا كانت آلاف السيارات قد مرت بالجثة الملقاة كما مررنا بها ولم تعرها التفاتاً وربما كنا أكثر من غيرنا من المارة اهتماماً بها.

وقد بقيت مشمئز النفس طيلة ذلك النهار لهذا المنظر الذي رأيته عياناً، ولما سمعته من الأخبار عن مثل هذه الحالة البشعة حتى إنني عندما التقيت ببعض الإخوان الذين خرجوا من لاجوس إلى المطار لتوديعنا ومنهم الأستاذ عبدالعزيز الملحم الملحق الديني السعودي وأخبرتهم بهذا المشهد الفظيع قالوا: إنه أمر معروف إن لم يكن من المألوف حتى في لاجوس وأن عبدالعزيز الملحم نفسه رأى في هذا اليوم (ولدًا) مصاباً متروكًا على الطريق.

وخرجنا من باب إبادن أي البوابات التي يخرج منها إلى خارج المدينة ودفع السائق (نيرتين) اثنتين رسم الخروج كما دفع سائق

السيارة السابق رسم الخروج النيرتين لكي يسمح له باستعمال هذا الطريق الجديد.

يمكن أن نسمي هذا الطريق الجديد الجيد المتقن الذي لايقل في ذلك عن الطرق في البلاد المتقدمة إدارياً مثل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بأنه مجزرة حقيقية، والذي يجزرون فيه هم بنو آدم بطبيعة الحال ولكنك فيه ترى المجزورين هي السيارات الكثيرة المتعددة الاحجام والانواع والغريب أن السائق منهم ما أن يتخلص من الارهاق والعناء من زحام لاجوس أو التوقف من سيارات إبادن الكثيرة ويجد نفسه حراً في هذا الطريق الأملس المغرى بالسير حتى يستسلم للإغراء ويطلق لسيارته العنان فترى بعضها وهي سيارات قديمة تسابق السيارات الجديدة وترى مؤشر السرعة فيها يصل إلى المائة والعشرين ويتجاوزها إلى أكثر من ذلك فيأخذك الفزع ولكن السائق لايبالي بذلك.

وتحاول أن تسترعي انتباهه لا لتذكره بمخاطر السرعة فهو يرى بعينه بقايا السيارات المحطمة، وإنما تقول له: ارفق بنا.

ولكنه لايستجيب بل يهز رأسه وهو طرب لهذا الانطلاق بعد الرباط. وقد رأيت عناية القوم بهذا الطريق حتى إن عمالاً كانوا يقصون الحشائش والأعشاب النامية في الجزيرة التي تفصل بين طريق الذاهب والآيب فيه، وذلك بمناجل يرمون بها بأيديهم يميناً وشمالاً وهم وقوف وكأنهم يضربون شيئاً بالعصا.

ومن الأشياء التي لفتت نظري هذا اليوم في هذا الطريق منظر بائعات الفاكهة على جانبي الطريق في مكان بينه وبين الطريق رصيف غير مرصوف أو كتف من أكتاف الطريق كما يسمى الآن.

وأنواع الفاكهة التي تباع هنا محدودة النوع، وربما الكم وتكاد تقتصر على الموز والبرتقال والقريب فروت.

وهذه كلها غير رخيصة هنا.

وقد يرى المرء عشة على هيئة حانوت يبيع صاحبها فاكهة أيضاً ولكن بصفة أكثر وأوفر.

أما المقاهي والمطاعم وأماكن الاستراحة فإنها غير موجودة إطلاقاً والسبب في ذلك أن هذا الطريق جديد قد تجنب القرى والمدن التي كانت على طريق سابق. وذلك من أجل عدم إعاقة المرور فيه من جهة، ولأن استقامة الطريق تستدعي ذلك.

ولايكاد المرء يشعر بالراحة والاستمتاع بالسير فيه حتى يزعجه منظر سيارة محترقة أو سيارة مصدومة منذ عهد قريب. ولو كان الأمر مقتصراً على وجود السيارات التالفة بسبب الاصطدام المتروكة لكونها لاتستحق من ناحية القيمة أن تصلح لما كان في الأمر غرابة علينا وأمثالنا لأن مثل تلك السيارات أو بقاياها توجد في طرقنا الطويلة في المملكة.

ولكنك تجد سيارات حدثت لها حوادث منذ عهد قريب، وبعضها لم يمض عليه إلا ساعات والسائقون يرون ذلك ولا يعتبرون.

حدود الولايات :

كانت الولايات النيجيرية ثلاثًا في القديم ولكن بعد الحرب التي حدثت بسبب محاولة سكان شرقي نيجيريا من الايبو الانفصال في عن البلاد قسموا البلاد تقسيماً جديداً إلى ولايات عدة بلغت الآن تسع عشرة ولاية.

ولكن الخروج من ولاية أخرى وخصوصاً مع هذا الطريق ليس له علامات واضحة أو حدود ملموسة كما عليه الحال في الهند أو حتى في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تجد على حدود الولاية لوحة ترحب بك أو تخبرك بأي شيء حتى بأنك الآن تدخل إلى ولاية كذا فقد خرجنا نحن من الولاية التي فيها مدينة إبادن إلى ولاية أخرى اسمها (اوقو) وهو اسم آله النهار من آلهة الوثنيين من قبيلة اليوربا. وعاصمة هذه الولاية ليست على الطريق.

غير أننا لم نر أي شيء يوضح أننا خرجنا من حدود ولاية ودخلنا في حدود ولاية أخرى.

والطريق على الجانبين كله أخضر وأحياناً يكون شديد الاخضرار بحيث لاتستطيع أن تعرف لون التربة إذا حاولت ذلك، وإن كانت الخضرة فيه خضرة الغابات والأراضي الاستوائية الكثيفة الأعشاب التي لاينتفع الأهالي بها كما ينتفع أهالي الأراضي المعتدلة بأرضهم.

ولذلك سوف تدهش إذا عرفت قلة الحاصلات الزراعية منها، وقلة المواشي التي يمكن أن تربى عليها. وسوف تدهش إذا عرفت أن بعض البلاد الكثيفة الخضرة مثل جنوب نيجيريا يستورد أهله اللحم من شمال البلاد ذي الجو القريب من الصحراوي.

وقد رأيت موضعاً بجانب الطريق قد أخذ منه التراب لأمر من الأمور فإذا بالتربة فيه حمراء جميلة لاتختلف عن لون الأرض في إفريقية الشرقية والوسطى القريبة من خط الاستواء.

وبينما كنا نسير ويسير غيرنا من الناس بسرعة فائقة قفزت إحدى السيارات من الطريق إلى خارجه وفيها ركابها ورأيت بعض السيارات تقف عندها ربما لمساعدة أهلها أو للتفرج برؤيتها.

إلى مطار لاجوس :

وفي الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً كنا نلج البوابة التي يدخل منها إلى مدينة لاجوس. فدفعنا الايصال الذي سلمنا بموجبه نيرتين عند الخروج من مدينة إبادن وهو رسم – كما قلت – على من يستعملون هذا الطريق الحديث.

وهم بهذا يشبهون مايعمله الأمريكيون في الولايات المتحدة إذْ على من يريد أن يستعمل طريقاً غالي الثمن أو جسراً أو نفقاً أن يدفع رسماً مقابل ذلك. ولكن الرسم هنا أغلى فنيرتان تساويان أربعة دولارات إلا ربعاً بالصرف الرسمي والمسافة بين المدينتين أو على الأدق بين بوابتي الدخول والخروج من الطريق بينهما لاتتجاوز مائة وثلاثين كيلاً.

وكان الهدف – كما قلت – هو أن نذهب إلى مطار لاجوس ولكن ذلك لن يعفينا من معاناة الزحام، والوقوف في طابور من السيارات في هذا الحر الشديد والرطوبة الزائدة التي يضاف إليها دخان (الديزل).

في المطار المحلي :

انحرفنا يميناً من الشارع العام قاصدين المطار المحلي لأن رحلتنا داخلية فكان المرور حتى في هذه الشوارع التي تعتبر خارج المدينة كثيفاً.

ولم نستطع الوقوف عند بناية المطار لأن ذلك ممنوع لكونه يزيد في الازدحام، وإنما هناك موقف للسيارات أمام البناية بينهما شارع ورصيفان وممر، وعليك أن تدفع رسماً لإيقاف السيارة فيه،، كما عليك أن تحمل أمتعتك تلك المسافة الطويلة البعيدة عن المكاتب. وكان وصولنا في الثانية عشرة والربع قبل الموعد المقرر بنصف ساعة وكانت القاعة الخارجية مزدحمة بشكل كثيف. وليس فيها تكييف وإنما فيها مراوح بعضها متعطلة وبعضها لا يكاد يتحرك وعدد الكراسي فيها محدود قد ملئت بالناس. فذهبنا إلى المقصف الذي هو غير مكيف أيضاً في هذا الحر الشديد ولكن مراوحه دائرة عامرة.

وطلبنا شاياً أو قهوة فلم نجدهما وإنما قالوا: إن فيه بعض المشروبات الباردة ومنها شراب اسمه ليمون وآخر برتقال من صنع محلي.

والواقع أن هذا المطار لايليق بدولة كبيرة مصدرة للنفط مثل نيجيريا.

وقبل الموعد المحدد دخلنا قاعة المغادرة يصحبنا بعض المودعين من إخواننا في لاجوس منهم الأستاذ عبدالعزيز الملحم الملحق الديني وعدد من إخواننا النيجيريين.

وكانت القاعة مكيفة تكييفاً جيداً، ومليئة بالمقاعد غير أن مقاعدها مشغولة كلها، وقد انقطعت الكهرباء بعد دخولنا، وبقينا فترة دون تهوية خارجية.

إلى الطائرة :

قد لايعجبك تخصيص عنوان خاص بهذا الموضوع الذي قد تظنه تافهاً ولكنه بالنسبة إلى كاتب هذه السطور ليس كذلك لما عاناه فيه.

لقد نادوا علينا - نحن ركاب كادونا - للخروج إلى الطائرة في الساعة الثانية والثلث، وصفونا في طابور طويل متعرج لكي يتفادى الاقتراب من طائرة كانت بجانب طائرتنا.

وكان المفهوم أنهم فعلوا ذلك لكي يسهل عليهم إركاب المسافرين واحداً بعد الآخر. لذلك لم نلق له بالاً غير أن هذا الطابور لبث أكثر من نصف ساعة في الحر والرطوبة دون أن يتحرك وإنما كان موظفو الترحيل يصعدون إلى الطائرة وينزلون منها دون أن يبدوا عليهم أنهم يلقون بالاً لهؤلاء الواقفين الذين ملوا الوقوف. وأزعجتهم الرطوبة ودخان طائرة مجاورة كانت محركاتها دائرة تنفث دخاناً مزعجاً.

وبعد ذلك أدخلونا الطائرة، وليس فيها درجة أولى بل كل مقاعدها سياحية متقاربة حتى يكون مابين الكراسي لايتسع للحقيبة اليدوية الكبيرة. فهم بهذا كأهل الهند الذين ليس في طائراتهم على أكثر الخطوط الداخلية درجة أولى وزادوا على ذلك بأن قاربوا بين الكراسي ابتغاء المزيد منها.

وهم هنا كأهل الهند في شيء آخر وهو استعمال الطائرة الأمريكية الصغيرة من طراز (بوينج ٧٣٧) مع أنها تمتلئ بالركاب في أكثر الحالات ومنها هذه الحالة إذ جميع مقاعد الطائرة مشغولة بدون استثناء.

ومع ذلك لبثنا نصف ساعة أخرى دون أن تتحرك الطائرة ولا أدري السبب فلم يوضحوه كما يفعل الأوربيون وغيرهم من المتقدمين في الإدارة.

وما دمنا في المقارنة بين مستعملي الطائرات والقائمين عليها في هذه البلاد وبين غيرهم في بلدان أخرى. فإنني أذكر أنهم لايرقمون المقاعد، لذلك ترى الناس يتراكضون ويتزاحمون ويكون الشخص الذي يحب الهدؤ والأطمئنان هو الذي يكون في كرسي ربما لايناسبه مثلي أنا إذ كان المناسب لي أن أحصل على كرسي بجانب النافذة لأنني أسلك هذا الطريق لأول مرة وأحب أن أرى معالم البلاد من الطائرة إلا أنني لم أستطع أن أزاحم الناس أو أن أركض مع الراكضين فكان نصيبي مقعداً في آخر مؤخرة الطائرة وفي الوسط من الكراسي.

فهم في هذه الناحية مثلنا إلا أننا نتفوق عليهم في ناحية أخرى وهي ما يمكن أن نسميه إنسانية الإركاب.

فمعظم شركات الطيران ومنها الطائرات السعودية تحرص على أن يكون الأقارب أو الأصدقاء من الركاب في مقاعد متجاورة لاسيما

النساء. حتى إن الموظفين يرجون من بعض الركاب الذين حصلوا على مقاعد قبل غيرهم أن يتركوها لأسرة تحب أن يجتمع أفرادها في مكان واحد. إلا أن النيجيريين لايبالون بهذا الموضوع أصلاً فترى امرأتين صعدتا معاً فلم تجدا مكانين متجاورين فجلست كل واحدة منهما في مقعد بعيد عن الآخر بين الرجال، وكذلك الرجال.

تحركت الطائرة في الثالثة والثلث، وأعلن مكبر الصوت فيها أن الرحلة إلى كادونا ستستغرق ساعة وخمس دقائق.

وكان قائد الطائرة والذين في غرفة القيادة من الأوروبيين. أما المضيفون فكلهم من الإفريقيين وخدمتهم غير جيدة، بل غير مبالية.

وقبل الهبوط في مطار (كادونا) اضطربت الطائرة اضطراباً شديداً لا أذكر أنه حدث لي مثله الا قبل خمس سنوات كنت فيها مسافراً من مدينة تايبي عاصمة فورموزا إلى هونج كونج.

وعندما هبطت على الأرض كان الطيار يكبح جماحها كبحاً شديداً أزعج الركاب وكان أحد المضيفين يعلن الوصول بصوت أجش يصدم الأذن صدماً ويخرج الحروف الانكليزية من مخارج الحروف المحلية.

تم الجزء الأول من كتاب ... قصة سفر في نيجيريا

ويتلوه الجزء الثاني بإذن الله .

المحتويات

الموضوع | **صفحة**

المشاهدات

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

بلاد اليوربا

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣